الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة
والحضـــارة الإسلاميـــة
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الرقم الترتيبي.....

رقم تسجيل للطالب.....

منهج القرآن في الاستدلال على عقيدة الألوهيّة

من خلال مفكري الإسلام

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في شعبة العقيدة

إعداد الباحث :جمال الأشراف

إشراف الدكتور:مولود سعادة

أعضاء لجنة المناقشة	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
الرئيـــس	.....	.....	.....
المـــقرر	د . مولود سعادة	أستاذ محاضـــر	جامعة الأمير عبد القادر
مناقـــش	.....	.....	.....
منـــاقش	.....	.....	.....

السنة الجامعية 1424-1425ه / 2003-2004م

نوقشت يوم:.....

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

الإهداء

اللهم هذا منك ....

وإليك....

شكر وتقدير

إلى الوالدين الكريمين . . . اعترافا بفضلهما

ولزوجتي هجيرة كحلة على تشجيعها وصبرها . . .

ولأولادي ضياء وإقبال وبهاء .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

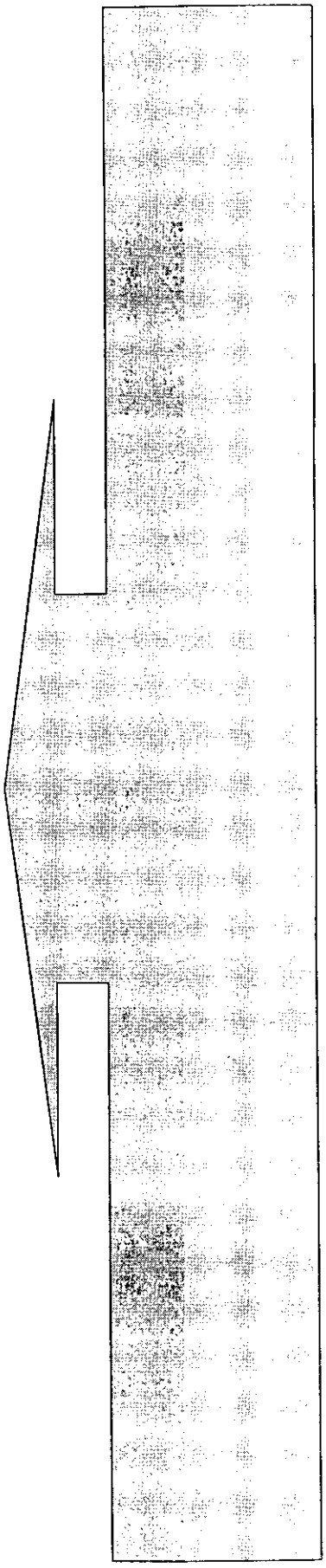

المقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و آله و صحبه و بعد:

تعد قضية الألوهية رأس الأمر كله في الدين الإسلامي، إذ أن الإيمان بالله تعالى وبأسمائه الحسنى مبدأ العقائد الدينية وأساسها، فهو أساس الإيمان باليوم الآخر والقدر والكتب المنزلة وما إلى ذلك من العقائد التي يبنى عليها الدين كله فما من تكليف شرعي إلا و هو قائم عليها و مستند إليها .

و في البداية أحب أن أشير أن الإيمان بالله وتوحيده فطرة فطر الله الناس عليها يحسها كل منا في نفسه عند اشتداد الخطوب والأهوال والأزمات، ويدل هذا الشعور على تأصل الاعتقاد بالله في النفس البشرية، يقول المؤرخ الاغريقي بلوتارك: " قد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون وبلا قصور وبلا سدود وقناطر ولكن لم توجد أبدا مدن بلا معابد " .

كما أن لغات العالم في القديم و الحديث لم تخل من لفظ أطلق على القوة العليا أو الله، و هذا ما يعبر عن نزوع شامل نحو الإيمان بالله، كما يدل بجلاء أن العقيدة في الله الواحد فطرة في نفوس البشر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1]

و زاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى تأكيدا في قوله: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "[2].

---

[1] - الأعراف ، الآية: 172.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا أسلم الصبي

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز و جل: " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم و أنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا "[1].

فالحديثان يفيدان أن الإنسان يخلق على التوحيد وأن ما يبدو من بعض الناس مخالفا لذلك إنما هو انحراف طارئ بعوامل تعود إلى البيئة الاجتماعية كما في الحديث الأول أو إلى هوى النفوس المعبر عنه بوسوسة الشياطين في الحديث الثاني.

ونظرا لأهمية القضية وخطورتها كما ذكرت، ولما يمكن أن يطمس هذه الفطرة فإننا نجد القرآن عني بهذه القضية عناية فائقة حتى إنك لا تكاد تطوي صفحة منه دون أن تحدثك عن الله بشكل من الأشكال.

وقد شغلت قضية التوحيد الحيز الأكبر منه، فقد كانت دعوة الأنبياء دوما توجيه الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي)** [2].

ذلك لأن البشرية كانت تتنكب الصراط السوي بعد موت الرسل فتنحرف عن التوحيد إلى الشرك ، بل وحتى الإلحاد، كما سجل القرآن مقالة قوم ألحدوا عرفوا بالدهريين قال تعالى: **(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)** .

---

[1]- أخرجه مسلم: كتاب الجنة والنار، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار

2- الأنبياء ، الآية:25

3- الجاثية، الآية: 23

و لما كان الصراع بين المادية والإيمان مستمرا فإنه من الضروري أن يقدم المؤمنون الأدلة المقنعة و البراهين الصحيحة، والحجج الساطعة التي تثبت الإيمان بوجود الخالق ووحدانيته، وترد كل الشبهات والانحرافات.

ومن هنا كانت مساهمتي المتواضعة في الذود عن قضية الإيمان متسلحا بأسلحة القرآن و اخترت موضوعا لرسالتي: منهج القرآن في الاستدلال على عقيدة الألوهية. (من خلال مفكري الإسلام).

و كان هذا الاختيار **للأسباب التالية:**

1- الحاجة الماسة إلى تجديد الإيمان في القلوب و إحداث الوعي به في العقول لأنه كلما كان بينا في الأذهان مكينا في النفوس، يكون ما يقوم عليه من التكليف التصديقي و السلوكي قويا مؤد إلى تحقق الغاية من الدين و هي إصلاح الحياة الإنسانية و سعادتها في الدنيا و الآخرة.

2- قصورمناهج المتكلمين القدامى لكونها تخاطب عقليات ذات مواصفات تختلف عن مواصفات عقلية اليوم كما كانت ترد عن شبهات و مطاعن خلفتها اليوم شبهات و مطاعن أخرى ذات طبيعة مختلفة.

3- الاستفادة من القواعد القرآنية في الاستدلال لتميزها بمخاطبة الإنسان بكليته فلا تخص فيه ناحية من نواحيه دون الأخرى، فلا تخص العقل دون الحس و لا الحس دون الوجدان الباطني أو تشوفات الفطرة، بهدف تمكين الإيمان في القلوب.

4- محاولة جمع المعالم المنهجية الاستدلالية القرآنية لتصبح واضحة الصورة متناسقة الأجزاء بدل بقائها متناثرة في طوايا الدراسات و البحوث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

الإشكالية: إن الناظر في كتب الفكر العقدي يجد أن الصياغات التي صيغت بها مباحث هذا العلم قد غلبت عنها النزعة الصورية أو التجريد العقلي الذي لم يعد يفي بمتطلبات العصر مما دعا إلى محاولة البحث عن منهج ملائم لاحتياجات هذا العصر فلم توجد إلا في العودة إلى الكلاميات القرآنية، فحاولت جاهدا استيحاء و استحياء هذا المنهج الذي قد يعثر عليه الباحث بعد جهود مضنية في بطون الكتب، فكان عملي جمع هذا المتناثر، و لمّ هذا المتفرق.

منهج البحث: حاولت في إنجاز هذا البحث أن ألتزم المنهج التحليلي التركيبي، حيث عمدت إلى جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، ثم اتجهت إلى فهم دلالة تلك الآيات بتحليل عناصرها و تبين حقيقتها، ثم رتبت تلك الآيات في إطار واحد، لتظهر من خلاله منهجية القرآن الاستدلالية واضحة الصورة.

خطة البحث: و قد قسمت الرسالة إلى مقدمة و خمسة فصول و خاتمة أوجزها فيما يلي:

1- **المقدمة:** وبينت فيها أهمية الموضوع و سبب اختياره وتحديد الإشكالية التي يعالجها ومنهج البحث و خطته.

2- **أما الفصل الأول:** فقد عرفت فيه بالقرآن الكريم من حيث تسمياته و نزوله و لغته وجمعه و تقسيمه وترتيبه من جهة، ومن جهة أخرى عن مصدريته ودلائلها بالنظر في الجانب الشخصي من حياة النبي صلى الله عليه و سلم، و الجانب الموضوعي للقرآن الكريم.

3- **أما الفصل الثاني:** فقد تناولت فيه بالبيان صوى منهج القرآن في الاستدلال بشقيه النقدي السلبي الذي يقوم على تطهير الإنسان من كل الموانع و الحواجز التي تمنع وصول الحقيقة إليه كالتقليد و إتباع الأهواء و الظنون، و الغفلة.

و الشق الإيجابي الذي يتضمن تزويد الإنسان بجملة من القيم و الوسائل، إن أحسن استخدامها أمكنه الحصول على المعرفة الصحيحة و إدراك الحقيقة.

أما الفصل الثالث: فقد تعرضت فيه لدلائل وجود الله و وحدانيته و سائر صفاته مع بيان مسالك الحجة التي نبه عليها القرآن الكريم.

أما الفصل الرابع: فقد حاولت أن أبين فيه المنهجية الاستدلالية في مواجهة الأديان السماوية المحرفة و الديانات الوثنية و يمكن اعتبار هذا الفصل و الذي قبله فصلين تطبيقيين للمنهج الذي رسمت معالمه في الفصل الثاني.

أما الفصل الخامس: فقد حاولت أن أبرز فيه خصائص منهجية القرآن الاستدلالية التي تميزت بالتكامل واليسر والواقعية والخبرة في صياغة النفس البشرية بمنهج تربوي فريد .

و أخيرا **ختمت** الموضوع بخلاصة ضمنتها نتائج البحث.

المصادر و المراجع: و من أجل إنجاز هذا البحث فقد رجعت إلى عدد هام من المصادر و المراجع التي لها صلة بموضوع بحثي و يمكن أن أقسمها إلى: ..

أولا: المصادر الأصلية و منها: كتب التفسير المختلفة و بخاصة "الكشاف" للزمخشري و "في ظلال القرآن" لسيد قطب و "التفسير الكبير" لفخر الدين الرازي.

ثانيا: المصادر الفرعية: و تتمثل في الدراسات الكلامية القديمة و الحديثة و أخص منها: "مناهج الأدلة في عقائد الملة" لابن رشد و كتب حجة الإسلام الغزالي المختلفة و لا أنسى ما كتبه ابن الوزير اليمني في "ترجيح أساليب القرآن عن أساليب اليونان " بالإضافة إلى الكتب الحديثة و في مقدمتها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

"مدخل إلى علم الكلام" للأستاذ الدكتور حسن محمود الشافعي، و "الإيمان بالله و أثره في الحياة " للأستاذ الدكتور عبد المجيد النجار.

و تقتضي مني الأمانة العلمية أن أشير إلى الدراسات التي سبقتني في تناول جانب أو أكثر من جوانب موضوع البحث، أخص منها بالذكر "مناهج الجدل في القرآن الكريم " للدكتور محمد زاهر عواض الألمعي و هو في الأصل رسالة دكتوراه قدمها بالأزهر الشريف، و الدراسة القيمة التي أعدها الدكتور محمد التومي و الموسومة ب "جدل القرآن"، و كذلك كتاب" القرآن و النظر العقلي" للأستاذة فاطمة إسماعيل و هو في أصله رسالة ماجستير مقدمة بالأزهر الشريف، صدرت عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي بفرجينيا.

صعوبات البحث: و قد واجهتني صعوبات عند إعداد هذا البحث أهمها:

1-قلة المصادر و المراجع المتعلقة بالموضوع تعلقا مباشرا.

2-طبيعة الموضوع ذاته، إذ لاشك أن من يتعامل مع القرآن الكريم و هو كلام الخالق جل جلاله يشعر بالرهبة و الخوف من أن يزل أو يضل في إدعاء الوصول إلى نتائج غير مقصودة للخالق جل جلاله.

هذا و إني لأرجو أن يكون هذا البحث بداية لأعمال أخرى تتلوه إن شاء الله في خدمة القرآن و أمته إستجلاء لحقائقه و دفعا للشبه المثارة ضده.

ولا يفوتني في الأخير أن أتوجه بعظيم شكري و فائق امتناني لمن قدموا لي يد العون من أجل إتمام هذا البحث و أخص بالذكر الأستاذ عبد الوهاب فرحات الذي فتح لي أبواب مكتبته العامرة فأخذت منها ما أردت فله مني جميل الثناء وخالص الدعاء.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف عن هذا العمل الدكتور مولود سعادة حفظه الله الذي جنبني الكثير من الأخطاء التي كنت أقع فيها لو لا توجيهه و تسديده فجزاه الله عني كل خير.

و أخيرا أسأل الله العفو عما يكون قد بدر من خطأ أو تقصير و الله وحده أسأل أن يكتب لنا السداد و التوفيق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

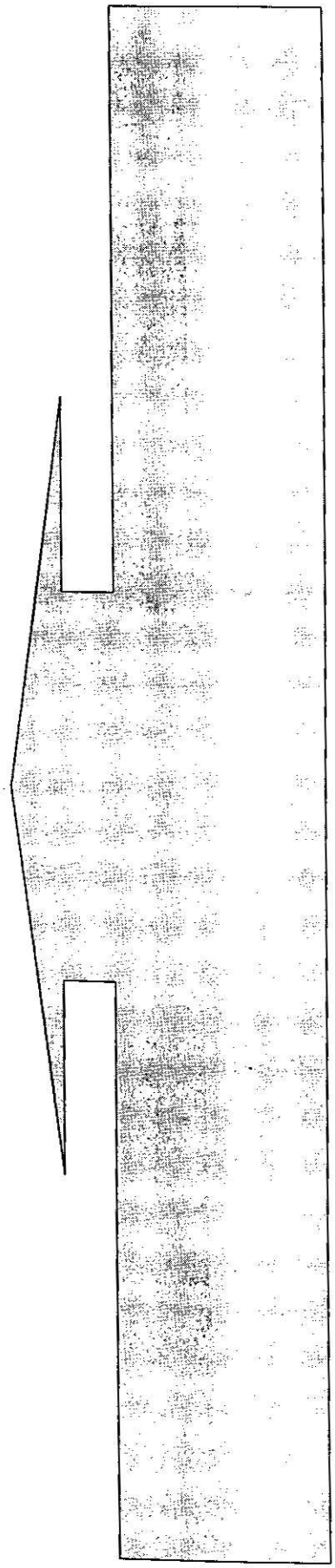

الفصل الأول

القرآن والمصدر

القرآن والمصدر

* ما هو القرآن؟

* تحديد مصدر القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

1. ما هو القـرآن

1.1. تعريف القرآن الكريم:

القرآن مصدر على وزن فعلان كغفران ورجحان، وهو مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1] ثم أصبح علما على الكتاب العزيز المنزل على النبي الأمين – صلى الله عليه وسلم – وهذا من باب إطلاق المصدر على مفعوله[2].

وقد ذكر العلماء تعريفات كثيرة للقرآن الكريم من باب تقريب معناه للسامعين وتمييزه عن بعض ما عداه من الكتب السماوية السابقة التي طالها التحريف أو بعض الأحاديث القدسية وبعض الأحاديث الشريفة التي تشارك القرآن في مصدريته .

ومن هذه التعريفات أن القرآن هو "**كلام الله تعالى المنزل على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته**"[3].

2.1– تسميات القرآن الكريم: سمي القرآن العظيم بتسميات كثيرة نذكر منها .

أ. القرآن كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[4]

ب. الكتاب كما في قوله تعالى : ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[5]

---

[1] القيامة، الآيتان 17-18

[2] محمد بن علي التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون تح: أحمد حسن بسج ط1. بيروت: دار الكتب العلمية 1998م. ج3، ص 481.

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3. بيروت: دار الفكر 1988م. ج1. ص 20

[4] الاسراء، الآية: 09

[5] البقرة الآية: 01

ت. الفرقان كما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[1]

ث. الذكر كما في قوه تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]

ج. التنزيل كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]

وترجع تسميته قرآنا إلى كونه متلوا بالألسن و هذا هو الاستعمال الأغلب من هذه التسميات ، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأقلام، و كلا هاتين التسميتين من باب تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه كما يقول الأستاذ العلامة "محمد عبد الله دراز" بحق[4] .

و في هاتين التسميتين إشارة إلى العناية المزدوجة التي أحاطت بالقرآن منذ وقت نزوله فهو محفوظ في الصدور كما في السطور، فلا ثقة بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر"[5] يصدق ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فلم تصب عوادي التحريف و التزييف هذا القرآن بأي سوء .

و إذا تتبعنا هذين الاسمين في المعاجم اللغوية، وجدناهما يدوران حول معنى الجمع و الضم مطلقا ، فيكون معناه الجامع أو المجموع و هذا لا يعني فقط أنه جامع للسور و الآيات، أو أنه مجموع تلك السور والآيات من حيث أنها نصوص مؤلفة على صفحات القلوب أو من حيث هي نقوش مصفوفة في الصحف و الألواح أو من حيث هي أصوات مرتلة منظومة على الألسنة، و إنما يعني شيئا أدق من ذلك و أعمق و هو أن هذا الكلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

---

1 الفرقان، الآية 01

2 الحجر الآية 09

3 الشعراء، الآية 192 .

4 محمد عبد الله دراز النبأ العظيم، ط6 . الكويت: دار القلم . 1984م . ص 12 .

5 المرجع نفسه. ص 13 .

قد جمع فنون المعاني و الحقائق، و أنه قد حشدت فيه كتائب الحكم و الأحكام[1] . و قد وصفه الله بذلك في قوله : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2] و قوله تعالى : ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

و على هذا فتسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة العلوم في كتاب و من ثم فهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه .

3.1- نزول القرآن الكريم :

بدأ نزول القرآن الكريم على النبي –صلى الله عليه و سلم– من وقت أن اختاره الله لتبليغ رسالة السماء إلى الناس جميعا . و وجه اختيار لفظ الإنزال هو الإشادة بشرف الموحى به ، نظرا لما يشي به ذلك اللفظ من علو صاحب هذا الكتاب المنزل .

و الحقيقة أن هذا المبحث مهم في بحثنا هذا لأنه كالأساس له ، و لن يتم بناء من غير أساس، أو دعام ذلك لأن "العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن، و أنه كلام الله، و أساس التصديق بنبوة الرسول – صلى الله عليه و سلم – و أن الإسلام حق، ثم هو أصل لسائر المباحث الآتية بعده"[4] . و من هنا رأينا الحاجة ماسة إلى هذا المبحث لعظيم صلته بموضوع بحثنا .

---

1 المرجع السابق، ص 13 .

2 النحل، الآية : 89 .

3 يوسف الآية : 11 .

4 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، (مرجع سابق) . ج1 . ص 40 .

أ- التنزل الأول إلى اللوح المحفوظ يقول تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1] . وحكمة هذا النزول هي الحكمة من وجود اللوح المحفوظ محل التفصيل لكل ما كان مجملا، وكل ما كان ويكون في عالم التكوين والقضاء .

ب- التنزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا وإليه الإشارة بقوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2] ويقول أيضا : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[3] ودلت هاتان الآيتان على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة تسمى ليلة القدر، وهي من ليالي شهر رمضان وتم هذا النزول جملة واحدة لا تفصيلا وعلى هذا انعقد الإجماع.[4]

ج- التنزل الثالث : هو التنزل على قلب النبي الأمين محمد -صلى الله عليه وسلم- وإليه الإشارة في قوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[5] .

وقد كان هذا التنزل مصدرا للنور الذي شع العالم وبدد الظلمات ووصلت هدايته إلى الخلق أجمعين ويرحم الله شاعر الإسلام العظيم وفيلسوفه الكبير "محمد اقبال"[6] حينما قال :

قد كان هذا الكون قبل وجودنا ... روضا وأزهارا بغير شميم
والورد في الأكمام مجهول الشذا ... لا يرتجى ورد بغير نسيم
بل كانت الأيام قبل وجودنا ... ليلا لظالمها وللمظلوم
لما أطل محمد زكت الربى ... واخضر في البستان كل هشيم
وأذاعت الفردوس مكنون الشذا ... فإذا الورى في نظرة ونعيم[1] .

---

1 البروج، الآية 21.
2 القدر، الآية 01
3 البقرة، الآية: 185
4 الإمام السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط بيروت: دار المعرفة [د.ت]. ج1. ص 54.
5 الشعراء، الآيتان: 193، 194.
6 فيلسوف وشاعر مجيد ولد في مدينة سيالكوت الهندية عام 1877 م من أهم مؤلفاته: تجديد التفكير الديني في الإسلام، جاويد نامة أو رسالة الخلود وديوانه الشعري، توفي عام 1938م أنظر في ترجمته: أحمد معوض العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، ط القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م وهي أوفى ترجمة عن حياته، عبد الوهاب عزام، محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره، ط كراتشي: مطبوعات الباكستان 1954م

و الحكمة في هذا النزول كما قال السيوطي نقلا عن "محمد عبد العظيم الزرقاني" هي تفخيم أمره -أي القرآن- و أمر من نزل عليه، بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، و بإنزاله مرتين، مرة جملة ومرة مفرقا . بخلاف الكتب السابقة، فقد كانت تنزل جملة مرة واحدة"[2] .

4.1- كيفية نزول الوحي على رسول الله -صلى الله عليه و سلم-

الوحي في لسان الشرع : "أن يعلم الله تعالى كل من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية و العلم، و لكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر"[3] . .

و مادة هذا الإعلام من القرآن الكريم، الذي يحمله ملك كريم هو جبريل إلى نبي كريم هو محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- ليبلغه إلى الناس كافة فجبريل -عليه السلام- هو الواسطة بين الله و بين رسله، و هو حامل الوحي إلى الأنبياء -صلوات و سلامه عليهم- .

يقول تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ فالوحي يتطلب ملكا ينزل و نبيا يتلقى عليه و رسالة يبلغها الملك إلى النبي و قد كان اتصال جبريل -عليه السلام- بنبينا محمد -صلى الله عليه و سلم- لتبليغه الوحي يأخذ أكثر من صورة تبعا لما ينزل به و يتناسب معه .

طرق الوحي و أشكاله :

---

1 محمد إقبال -ديوان محمد اقبال للإعمال الكاملة، اعداد سيد عبد المجيد الغوري، ط1- دمشق دار ابن كثير 2003م. ج1 . ص 93 .

2 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان (مرجع سابق) ج1 . ص 46 .

3 محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، (مرجع مسابق) . ج1 . ص 63

أتخذ نزول القرآن على النبي محمد –صلى الله عليه و سلم– طرقا عدة تثبيتا لقلب النبي مرة و تأنيسا له أحيانا أخرى و قد ذكر العلماء من طرق الوحي ما يأتي :

أ. أن يأتيه الملك في مثل صلصة الجرس و هذا النوع من أشد أنواع الوحي على النبي –صلى الله عليه و سلم و كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد شديد "[1] .

ب. أن يأتيه الملك في صورة رجل و هذه الصورة أسهل من سابقتها ، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع .

و قد ورد في السنة الشريفة هاتان الصورتان فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أن الحارث بن هشام – رضي الله عنه – سأل النبي – صلى اله عليه و سلم – فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله – صلى اله عليه و سلم – : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس و هو أشده علي فيفصم عني و قد وعيت عنه ما قال، و أحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة –رضي الله عنها– : "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا"[2] .

و بهاتين الكيفيتين بدأ نزول القرآن على سيدنا محمد –صلى الله عليه و سلم– سيد الثقلين هداية للبشر و رحمة للعالمين .

5.1– نزول القرآن منجما :

1 السيوطي ، الإتقان ج1 ، ص 59 .

2 رواه البخاري في صحيحه. في باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله –صلى الله عليه و سلم– أنظر : ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تح طه عبد الرؤوف سعد و مصطفى محمد الهواري، ط1 . مكتبة القاهرة 1978م . ج1 ص45 .

نزل القرآن مفرقا حسب ما تدعو إليه الحاجة و تمس الضرورة و استغرق هذا النزول أكثر من عشرين سنة وجاء التصريح بنزوله مفرقا في قوله تعالى :﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[1] .

وقوله تعالى :﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2] .

و ترشد الأحاديث الشريفة أن القرآن كان ينزل خمس آيات و عشر آيات و أكثر و أقل، و قد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، و صح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة و صح نزول ﴿غير أولى الضرر﴾ وحدها[3] و هي بعض آية[4] .

6.1- الحكم الإلهية في تنجيم الآيات القرآنية :

لنزول القرآن منجما حسب المناسبات و الظروف المحيطة حكم لا تخفى نذكر منها :

أ – تثبيت قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– و تقويته و إلى هذا الإشارة بقوله : ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

ب – تيسير حفظه و فهمه : و إليه الإشارة بقوله : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[5]

---

1 الإسراء، الآية 106 .

2 الفرقان، الآيتان : 32–33

3 النساء، الآية : 95

4 الإمام السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ج1 ، ص 57 .

5 القمر، الآية : 17

جـ – الإجابة عن الوقائع: كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[1] و قوله في آية أخرى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2] وغيرها من الآيات التي كانت تجيب عن حوادث الصحابة رضي الله عنهم.

د – التدرج في التشريع: وأوضح مثال لذلك التدريج في تحريم الخمر حيث أول ما نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3] ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[4] ثم تلتها مرحلة أخرى كانت تهيب بالمؤمنين أن يبتعدوا عن هذه الآفة حتى قيل أنه لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب اللهم بيانا شافيا في الخمر وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ﴾[5].

و – تصحيح أخطاء: ومن ذلك ما نزل ليصحح ما وقع فيه المسلمون من أخطاء كما حدث في غزوة أحد يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ، إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[6]. و هذا التصحيح "لحركة الضعف و الفشل التي راودت قلوب طائفتين من المسلمين بعد تلك الحركة الخائنة التي قام بها رأس النفاق "عبد الله بن ابي سلول" حين أنفصل بثلث الجيش، مغضبا لأن الرسول – صلى الله عليه و سلم– لم يأخذ برأيه و استمع إلى شباب أهل المدينة"[7].

---

1 المجادلة، الآية 01

2 البقرة، الآية: 222

3 النحل، الآية: 67

4 البقرة، الآية: 219

5 النساء، الآية 43.

6 آل عمران، الآيتان: 121–122

7 سيد قطب، في ظلال القرآن، ط3. القاهرة: دار الشروق 1977م. ج1. ص 468

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

"و هاتان الطائفتان –كما وردت في الصحيح– من حديث سفيان بن عيينة– هما بنو حارثة وبنو سلمة. أثرت فيهما حركة عبد الله بن أبي و ما أحدثته من رجة في الصف المسلم، من أول خطوة في المعركة، فكادتا تفشلان و تضعفان. لولا أن أدركتها ولاية الله و تثبيته كما أخبر النص القرآني ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ "[1].

و كذلك ما نزل بشأن غزوة حنين يقول تعالى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾[2]. و هذه الآية تحذر المؤمنين من آفة الغرور و الإعجاب بالنفس و تلفت أنظارهم إلى منن الله عليهم و هم في حال الشدة.

هـ– كشف حال المنافقين : و كان هذا دواء و ترياقا ناجعا لطائفة المنافقين حتى يتوبوا و حتى يحذر كيدهم جماعة المسلمين يقول الله تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات التي نزلت.

ك. الدلالة على أن الله هو مصدر القرآن : وبيان ذلك أن القرآن نزل في حوالي ثلاث و عشرين سنة، و قد نزل في مناسبات شتى و حوادث مختلفة و مع ذلك فيقرأه الإنسان فيحس بأنه محكم العبارة ، عذب الأسلوب فيه حلاوة وعليه طلاوة وما ذاك إلا لأنه ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[4].

ولما كان هذا شأن القرآن الكريم دل على أن مصدره هو الله –سبحانه و تعالى– ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[5].

7.1. لغة القرآن:

---

1 المرجع السابق. ج1. ص 468.
2 التوبة، الآية: 25
3 البقرة، الآية: 204
4 هود الآية: 01
5 النساء الآية: 82

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد –صلى الله عليه و سلم– باللسان العربي المبين قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] . ويقول أيضا في آية أخرى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2] .

ولا شك أنه إذا صرح القرآن بأن لغته عربية فمعنى ذلك أنه ينبغي أن يفهم في مجالها التداولي و ما تتضمنه تلك اللغة من أساليب "ومعلومات دلالية وبيانية أخذت من تتبع أفهام العرب في محادثاتهم ومكالماتهم حيث تجمعت منها القواميس العربية المتداولة ،وأصول الدلالات اللغوية وقواعد البيان"[3] .

و قد أدى نزول القرآن باللغة العربية إلى استيثاق الصلة الحيوية بالتراث الحضاري للأمة العربية في شعرها و نثرها وهذا ما حدث بالفعل حيث لازالت أشعار عنترة وزهير بن أبي سلمي و امرؤ القيس تقرأ إلى اليوم .

8.1- جمع القرآن :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

جمع القرآن بطريقتين :طريقة الحفظ، وطريقة الكتابة وكان هذا في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– .

1.8.1- الجمع بمعنى الحفظ في الصدور :

لما بدأ نزول القرآن على النبي – صلى الله عليه و سلم – كان جل اهتمامه أن يحفظ ما ينزل عليه أولا بأول ليبلغه إلى أصحابه فكان يحرك لسانه خلف جبريل – عليه السلام– و هو يقرئه رجاء أن يتمكن القرآن من قلبه فنهاه الله عن ذلك و بين له أن الله هو الذي سيتولى حفظه بنفسه قال تعالى : ﴿وَلَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[4] . ومن ثم فإن الرسول – صلى الله عليه و

---

1 يوسف الآية : 02

2 فصلت الآية : 03

3 د . سعيد رمضان البوطي ، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ط3 . دمشق :دار الفكر 1998 م .ص64 .

4 القيامة الآيات : 16 – 19 .

سلم– قد تلقى القرآن من جبريل كما يتلقى التلميذ من أستاذه نصا من النصوص ، ولم يكن له فيه عمل بعد ذلك إلا الوعي و الحفظ أو الحكاية و التبليغ ثم البيان و التفسير ثم التطبيق و التنفيذ أما ابتكار معانيه و صياغة مبانيه فما هو منها بسبيل، وليس له من أمرها شيء إن هو إلا وحي يوحي [1] .

و من هنا نعلم أن الرسول صلى الله عليه و سلم، هو سيد حفاظ هذه الأمة و كيف لا يكون كذلك و قد خاطبه الله بقوله : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ [2] .

2.8.1- الجمع بمعنى الحفظ في السطور

لم يقتصر النبي – صلى الله عليه و سلم – على طريقة الحفظ وحدها فيما ينزل عليه من القرآن و إنما ضم إلى الحفظ في الصدور الحفظ في السطور و من ثم فإن الرسول –صلى الله عليه و سلم– قد اتخذ كتابا للوحي من أصحابه أشهرهم أبي بن كعب ، و معاوية ، و زيد بن ثابت ، و الخلفاء الأربعة – رضي الله عن الجميع – .

وكان دور النبي – صلى الله عليه و سلم– الاستيثاق من المكتوب و مطابقته على المحفوظ النازل، وطبقا لهذا المنهج الذي اتخذه الرسول –صلى الله عليه و سلم– لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن الكريم مكتوب كله و مدون ومرتب .

3.8.1- دور الصحابة في جمع القرآن :

أما الصحابة فقد كان القرآن في المحل الأول من عنايتهم ، يتنافسون في استظهاره و حفظه و يتسابقون على

---

1 محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، (مرجع سابق) ، ص 20 .
2 الأعلى ، الآية : 06 .

مدارسته و تفهمه و يتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه على حد تعبير الزرقاني . قال عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– "كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي –صلى الله عليه و سلم– إلى رجل منا يعلمه القرآن و كان يسمع لمسجد رسول الله –صلى الله عليه و سلم– ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يحفظوا أصواتهم لئلا يتغالطوا"[1] .

وهذا يؤكد حرص النبي – صلى الله عليه و سلم – على أن ينشر القرآن على عدد غير قليل من صحابته البررة و لم يأت هذا المنهج من فراغ و إنما هو وليد العمل الدؤوب الذي كان يقوم به الرسول– صلى الله عليه و سلم – في خدمة القرآن فهذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– يقول : قال لي الرسول –صلى الله عليه و سلم– اقرأ علي، قلت اقرأ عليك و عليك أنزل ؟ قال : فإني احب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[2] قال أمسك فإذا عيناه تذرفان"[3]. وهذا ما يقوى استنتاجنا السابق ،حرص النبي – صلى الله عليه و سلم – على التبليغ حتى يذكر عبد الله بن مسعود أنه قرأ على رسول – صلى الله عليه وسلم – أكثر عن سبعين سورة[4] .

ومن هنا كان حفاظ القرآن، جما غفيرا من الصحابة – رضوان الله عليهم – ولم يقتصر أمر الحفظ على الرجال حتى شاركتهم فيه النساء فكان منهن عائشة و حفصة و أم سلمة – رضوان الله عليهن جميعا[5] .

---

1 الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج1 ، ص 241

2 النساء الآية : 41 .

3 رواه البخاري كتاب التفسير باب "فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " أنظر :ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (مرجع سابق) . ج 18 ،ص 115 .

4 رواه مسلم في صحيحه باب فضل عبد الله بن مسعود و أمه رضي الله عنهما أنظر النووي، شرح مسلم ط . القاهرة : المكتبة المصرية (د . ت) . ج16 . ص16

5 الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج1 ، ص 242 ، السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، ، ج1 . ص 96 .

و النتيجة أن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – رباهم النبي محمد – صلى الله عليه و سلم – تحت كنفه و بصرهم بطريقة تعليمية تعتمد القرآن في المقام الأول ، جعلتهم يقبلون على القرآن الكريم تلاوة و فهما وحفظا وتدبرا حتى أصبح عدد الذين حفظوا القرآن الكريم كثيرين، ويدل على هذه الكثرة ويؤكدها "أن عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة كان أربعين ومائة"[1] .

وكان من بين هذا العدد الكبير من حفاظ القرآن من الصحابة مجموعة مهرة بتلاوة القرآن الكريم كان رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يعدهم ويرعاهم ليقوموا بمهمة التبليغ عنه "فليبلغ منكم الشاهد الغائب " كما هي عادته – عليه السلام – عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: "سمعت رسول الله – صلى الله عليه و سلم – يقول : خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد – عبد الله بن مسعود ، فبدأ به، ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب و سالم مولى أبي حذيفة"[2] .

و يقول الإمام السيوطي : "المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة : عثمان وعلي و أبي و زيد بن ثابت و ابن مسعود و أبو الدرداء و أبو موسى الأشعري، وقد قرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس و عبد الله بن السائب و أخذ ابن عباس عن زيد أيضا و أخذ عنهم خلق من التابعين"[3] . و من هنا بدأت رحلة تواتر القرآن حفظا و كتابة جيلا بعد جيل إلى أن بلغ إلينا كما نزل غضا طريا .

9.1- دور الصحابة في حفظ القرآن في السطور :

---

1 الزرقاني ، مناهل العرفان . ج1 ، ص 242 .

2 رواه الإمام مسلم في صحيحه أنظر : النووي ، شرح صحيح مسلم (مرجع سابق) ج18 ، ص 18 .

3 السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج1 ، ص96 .

يبدأ دور الصحابة في كتابة القرآن منذ عهد رسول الله –صلى الله عليه و سلم– فقد كان منهم من يكتبون القرآن و لكن فيما تيسر لهم من قرطاس أو عظم أو نحو ذلك بالمقدار الذي يبلغ الواحد منهم عن رسول الله –صلى الله عليه و سلم– و لظروف الخروج في السرايا لم يلتزموا توالى السور و ترتيبها و بعد الرجوع من السرايا كانوا يستدركون ما فاتهم حفظا و كتابة"[1] .

و كان من الصحابة الملازمون له –صلى الله عليه و سلم– ملازمة دائمة و هم المعروفون بكتاب الوحي و هذا يدل على أن القرآن، كله كان مكتوبا عند الصحابة ، وإن لم يكن كله مكتوبا عند بعضهم أو , عند واحد بعينه ، فإن ذلك لم يكن منفيا عن جميعهم فهو مكتوب كله عند جميعهم وإن تقاصر بعضهم عن كتابته كمَل الآخر و كان الكمال النقلي جماعيا و ليس أحاديا [2] .

و بعد وفاة النبي –صلى الله عليه و سلم– و التحاقه بالرفيق الأعلى تظافرت جهود الصحابة على تدوين هذا الكتاب المعجز المقدس .

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1.9.1 . جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق :

كان القرآن الكريم محفوظا عند الصحابة كتابة لكنه كان مفرقا ، فما استحر القتل في جمع من حفاظ الوحي خشي كبار الصحابة كعمر بن الخطاب من ضياع كثيرا من نصوص القرآن بذهاب حملته، فنصح عمر أبا بكر بأن يأمر بجمع القرآن فاستجاب بعد أن شرح الله صدره لهذا العمل فأمر الخليفة الصديق زيد بن ثابت بأن يقوم بهذا العمل الضخم يقول زيد : "فوالله لكلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما كلفني به من جمع

---

1 الزرقاني ، مناهل العرفان (مرجع سبق) ، ج1 ، ص247 .

2 محمد أبوزهرة ، المعجزة الكبرى القرآن ، ط ، بيروت : دار الفكر العربي . 1970 م . ص 28 .

القرآن، . . . فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع و العسب و اللخاف و صدور الرجال و وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ. . .﴾[1] . فكانت هذه الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر و كان زيد لا يكتب إلا ما قام عليه شاهدان: الحفظ و الكتابة"[2]

2.9.1- منهج أبي بكر الصديق في جمع القرآن :

اتخذ أبو بكر الصديق لجمع القرآن الكريم منهجا واضح المعالم ثابت الأسس و يعتمد :

أ. اختيار أفضل العناصر التي تقوم بهذا العمل و قد نال "زيد بن ثابت" هذا الشرف و كانت الدوافع وراء اختياره صفات أربع مقتضية خصوصيته بذلك :

- كونه شابا قوي الإرادة حيوي النشاط
- و كونه عاقلا متدينا
- و كونه كان يكتب الوحي على عهد الرسول –صلى الله عليه و سلم–
- وكونه عرض القرآن على النبي –صلى الله عليه و سلم– في السنة التي انتقل فيها النبي إلى الرفيق الأعلى .

ب. الإعلام و التحري بغية الاستقصاء

و يبدو ذلك من خلال طلب "عمر بن الخطاب" من كتبة الوحي أن يأتوه بكل ما كتبوه و يروى أنه قال : "من كان تلقى من رسول الله –صلى الله عليه و سلم– شيئا من القرآن فليأت به"[3] . و رغبة منه في توسيع دائرة

---

1 التوبة، الآية: 128 .

2 أحمد خليل، دراسات في القرآن، ط1 . بيروت: دار النهضة العربية 1969 م ص. 89 .

3 ابن حجر، فتح الباري. (مرجع سابق) . ج14 . ص 16 .

الإعلام لجمع القرآن الكريم بغية الاستقصاء و أن يكون ذلك بإجماع الأمة. قال أبو بكر لعمر و زيد : اقعدوا على باب المسجد "[1].

و أما التحري و التثبت فقد حققها زيد –رضي الله عنه– باعتماده "على أمر مادي يرى بالحس لا بحفظ القلب وحده، فكان لا بد أن يرى ما حفظه مكتوبا في عصر النبي –صلى الله عليه و سلم– و أن يشهد شاهدان بأنهما هكذا رأوا ذلك المكتوب في عصر النبي –صلى الله عليه و سلم– و بإملائه عليه الصلاة و السلام"[2] و هذا يصور حجم الجهد الذي بذله زيد –رضي الله عنه و أرضاه–.

3.9.1. القرآن في عهد الخليفة عثمان –رضي الله عنه–:

في عهد الخليفة الحيي اتسعت رقعة الدولة الإسلامية و كثرت الأمصار فدعت الضرورة إلى جمع القرآن في مصحف جامع بعدما بدأت روح الخلاف و الشقاق تطل برأسها على الجماعة المسلمة و هذا ما تبينه رواية الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك عن حذيفة بن اليمانة – رضي الله عنهما – حيث يقول :"أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، و كان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الله بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة، إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – المكتبة الرقمية

---

1 المرجع نفسه و الصفحة.

2 أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 31 – 32.

رد عثمان الصحف إلى حفصة و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[1] .

فالحديث يبين الغاية من وراء هذا الجمع و هي اختلاف أهل الشام و أهل العراق في القراءة مما أفزع حذيفة من تفرق كلمة المسلمين من جراء هذا الاختلاف. كما بين الحديث منهج عثمان في هذا الجمع الثالث الذي اتبع فيه الخطوات التالية :

- طلب الصحف التي جمعها ابو بكر الصديق لنسخها .
- تكليف زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمان بن الحارث لأنهم أقدر الناس على هذه المهمة.
- اعتمد النسخ على مصدرين هامين :

أ. ما كتب في عهد أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–

ب. على المحفوظ في الصدور، و اتبع فيه ما اتبعه أبو بكر الصديق في جمعه القرآن.

و قد أشار زيد بن ثابت إلى هذا الأسلوب في العمل فيما رواه البخاري عنه قال :"فقدت آية من الأحزاب حيث نسخنا المصحف، قد كنت أسمع سول الله –صلى الله عليه و سلم– يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري و هي ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[2] فألحقناها في سورتها في المصحف"[3] .

---

1 رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن، أنظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج19 .ص 18 .

2 الأحزاب، الآية: 23 .

3 رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن.

ويشير إلى هذا المنهج قول الخليفة عثمان رضي الله عنه "للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتهم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم"[1] .

واختلاف لجنة الجمع لن يكون في مجرد النسخ فإن الصحف المكتوبة في عهد أبي بكر كتبت بلغة قريش وهي مأخوذة عما كتب في عهد رسول الله. صلى الله عليه وسلم- وإنما الخلاف من الممكن أن يكون فيما يجمع من الصدور بسبب تعدد الأحرف التي نزل بها القرآن .

وعلى ذلك فجمع الخليفة عثمان –رضي الله عنه- لم يكن مجرد نسخ وإنما قام على الاستقصاء والتحري الشديد ، ولما تم العمل وجد التطابق كاملا بين المصحفين مما يدل دلالة قاطعة على تواتر القرآن مكتوبا ومحفوظا كما يقول الإمام أبو زهرة بحق[2] .

ولقد كان مصحف الخليفة الحيي –رضي الله عنه- هو الأصل لما عداه من المصاحف الأخرى التي بعثت إلى الأمصار ، ويلاحظ أن مصحف الخليفة العظيم كان خاليا من النقط والشكل، كما كان المصحف عند حفصة رضي الله عنها خاليا من ذلك، ولم يحدث ذلك إلا بعد .

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والسر في ذلك حتى تكون كل قراءة قرآنية متفقة مع نصه لأن الشك فيه كفر، وأن الزيادة عليه تبديل، وأنه القرآن المتواتر الخالد إلى يوم القيامة[3] .

10.1 . تقسيم القرآن الكريم وترتيبه :

1 أنظر بن حجر العسقلاني ، فتح الباري ج19 ، ص18 .

2 أبو زهرة ، المعجزة الكبرى، (مرجع سابق)، ص 39 .

3 المرجع نفسه . ص 41 .

القرآن العظيم مقسم إلى سور و السور مقسمة إلى آيات، و الآيات جمع آية و هي في الاصطلاح :"طائفة ذات مطلع و مقطع مندرجة في سورة من القرآن و السورة طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع و مقطع "[1] .

و قد رتبت الآيات في السور بوحي من الله – سبحانه و تعالى – وليس لبشر في هذا الترتيب دخل فقد كان جبريل – عليه السلام – ينزل بالآية على النبي – صلى الله عليه و سلم – و يرشده إلى مكانها من السورة فيأمر رسول الله – صلى الله عليه و سلم – كتبة الوحي بكتابتها في مكانها و يقول لهم :"ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا و كذا . وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص قال :"كنت جالسا عند رسول الله –صلى الله عليه و سلم– إذ شَخَصَ ببصره ثم صوبه ثم قال أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في الموضع من هذه السورة :﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2] "[3].

و قد كان النبي – صلى الله عليه و سلم – يقرأ بسور عديدة في الصلاة و هو يؤم المسلمين و كان يقرأ ذلك كله مرتب الآيات على ما هو عليه الآن في المصاحف ، و كما رتبت الآيات كان كذلك ترتيب السور وهذا ماحدا بالإمام البخاري رحمه الله أن عنون له في صحيحه في كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن أي جمع آيات السورة الواحدة أو جمع السور مرتبة في المصحف[4] .

---

1 الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج1 ، ص 339 . وينظر أيضا ج1 ، ص350 .

2 النحل، الآية : 90

3 أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ط1 بيروت : دار صادر : 1969م. ج4 ص 218 .

4 أنظر : إبن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج19 ، ص46 .

و قد رتبت سور المصحف في مصحف سيدنا عثمان و كانت مرتبة قبل ذلك في الحفظ الصدري. يعتمد هذا الترتيب على ما اتبعه جبريل –عليه السلام– في عرضه القرآن على رسول الله –صلى الله عليه و سلم– و عرض رسول الله –صلى الله عليه و سلم– القرآن على جبريل في كل عام مرة و في العام الذي أنتقل فيه إلى الرفيق الأعلى كان العرض مرتين.

و روى البخاري في صحيحه عن فاطمة عليها السلام "أسر إلي النبي – صلى الله عليه و سلم– أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة و أنه عارضني العام مرتين و لا أراه إلا حضر أجلي"[1]. و المعارضة مفاعلة من الجانبين كأن كلا منهما كان الآخر يقرأ والآخر يستمع"[2] وقد صرحت طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة بالمعارضة من الجانبين. فقد روى البخاري في صحيحه عَرْض رسول الله –صلى الله عليه و سلم– على جبريل، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كان النبي –صلى الله عليه و سلم– أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه رسول الله –صلى الله عليه و سلم– القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة"[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

و روى عن عرض جبريل –عليه السلام على النبي –صلى الله عليه و سلم– القرآن، عن أبي هريرة قال: كان يعرض على النبي –صلى الله عليه و سلم– القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه و كان يعتكف كل عام عشرا. فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه[1].

---

1 رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب كان جبيرل يعرض القرآن على النبي –صلى الله عليه و سلم– أنظر: ابن حجر، فتح الباري (مرجع سابق). ج19. ص51.

2 المرجع نفسه و الصفحة.

3 أنظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري. (مرجع سابق). ج19. ص52.

و على هذا فكثرة العرض من جبريل – عليه السلام- على النبي –صلى الله عليه و سلم- و العكس، تفيد مراجعة ما قد نزل جملة و هذه المراجعة تقوم على الترتيب و خصوصا المراجعة في السنة الأخيرة، وكانت مرتين. و لم تكن المراجعة مجرد قراءة فقط بل كانت تعتمد على المدارسة فقد روى البخاري عن ابن عباس قوله :"و كان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن –صلى الله عليه و سلم-[2].

و كما عرض كل من جبريل و النبي –صلى الله عليه و سلم- القرآن على الآخر عرض النبي –صلى الله عليه و سلم- القرآن على أصحابه و عرضوه عليه مرتبا في الآيات و السور، فهذا ابن مسعود[3] يعرض القرآن على النبي –صلى الله عليه و سلم- و هذا أبى بن كعب يعرض رسول الله –صلى الله عليه و سلم- عليه القرآن[4]. ولم يكن عرضا طارئا، بل كان عرضا متتابعا كما يقول ابن مسعود :قرأت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بضعا و سبعين سورة"[5].

و في هذا العرض علمهم النبي –صلى الله عليه و سلم- ترتيب الآي و السور كما علمهم ضرورة مراعاة الترتيب في العبادات و المناسك و أنه شرط في صحتها. و في السنة التي توفي فيها رسول الله –صلى الله عليه وسلم- عرض عليه زيد بن ثابت القرآن الكريم"[6].

---

1 المرجع نفسه. ج19، ص 54.

2 المرجع نفسه. ج1. ص 67.

3 البخاري كتاب التفسير باب فكيف إذ جئنا من كل أمة بشهيد و جئنا بك على أنظر : ابن حجر العسقلاني، فتح الباري. (مرجع سابق) ج18. ص 115.

4 البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة "لم يكن" أنظر : ابن حجر، فتح الباري. ج18. ص 382.

5 رواه مسلم في صحيحه باب فضائل عبد الله بن مسعود و أمه –رضي الله عنهما

6 أبو زهرة، المعجزة الكبرى، (مرجع سابق). ص 31.

ولعله بسبب هذا رشح كل من "أبي بكر الصديق" و"عثمان بن عفان" " زيد بن ثابت" لتولي مهمة جمع القرآن الكريم، و زيد هذا لن يفعل شيئا من تلقاء نفسه فقد جمع القرآن مع الصديق و جمعه و رتب سوره كتابه مع عثمان بن عفان –رضي الله عنهم جميعا– و نسخ منه مصاحف للأمصار الأخرى القصية. و ننتهي من هذا كله إلى أن ترتيب السور كترتيب الآيات كان بوحي من الله تعالى[1].

و الخلاصة التي يمكن قولها بعد هذا العرض الموجز أن معالم القرآن واضحة جلية و ثابتة، فمصدره معلوم و هو الله و الذي بلغه جبريل –عليه السلام– و الذي نزل عليه محمد بن عبد الله –صلى الله عليه و سلم– و قد كتبه في حياته و عرضه على أصحابه و عرضوه عليه كما حفظوه في صدورهم فضلا عن كتابتهم إياه في الرقع وفي اللخاف و قد جمعت نصوصه المكتوبة المتفرقة في عهد أبي بكر الصديق في صحف ثم أعيد الجمع في عهد عثمان بن عفان، و نسخت منه نسخا أرسلت إلى الأمصار. و كان نزول القرآن و كتابته باللسان العربي المبين، و قد قسم القرآن الكريم إلى آيات و سور بتوقيف من الله لرسوله و رتبت الآيات و السور كذلك بتوقيف من الله لرسوله –صلى الله عليه و سلم– و قد شهد أكثر الصحابة قراءة النبي –صلى الله عليه و سلم– و حفظوه عنه و شهدوا جمع أبي بكر و عثمان بن عفان وطابقوا بين المحفوظ و المكتوب فكان التوافق و التطابق فتوافر بذلك للقرآن الكريم الإجماع و التواتر و هو ما لم يحدث لكتاب قبله من الكتب المقدسة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

---

1 المرجع نفسه، ص 45.

2. تحديد مصدر القرآن الكريم :

1.2. النظر في الجانب الشخصي :

تحدثنا في المبحث السابق عن طريقة وصول القرآن إلينا وقلنا أنه جاءنا متواترا في "الصدور و في السطور" ، وهذه ميزة اختص بها القرآن الكريم عن الكتاب المقدس في العهد القديم والجديد ، أو صحف إبراهيم المزعومة في الهند .

ولعل أبرز دليل على صحة دعوانا كثرة التناقضات الموجودة في تلك الكتب المقدسة ، و خلو هذا الكتاب الذي بين ظهرانينا منها ، وليس هذا غريبا على هاته الكتب المقدسة ؛ لأنها كتبت في فترات زمنية متباعدة عن مبلغيها كانت كافية للإضافة أو الحذف أو التحريف و التبديل.

ومن الأمور المتفق عليها والتي لا جدال حولها أن هذا القرآن العربي الذي نزل على رسول الله – صلى الله عليه و سلم- و نزل باللغة العربية لا يزال حتى الآن – و سيظل- بهذه اللغة دون اختلاف على الرغم من كثرة النسخ وتعدد المصاحف ، وهذا يدل على أن الأصل واحد غير مختلف ، وهذا أمر واقع يفرض نفسه دون أي ادعاء ضد القرآن الكريم.

فصحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النص أهمية خاصة بين الكتب المقدسة ، ولا يضاهي القرآن في هذه الحيثية أي نص آخر ، بل إن مجرد المقارنة بينه وبينها من هذا الجانب قد تزري من قدر القرآن.

إذا: فالقرآن يتمتع بعنصر الصحة من البداية ، وقد تحدثنا عن ذلك بإسهاب في المبحث الأول الذي عقدناه للتعريف بالقرآن.

وهناك أمر آخر نود أن نشير إليه ونلفت الانتباه أن من يتتبع حياة محمد –صلى الله عليه و سلم- قبل أن يوحى إليه بالقرآن فإنه يستطيع أن يلمح بوضوح لا تعوزه الشواهد أنها كانت حياة متفردة عن أنماط الحياة السائدة في عصره ، تتمثل في رفضه لعبادة قومه للأصنام وانغماسهم في أوضار الحياة الدنيا وتمتعهم بملذاتها .

وهكذا شب محمد بن عبد الله يبغض أصنام قومه ، و يقول عن اللات و العزى "والله ما أبغضت شيئا قط بغضها"[1] . أما سلوكه و خلقه فكما يقول ابن اسحق:"فشب رسول الله –صلى الله عليه و سلم– والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ؛ لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم حوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما سماه قومه إلا الأمين ؛ لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة"[2] ، والروايات على هذا متواترة مجتمعة.

كما روى البخاري في سنده عن أبي سفيان بن حرب أن هرقل عظيم الروم أرسل إليه وهو في ركب من قريش يتاجرون في الشام ، بعد هجرة الرسول –صلى الله عليه و سلم– إلى المدينة ووقوع الحرب بين المسلمين والمشركين ، وأبو سفيان عندئذ من زعماء المشركين – فدعاهم هرقل إلى مجلسه وحوله عظماء الروم ، ودعا بترجمانه ، وقال للقرشيين: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه بني؟ فقال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسبا . فقال هرقل: أدنوه مني ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه.

يقول أبو سفيان : فوالله لولا الحياء من أن يؤثروا عليَّ كذبا لكذبت عنه ، فكان مما سأله عنه: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان : لا .

و سأله هرقل : فهو يغدر ؟ قال أبو سفيان : لا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – المكتبة الرقمية

[1] ابن هشام ، **السيرة النبوية** ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى، ج1، ص 196.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 197.

و كان من تعليق هرقل على ذلك: إنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله فيما يدعيه ، أما عن الغدر : فكذلك الرسل لا تغدر"[1] .

وهذه ولا شك شهادة حاقد عليه شائن له وهو على بغضه الشديد وحنقه لم يستطع أن يرميه بما يشينه سواء في الجاهلية أو الإسلام.

ولا ريب أن السيرة الذاتية ومدى جديتها وصدقها معيار صحيح في تبيين النبي من المتنبئ والصادق من المدعي.

ونحن من جانبنا لا نشك في أن هذا الجانب من شخص الرسول –صلى الله عليه و سلم– كان مثار تفكير عميق من هؤلاء الذين لم يصدقوا بدعوته بعد أن عرفوه جيدا قبلها . إذ أنه من الصعب أن يلجأ مثله إلى الكذب على الله وفي هذا الأمر الخطير وهو الذي لم يعهد عليه كذب قط في دنيا الناس.

ولعل هذا معنى قوله تعالى : (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)[2]

وفي دلالة هذه الآية يقول سيد قطب رحمه الله :" إن مشركي العرب في جاهليتهم وخاصة تلك الطبقة التي كانت تتصدى للدعوة من قريش لم يكونوا يشكون في صدق محمد – صلى الله عليه و سلم– فلقد عرفوه صادقا أمينا ، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته الطويلة بينهم قبل الرسالة ، كذلك لم تكن تلك الطبقة التي تتزعم المعارضة لدعوته تشك في صدق رسالته وفي أن هذا القرآن ليس من كلام البشر ، ولا يملك البشر أن يأتوا بمثله. . .

---

[1] انظر الحديث بأكمله في: صحيح البخاري كتاب بدء الوحي.

[2] الأنعام، الآية : 33.

ولكنهم على الرغم من ذلك كانوا يرفضون إظهار التصديق ، ويرفضون الدخول في الدين الجديد ! إنهم لم يرفضوا ؛ لأنهم يكذّبون النبي – صلى الله عليه و سلم- ولكن لأن في دعوته خطرا على نفوذهم ومكانتهم ، وهذا هو السبب الذي قرروا من أجله الجحود بآيات الله ، والبقاء على الشرك الذي كانوا فيه"[1] .

ونعتقد أن محاولة الجمع بين هذين الضدين في الحقيقة قد أثارت نوعا من الصراع النفسي العميق في عقول القائلين به ، لكننا يمكن أن نتفهم إمكانه إذا عرفنا الأسباب الحقيقية لموقف قريش هذا وحقيقة ظنهم بهذا القرآن.

قال ابن إسحاق : "حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري : أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله –صلى الله عليه و سلم- و هو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه. وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذ طلع الصبح تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: فلا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا ... حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك... ثم تفرقوا... فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : يا أبا ثعلبة ، و الله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها .

قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه في بيته فقال يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال: ماذا سمعت ؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف... أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب ، وكنا

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص 1074.

كفرسي رهان ، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه! قال: فقام عن الأخنس وتركه..."[1] .

وهذه الصورة تبين ولا شك الحالة النفسية التي كانت وراء الجحود والإنكار حيث تغلب سلطان العادة والمحافظة على العقائد ونظم الحياة الموروثة على كل احتمال لقبول التغيير بطريق إعمال العقل والفكر ووزن الحياة بميزان محايد بعيد عن الإلف والعادة و العرف.

ولعل من دلائل صدقه –صلى الله عليه و سلم– وأمانته في دعوى الوحي الذي نحن بصدده، أن النبي – صلى اله عليه و سلم– لم يكن ليأتي بشيء من القرآن من قبل نفسه ؛ إذ تذكر كتب السيرة أنه بعد أن مر الرسول –صلى اله عليه و سلم– بتجربة الوحي التي كان لها أثر بالغ في نفسه انقطع عنه الوحي فحزن لذلك حزنا شديدا هانت معه الحياة كلها ، حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال. فكلما وافى بذورة كي يلقي نفسه ، يتبدى له جبريل –عليه السلام– فقال: يا محمد إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك قلبه ، وتقر نفسه وتطمئن ويرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي مرة أخرى بعد زمن ، غدا لمثل ذلك ، فإذا وافى ذروة جبل تبدى له جبريل مثل ما سبق.

وقد روي أنه كان يغدو إلى ثبير[2] مرة وإلى حراء مرة أخرى ؛ يريد أن يلقي بنفسه لم يمنعه من ذلك إلا ظهور جبريل له و تثبيت قلبه[3] .

وهذا ما يبين أن نزول الوحي واستدعاؤه لم يكن أمرا في مقدور النبي ، وقد حدث أكثر من مرة وفي نوازل بالغة الحساسية وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالا ومجالا .

---

[1] أنظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج2 ، ص 1074 .

[2] جبل بمكة.

[3] انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، (مرجع سابق): ج1، ص 260.

ألم يرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة-رضي الله عنها- وأبطأ الوحي ، وطال الأمر والناس يخوضون ، حتى بلغت القلوب الحناجر وهو لا يستطيع إلا أن يقول بكل تحفظ واحتراس:" إني لا أعلم عنها إلا خيرا"[1] .

ولم يستطع الرسول على الرغم من رغبته في ذلك أن يستدعي نزول الوحي ، لكن الأمر كان بيد الله وحده .

ومضى أكثر من شهر بأكمله والكل يقولون ما علمنا عليها من سوء، لم يزد على أن قال لها آخر الأمر:" يا عائشة: أما أنه بلغني كذا وكذا ، فإن كنت بريئة ، فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله"[2] .

ويقول العلامة الشيخ عبد الله دراز عن هذه الواقعة : "هذا كلامه بوحي ضميره ، وهو كما ترى كلام البشر الذي لا يعلم الغيب ، وكلام الصديق المتثبت الذي لا يتبع الظن ولا يقول ما ليس له به علم ، على أنه لم يغادر مكانه بعد أن قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلنا براءتها ، ومصدرا الحكم المبرم بشرفها وطهارتها"[3] . الحديث أخرجه الشيخان و غيرهما .

فما الذي كان يمنعه لو كان الوحي مرتهنا بيده أن يقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي عرضه ويبطل أقوال المتحرشين ويخرس ألسنتهم؟ ولكنه كما قال هرقل الروم:" ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله" .

وأخرى: أن اليهود قالت لقريش: سلوا محمدا عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنين ، فسألوه ، فلما تطلع إلى إسلامهم أخبرهم بتلك الأمور التي لم يكن يعرفها إلا نبي ، وقال لهم: ايتوني غدا أخبركم. ولم يقل "إن شاء الله" فأبطأ عليه الوحي حتى شق ذلك عليه ، وكذبته قريش وأمعنوا في إيذائه وقالوا له: لقد هجرك شيطانك الذي كان يوحي عليك ، ولو كان أمر استدعاء الوحي بيد رسول الله

---

[1] محمد عبد الله دراز، النباء العظيم، (مرجع سابق).ص 24.

[2] المرجع نفسه والصفحة .

[3] المرجع نفسه والصفحة.

لاستدعاه على الفور ، ولكن الأمر كان بيد الله وحده ، فلما أذن الله بنزول الوحي عليه بعد انقطاعه وانتظاره أجاب عن أسئلتهم قال لنبيه: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا﴾ [1] . فكان هذا التأخير والنهي تعليما للنبي – صلى الله عليه و سلم– أن أمر الغيب موكول لله وحده ، ولا يملك من أمره هو نفسه شيئا .

وهذه الوقائع تؤكد على أن تجربة الوحي منذ بدئها وحتى نهايتها كانت أمرا مستقلا منفصلا عن شخصية الرسول وإرادته الذاتية ؛ بمعنى أنها كانت تهبط عليه وتفرض وفقا لإرادة أعلى من كل إرادة بشرية. وقد مرت به في سنوات الوحي ظروف عصيبة احتاج فيها – بصورة بالغة الإلحاح – إلى هبوط فوري للوحي ، لكن الوحي يبطأ عليه في بعضها ، مراعاة لحكم مختلفة. مقررا أن الوحي من أمر الله وحده ، و أنه لا تتدخل إرادة ما لبشر – ولو كان النبي المختار للوحي– في شيء منه سوى تلقي ما يوحى به عندما يأذن الله بذلك وتبليغه للناس"[2] .

وشيء آخر يستلفت انتباهنا في شخصية محمد هو وقوفها موقف جهاز الاستقبال الحساس الدقيق ، دون أن تكون هناك إضافة أو إيجابية تنم عن تلك الشخصية ، بل كان القول أحيانا يأتيه على غير ما يحبه و يهواه. فيخطئه في الرأي يراه ، ويأذن له في الشيء لا يميل له ، فإذا تلبث فيه يسيرا تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد، والعتاب القاسي ، والنقد المر ، حتى في أقل الأشياء خطرا: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ﴾[3] . وخاطبه في سورة الأحزاب بقوله:﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾[4] .

---

[1] الكهف، الآيتان : 23-24.

[2] د.محمد بلتاجي، **مدخل إلى الدراسات الاسلامية**، ط 1.القاهرة: مكتبة الشباب 1982 م .ص: 139.

[3] التحريم، الآية :1.

[4] الأحزاب، الآية : 37.

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾[1] .

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[2] وقوله:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3] . وقوله:﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾[4] .

و يقول العلامة محمد عبد الله دراز معلقا عن هذه الآيات التي تبين حيادية الرسول وعلى أحقية القرآن:" أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه ، معبرة عن ندمه ووخز ضميره حين بدا له خلاف ما فرط في رأيه ، أكان يعلنها عن نفسه بهذا التهويل والتشنيع؟ ألم يكن له في السكوت ستر على نفسه ، واستبقاء لحرمة آرائه؟ بل إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتم شيئا من ذلك الوجدان ، ولو كان كاتما شيئا لكتم أمثال هذه الآيات ، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[5،6] .

والخلاصة: أن الأدلة التاريخية المتواترة تذكر ادعاءه للنبوة ، وتصديق دعواه بالمعجزات ، ويبين الإسلام أن الشخصية المحمدية إنما وضعت موضع جهاز لاقط بدليل ما نجده في عدم تحكمه في الوحي الذي يأتيه حتى أننا نلاحظ أن القرآن يضع النبي في موضع المخاطب. وفي هذا أعظم دلالة على أن القرآن ليس من تأليف محمد ؛ إذ كيف يعقل أن يكون هذا الكتاب من تأليفه ، ثم يوجهه إلى نفسه على سبيل الخطاب.

ومما يؤيد ذلك أن الإسلام يفرق تفرقة حاسمة بين الحديث القدسي و(مضمونه وحي) والقرآن الكريم.

---

[1] التوبة، الآية : 43.

[2] التوبة ، الآية : 113 .

[3] الأنفال، الآية : 67.و ما بعدها.

[4] عبس، الآية : 05 و ما بعدها.

[5] التكوير، الآية : 24.

[6] محمد عبد الله دراز، **النبأ العظيم**، ص 25 - 26 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

والآن نتجه إلى الجانب الثاني.

2.2. النظر في الجانب الموضوعي :

و هو النظر في محتوى القرآن ذاته ، وما احتوى عليه من إعجاز بلاغي ، أو من ناحية تنبؤاته بالمستقبل، وبإعجازه في الإخبار عن أسرار الكون ، أو في تشريعاته ، وفي ما يلي سوف نذكر تلك الوجوه من الإعجاز.

1.2.2 الإعجاز البلاغي :

لقد كان العرب أمة الفصاحة والبلاغة ، وكان ذلك أرقى ما يملكون وفيه بلغوا أرقى الدرجات.

و في هذا المجال الذي برعوا فيه تحداهم القرآن الكريم بأن يأتوا بمثله ، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور من مثله ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، ورغم هذا التحدي القوي والتحفيز إلى حد الإثارة نجدهم قد عجزوا على الاستجابة ووقفوا مذهولين مدهوشين ؟ أمام روعة القرآن وجلاله وجماله.

قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[1] .

وقال أيضا: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[2] .

وقال جل و علا: ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[3] .

وقد قال: "الوليد بن المغيرة" حين استمع إلى القرآن: والله لقد سمعت كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى ، وأنه ليحطم ما تحته"[4] .

---

[1] البقرة ، الآية : 23.

[2] هود، الآية :13.

[3] الإسراء، الآية : 88.

[4] نقلا عن : سيد قطب. في ظلال القرآن .ج6 ، ص 3756.

ويبدو أن "الوليد بن المغيرة"قد رق لمحمد حين قرأ عليه القرآن ، فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال له: " أي عم! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا: قال: لم؟ قال يعطونكه ؛ فإن أتيت محمدا تتعرض لما قبله (يريد بخبث أن يثير كبريائه من الناحية التي يعرف أن الوليد أشد بها اعتزازا) قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا!

قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال ، وأنك كاره له! قال: فماذا أقول فيه؟ فو الله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن! والله ما يشبه الذي يقوله شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ما تحته ، وإنه ليعلو وما يعلى".

فقال أبو جهل : " والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه".

قال الوليد: " فدعني حتى أفكر فيه. . . فلما فكر قال:﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[1] .

أما عجز العرب على الإتيان بمثل هذا القرآن أو بعشر سور أو سورة واحدة فهو ثابت تاريخيا ؛ إذ لو استطاعوا مواجهة تحديه لفعلوا ذلك دون أن يضطروا إلى مواجهته بالحروب والدماء. ثم الانهزام أمامه ، فلما لم يستجيبوا للتحدي عرفنا عجزهم.

ولا يمكن أن يفسر هذا الجانب البلاغي في القرآن الكريم إلا تفسيرا آخر غير استناد القرآن إلى مصدر إلهي ، إذ لم يسبق لرسول الله – صلى الله عليه و سلم- أن جاراهم في الشعر ، ولم يظهر منه بنوع في هذا الجانب ، بل كانوا يعرفونه أنه أمي ، ولهذا فقد اضطروا أن يقولوا بأنه قد تعلمه من غيره ، وردهم القرآن فقال:﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾[2] . والقرآن هو نمط آخر في البلاغة العالية والأدب الرفيع ، ولا يعقل في العادة أن يبتكره شخص أمي لم يكن له سابق معرفة بالقراءة والتعلم.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، (مرجع سابق). ج 6 ، ص 3756.

[2] النحل، الآية : 103.

2.2.2. الإعجاز العلمي :

إن الدارس المتجرد والباحث الصادق إذا دعي للنظر في القرآن الكريم وما حواه من إشارات علمية هادية في العالم والإنسان ، ليدرك إدراكا جازما أن ما جاء في هذا الكتاب لا يمكن أبدا أن يكون من طور العقل عقل محمد صلى الله عليه و سلم ، أو عقل غيره ، وخاصة أنه رجل أمي في أمة أمية ، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[1] .

إن القرآن الكريم قد بشر بكثير من الحقائق العلمية التي لم يكشف عنها النقاب إلا في هذا العصر ، ونحن لا نهدف إلى استقصائها جميعا ، وإنما مرادنا ذكر شيء منها قصد إثبات أن مصدر القرآن هو الله تعالى.

أ – الحقائق الإنسانية :

احتوى القرآن الكريم كثيرا من الحقائق العلمية المتعلقة بالإنسان منها :

- **خلق الإنسان من علق :** قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[2] و العلق هي الحيوانات المنوية التي تسعى لدخول الرحم فتلقح البويضة فتتعلق بجدارها ، ولولا هذا العلق ما كان حمل ولا ولادة ، ولقد وضع العلماء ماء الرجل تحت المجهر فشاهدوا فعلا هذا الحيوان المنوي (العلق) وحركته بمساعدة رأسه وذنبه وهو يتعلق بالبويضة[3] .

والسؤال: كيف رآه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن حينئذ مجهر؟ كيف يمكن وصفه بتلك الصورة من رجل أمي لا دراية له بالطب؟ .

---

[1] الجمعة، الآية : 2.

[2] العلق، الآيتان : 1-2 .

[3] سعد الدين السيد صالح، **المعجزة و الإعجاز في القرآن الكريم**، ط 2 القاهرة، دار المعارف، 1993، ص 190.

والجواب: سبحانك ربي! لم يكن أحد على الإطلاق يعلم أن في المني علقا يخلق الإنسان منه إلا أنت ، فالقرآن كلامك ، لا كلام أحد من البشر.

- **حقيقة خلق الإنسان بمراحل :**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1].

فالإنسان الأول آدم عليه السلام خلق من تراب كما ذكر القرآن وبين العلم ؛ فقد اكتشف الباحثون أن كل العناصر المكونة للجسم البشري موجودة في التراب ، والنطفة أيضا استلت من عناصر التراب ، ثم كان تكاثر هذا الإنسان عن طريق التزواج.

وبعد تطور العلوم الطبية استطاع العلماء متابعة مراحل تطور خلق الإنسان ، فشاهدوا عملية الإخصاب التي تتم بين الحيوان المنوي للذكر وبويضة الأنثى في أعلى القناة الواصلة بين المبيض والرحم ؛ فيبدأ الإنسان خلية واحدة ، ثم تنحدر في اتجاه الرحم مستغرقة في رحلتها ما يقارب الأسبوع تكون خلالها قد تكاثرت حتى أصبحت كتلة من الخلايا تلتصق بجدار الرحم كأنها قطعة من اللحم الممضوغ ، ثم ينشأ طراز من العظم أكثر شفافية وأقل صلابة وأشد رخاوة وهو الغضروف الذي تترسب حوله مادة العظام فيما بعد ، ثم تنشطر الخلايا في كافة أجزاء المضغة فتكون الأنسجة والأجهزة التي تكسو العظام باللحم.

وفي كل هذه المراحل السابقة لا توجد فروق بين جنين الإنسان وجنين الحيوان ، ولكن ما إن يوشك الشهر الثاني على الانتهاء حتى تتضح الخصائص الإنسانية لهذا الجنين ، فإذا به خلق آخر يخرج إلى العالم يمضي فيه ما شاء الله له ، ثم يموت ويبعث يوم القيامة[1].

---

[1] المؤمنون، الآيات : 12-16.

- **حقيقة أن الجلد مركز الإحساس :**

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[2].

"وصل علم الطب أخيرا إلى أن مركز الإحساس في الإنسان هو الجلد وأن الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية ليست هي المركز لذلك ، بل الإحساس فيها ضعيف لدرجة أن الحرق البسيط في الجلد يحدث ألما شديدا ، بينما الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد لا يحدث ألما كبيرا على الرغم من خطورته"[3].

يقول ألكسيس كاريل: "وعن طريق سطحه الخارجي (أي الجلد) يتصل الجسم بالعالم الكوني وحقيقة الأمر أن الجلد هو مأوى كمية هائلة من أعضاء الاستقبال يسجل كل منها تبعا لتكوينه الخاص التغيرات التي تحدث في البيئة ؛ فالخلايا القابلة للمس والمبعثرة على سطحه تحس بالضغط والألم والحرارة والبرودة"[4].

وهذه الحقيقة العلمية كشف عنها القرآن منذ أمد بعيد ؛ ففي الآية التي ذكرناها والتي تشير بوضوح إلى أن النار كلما أحرقت جلود الكافرين وقل إحساسهم بالألم بدل الله لهم جلودا أخرى حتى يستمر الإحساس بالألم بلا انقطاع ، ولم يكن أحد يعلم بهذه الحقيقة يوم نزول القرآن إلا منزله سبحانه.

- **بصمات الأصابع :**

انتهى خبراء البصمات إلى أن بصمة الإصبع أدل على الإنسان من أي شيء آخر. يقول العلماء:" أن لبصمة الإصبع مائة من الخصائص من حيث أشكالها ومن حيث مواضعها ، ولكي نعثر على رجلين يشتركان في عشرة من هذه الخصائص لا بد من امتحان ألف مليون رجل"[5].

---

[1] أنظر تفصيلا لذلك : محمد عز الدين توفيق، **دليل الأنفس بين القرآن الكريم و العلم الحديث**، ط2، القاهرة، دار السلام، 1988، ص 67-164

[2] النساء، الآية : 55.

[3] سعد الدين سيد صالح، المعجزة و الإعجاز في القرآن، ص 196.

[4] المرجع نفسه و الصفحة.

[5] المرجع نفسه ، ص 197

وهذه الحقيقة يكشف عنها القرآن منذ أمد حيث قال:﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[1] .

فهذه الآية الكريمة برهان قاطع على أن القرآن من عند الله ؛ إذ من المحال أن يعرف النبي الأمي الذي عاش في جزيرة العرب أن لكل بنان من البشر رسوما وخصائص تختلف عن الآخرين ، وكيف يعرف ذلك وليس لديه وسائل معرفته إلا أن يكون وحيا من الله أوحاه إليه.

- **مسؤولية الناصية عن توجيه الإنسان :**

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني:" لقد أزال البروفيسور محمد يوسف سكر عني حيرة لازمتني خمسة عشرة عاما عندما كان يحدثني عن وظائف المخ فقال: إن وظيفة الجزء من المخ الذي يقع في ناصية الإنسان ، هي توجيه سلوك الإنسان ، ثم يقول: عرضت الموضوع على عدد من العلماء المتخصصين ، فمنهم البروفيسور كيث آل مور الذي أكد أن الناصية هي المسؤولية عن المقاييسات العليا وتوجيه سلوك الإنسان ، وما الجوارح إلا جنود تنفذ هذه القرارات"[2] .

ثم يواصل الشيخ الزنداني حديثه فيقول:" يقول البروفيسور كيث:" إن هذه المعلومات التي نعرفها عن وظيفة المخ لم تذكر طوال التاريخ ، ولا نجد في كتب الطب عنها شيئا" . . . ولم يأت الحديث عنها إلا في القرآن مما يدل على أن هذا من علم الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما"[3] .

وهذا المعنى هو ما أشارت إليه الآية:﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾[4] .

---

[1] القيامة، الآيتان : 3-4.

[2] عبد المجيد الزنداني، **علم الإيمان**، ط1، الجزائر، دار المنابع 2002، ص 256.

[3] المرجع نفسه، ص 261 – 262 .

[4] العلق، الآية : 17

ب – الحقائق الكونية :

أشار القرآن الكريم في كثير من آياته إلى حقائق كونية ، قصد بها دلالة الإنسان على خالقه منها :

- **الانفجار الكوني :**

صدرت دراسات عديدة تفيد بأن السماوات والأرض كانتا جسما واحدا ، ثم وقع انفجار عظيم تكونت بواسطته النجوم والكواكب .

وتمكنت هذه الدراسات من اكتشاف أن باطن الأرض لا يزال ناريا ملتهبا كجسم الشمس وكباطن معظم الكواكب التي لم تبرد ، وهذا المعنى هو ما أشار إليه الحق سبحانه في كتابه﴿ **أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[1] .

إن هذه المعلومات برهان جديد على أن القرآن من عند الله ؛ إذ من المستحيل أن يعرف النبي الأمي ما لم يتوصل إليه البشر إلا حديثا بما عندهم من معدات ضخمة ومعلومات متراكمة[2] .

- **حقيقة الاتساع المستمر في الكون :**

يقول وحيد الدين خان:" إن كوننا هذا فسيح جدا ، ولكي نفهمه نتصور طائرة خيالية تسير بسرعة الضوء (300000 كلم/ثا) وأن هذه الطائرة تطوف حول الكون الموجود الآن ، إن هذه الرحلة الخيالية سوف تستغرق مليار سنة ، يضاف إلى أن هذا الكون ليس بمتجمد وإنما هو يتسع كل لحظة ، حتى إنه بعد مليار وثلاثمائة مليون سنة تصير هذه المسافة الكونية ضعف المسافة الحالية ، وهكذا لن تستطيع هذه الطائرة أن تكمل دوارنها حول هذا الكون أبدا ، و إنما ستظل تواصل رحلتها في نطاق هذا التوسع الدائم في الكون ، وهذه نظرية إينشتاين عن الكون" [3] .

---

[1] الأنبياء ، الآية : 30 .

[2] عبد المجيد الزنداني ، علم الإيمان ص 220 و ما بعدها ، وسعد الدين صالح ، المعجزة و الإعجاز ص 198.

[3] حيد الدين خان ، **الإسلام يتحدى** ، تر:ظفر الإسلام خان ، ط6 . القاهرة : المختار الإسلامي 1976 ، ص : 51

وخلاصة القول: أن العلم الحديث اليوم يؤكد بأن هذا الكون واسع جدا ، وأنه كل يوم يزداد اتساعه وبانتظام .

لقد توصل العلماء إلى هذا بعد طول بحث ونظر فلنستمع الآن إلى الحق تبارك و تعالى وهو يذكر لنا هذه الحقيقة بأقصر عبارة:﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [1] .

فهل يعقل أن يكون هذا الكلام من عند رجل أمي عاش في الصحراء منذ زمن بعيد ، إنه لا يمكن إلا أن يكون تنزيل العزيز الحميد عز وجل .

- **تثبيت القارات الجبال :**

تثبت الدراسات الحديثة أن الجبال لها امتدادت تحت السطح تزيد على ارتفاعها الظاهر بعدة مرات[2] ويقول الأستاذ زغلول النجار:" إن الجبال ما هي إلى قمم لكتل عظيمة من الصخور تطفو في طبقة أكثر كثافة كما تطفو جبال الجليد في الماء"[3] .

فالجبال أوتاد بالنسبة لسطح الأرض ؛ فكما يختفي معظم الوتد في الأرض للتثبيت كذلك يختفي معظم الجبل في الأرض لتثبيت قشرة الأرض [4] .

وهذا ما وصف به القرآن شكل ووظيفة الجبال فقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [5] . ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [6] .

قال الزمخشري :" ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد " [7].

---

[1] الذاريات، الآية : 48 .

[2] عبد المجيد الزنداني ، علم الإيمان ، ص : 263 .

[3] نقلا عن : عبد المجيد الزنداني : علم الإيمان ، ص : 264 .

[4] وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ، ص : 128 .

[5] لقمان ، الآية : 10

[6] النبأ ، الآية : 07 .

[7] الزمخشري ، الكشاف ، ج 4 ، ص 177 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

فمن أخبر محمدا صلى الله عليه و سلم بامتداد الجبال تحت الأرض ، وبأن دورها تثبيت القارات؟ من أخبره بهذه المعلومات التي لم يعرفها الإنسان إلا في القرن العشرين؟ ! ألا يكفي هذا دليلا على أن القرآن هو وحي الله تعالى إلى رسوله ؟

- **الحاجز بين البحرين :**

لقد أسفرت الدراسات الواسعة لخصائص البحار عن اكتشاف حواجز مائية تفصل بين البحار الملتقية وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر من حيث الكثافة ، والملوحة ، والأحياء المائية ، والحرارة ، وقابلية ذوبان الأوكسجين في الماء .

وقد تطلب الوصول إلى حقيقة وجود الحواجز بين الكتل البحرية وعملها في حفظ خصائص كل بحر ، قرابة المائة سنة من البحث والدراسة ، اشترك فيها مئات الباحثين ، واستخدم فيها الكثير من الأجهزة ، والوسائل وهذه النتيجة ذاتها نطق بها القرآن الكريم قال تعالى:﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾[1] .

إن هذه المعلومات التي نزل بها القرآن الكريم وصفا لأدق الأسرار في عالم البحار في زمن يستحيل على البشري معرفتها ، ليدل دلالة قاطعة أن مصدر هذا الكلام هو الله تعالى[2] .

- **حقيقة نقص الأكسجين في طبقات الجو العليا:** اكتشف العلماء حديثا بمساعدة العديد من الوسائل العلمية أن طبقات الجو العليا خالية من الأكسجين إذ يشعر الصاعد لهذه الطبقات بصعوبة في التنفس وضيق في الصدر، لذلك يستخدمون أجهزة التنفس الصناعية و ذلك ما يشير إليه القرآن الكريم بقوله:﴿ فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾3 .

---

[1] الرحمان ، الآيتان : 19 ، 20 .

[2] انظر : وحيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ص 124 ، 125 .

[3] الأنعام ، الآية : 125.

فمن أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم أن الهواء ينقص حين الصعود إلى السماء ؟ إنه رب الأرض والسماء أوحى به إليه ، وهذا دليل آخر على أن مصدر القرآن هو الله رب العالمين.

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الحقائق العلمية التي أشارت إليها الآيات مثل:

- قانون الزوجية في الأشياء:﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]
- قانون الجاذبية:﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[2]
- حركة الكواكب: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[3]
- تلقيح السحب:"﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ [4]

جـ - الحقائق التاريخية :

1 - نجاة فرعون ببدنه :

جاء في القرآن العظيم عند الحديث عن قصة فرعون مع موسى قوله تعالى:﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾[5] .

إن هذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تعرف إلا منذ سنوات قليلة.

وقد تمكن الأطباء بعد الكشف عن جثة فرعون من معرفة: آثار الموت غرقا

1-آثار ملح ماء البحر

2-أظهرت أشعة إكس (X) تكسير العظام دون تمزق الجلد واللحم بسبب ضغط الماء ، ويبين الدكتور موريس بوكاي وجه الإعجاز في هذه القضية قائلا:" وفي العصر الذي وصل فيه القرآن

---

[1] الذاريات ، الآية : 49 .

[2] الرعد ، الآية : 04 .

[3] يس، الآية : 38.

[4] النور ، الآية : 43 .

[5] يونس، الآية : 92.

للناس عن طريق محمد كانت جثة الفراعنة مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية ، في عصر محمد صلى الله عليه وسلم كان كل شيء مجهولا عن هذا الأمر ، ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر"[1] .

2. الإخبار بهزيمة الفرس :

أخبر القرآن الكريم بأن الروم المغلوبة في حربها ضد فارس ستكون لها الغلبة على عدوها ، وذلك في مدة لا تتجاوز بضع سنوات، قال تعالى:﴿ الم غُلِبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] .

و فعلا نجح المسلمون في هذا الامتحان الصعب الذي راهنوا عليه بعد سبع سنوات من نزول الآية ، وفرح المسلمون بانتصار الروم –أهل الكتاب– وكان صدق هذا الخبر سببا في إسلام خلق كثيرين[3] .

3. الإخبار بدخول مكة:

قصد النبي صلى الله عليه و سلم في السنة السادسة للهجرة مكة للعمرة ، ورأى في المنام أنه يدخلها هو وأصحابه محلقين رؤوسهم، ومقصرين ، قص ذلك على أصحابه ففرحوا ، وظنوا أنهم سيدخلونها هذا العام إلا أن الامور جرت على خلاف ظنهم ؛ إذ منعوا من دخولها ، وتم الصلح المشهور بصلح الحديبية ، وفيه: أن يعودوا هذا العام دون اعتمار ، ويسمح لهم بذلك في العام المقبل ، فعز ذلك على أصحابه وآلمهم كثيرا ، و فرح المنافقون وأخذوا في الشماتة بقولهم:" والله ما حلقنا ولا قصرنا ، ولا رأينا المسجد الحرام"

---

[1] نقلا عن : عبد المجيد الزنداني، علم الإيمان ص 224-225.

[2] الروم، الآيات : 1-6

[3] أنظر : عبد المجيد الزنداني ، علم الايمان ص 232-233 و وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى ص 117.

وعلى الرغم من حرج الموقف نزلت الآية:﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

ففرح المسلمون واغتاظ المنافقون ، وجاء العام التالي ، ودخل المسلمون مكة ، اعتمروا ، وحلقوا رؤوسهم وقصروا آمنين كما أخبر الله تعالى قبل عام ، ليضاف دليل جديد على أن هذا القرآن من عند الله.

وليس هذا فقط ، بل حدث الفتح القريب وهو دخول أعداد كبيرة الإسلام خلال ذلك الصلح ، إذ كان عدد المسلمين عند الصلح ألفا وأربعمائة مسلم ، وصاروا سنة ثمان للهجرة ؛ أي بعد سنتين حوالي عشرة آلاف مسلم[2].

2.2.4- الإعجاز التشريعي :

جاء القرآن بجملة من التشريعات لينظم بها الجماعة المؤمنة ، وكانت غاية في الرقي ، لم يعرف تاريخ البشر مثلها ، سعد الإنسان تحت ظلها قرونا طويلة وما يزال ، حتى إن بعض الدول الأوروبية أخذت من الشريعة الإسلامية بعض النظم عند إعدادها لدساتيرها وقوانينها الجديدة.

ويتميز النظام التشريعي الإسلامي بارتكازه على أساس الإيمان بالله الواحد السميع ، البصير المطلع على كل شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، وذلك ما يحدث رقابة ذاتية لدى الإنسان.

ومن ميزاته أيضا اختصاص الله تعالى بالتشريع ، وذلك ما يحقق قدرا عاليا من العدالة ؛ إذ لا مصلحة له سبحانه في ظلم الناس أو محاباة طبقة على طبقة ، والحقيقة أن جوانب الإعجاز في التشريع متعددة.

فتحريم الربا تنظيم اقتصادي معجز ظهرت أهميته وضرورته خاصة بعد أن صار ظاهرة عالمية ارتهنت به دول بأكملها لمؤسسات مالية معروفة .

---

[1] الفتح ، الآية: 27

[2] محمد حسن هيتو ، **المعجزة القرآنية** ، ط 3 ، بيروت ،مؤسسة الرسالة 1998 . ص 133 و ما بعدها .

- وتحريم الزنا واللواط تنظيم اجتماعي معجز ظهرت آثار الإعراض عنه جلية في المجتمعات الأوروبية خاصة ، وما أنتجه من دمار على صعيد العلاقات الأسرية وتنظيم المجتمع ، وعلى مستوى الصحة العامة.

- وتحريم الدم ولحم الخنزير أيضا أظهر العلم الحديث فائدته وأهميته ، وسنحاول أن نقف على حكم تشريعي واحد نبين بعض جوانبه:

- تحريم الخمر: لم يعرف في التاريخ البشري من واجه مشكل المسكرات قبل القرآن العظيم وبأرقى أسلوب نفسي و تشريعي ، قال تعالى:

1 -﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1] .

2 -﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [2] .

3 -﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [3] .

إن البلاد الإسلامية اليوم وبإجراء إحصاء دقيق أو بسيط يدلنا على قلة تعاطي الخمور ، وبالتالي قلة آثارها ، بينما البلاد المتحضرة تكتوي بنار آثاره الصحية والنفسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية.

لقد أحرز التشريع القرآني نجاحا فائقا . كيف ذلك ؟

إن النص الأول يثير آثار الخمر في الضمير ، وهذا هو المعبر الأول لحل المشكلات ؛ فهذا الموقف يعتبر مرحلة حضانة ضرورية ، هي المرحلة النفسية للمشكلة وعلى هذا الأساس الذي بنى الضمير الفاضل جاءت الآية الثانية.

---

[1] البقرة ، الآية : 219 .

[2] النساء ، الآية : 43 .

[3] المائدة ، الآية : 90 .

﴿ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [1] .

والهدف واضح هو التطهير التدريجي من أثر الخمر ذلك مما يؤدي إلى حظر خلقي قبل التحريم القاطع بالنص ، وبهذا التدرج تحاشى الآثار الاقتصادية السلبية من تجارة الخمر ، إذ كانت تجارة رائجة فالتمهيد للتحريم صحبه تمهيد في تقليص تجارتها إلى أن جاء التحريم النهائي:﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [2]

قالوا: انتهينا ربنا ، انتهينا ربنا ، وأتلفوا كل ما كان لديهم منها .

فإذا أردنا أن نقف على إعجاز هذا التشريع لنقارنه بالمحاولة الأمريكية لمنع الخمر وهي من أرقى الأمم حضارة.

لقد ثارت مشكلة الخمر في الرأي العام الأمريكي عام1918 ، أدخل بعدها تعديل في الدستور الأمريكي سنة 1919 ، وفي نفس السنة أيد هذا التعديل بإصدار قانون. وأعد لتنفيذ هذا المنع أو التحريم داخل أمريكا عدد كبير من السفن لمراقبة الشواطئ والمراقبة العلمية . . . فما كانت النتيجة ؟

فشل ذريع وسقوط للقانون والتعديل الدستوري ؛ فكيف ينجح محمد صلى الله عليه وسلم فيما فشلت فيه أمريكا ؟ من أين لمحمد صلى الله عليه و سلم القدرة على اجتثاث عادة مستحكمة في العرب ولم يمتلك جزءا يسيرا مما أعدته أمريكا لمحاربة الظاهرة؟ إنه يملك وحي الله تعالى وهديه ، فتبارك الله رب العالمين[3] .

2.2.5- عدم التناقض و الاختلاف :

رغم أن القرآن الكريم احتوى على تشريع كامل لمختلف شؤون الفرد والأسرة والمجتمع ، ورغم أنه أكثر من الحديث عن قصص الأنبياء السابقين. ورغم حديثه المطول عن أسرار الكون والطبيعة الإنسانية ، ورغم حديثه بإسهاب عن العقائد السابقة ومناقشته لها كما سنبين لاحقا رغم ذلك ، و رغم أهمية هذه

---

[1] النساء الآية : 43 .

[2] المائدة ، الآية : 91 .

[3] مالك بن نبي ، **الظاهرة القرآنية** ، تر عبد الصبور شاهين ، ط ، دمشق ، دار الفكر 1986 ص 282 و ما بعدها ,و حيد الدين خان ، الإسلام يتحدى ص 141 –142 .

الميادين فإنا لا نجد القرآن قد تورط في خطأ أو تناقض فيها ، بينما المألوف جدا لأي عالم يريد أن يكتب في هذا الميدان ، رغم إعادة النظر فإنه يقع لا محالة في تناقضات وتعارضات تبدو فيما بعد .

والقرآن الكريم يشير إلى هذا الوجه الإعجازي قائلا:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [1]

فكيف يصدر هذا الأمر من رجل أمي لاسابقة له بالتشريعات ولا بالأديان و الاعتقادات السابقة ؟ ! .

[1] النساء ، الآية : 82.

الفصل الثاني

منهج القرآن في الاستدلال

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منهج القرآن في الاستدلال

* الجانب النقدي

* الجانب الإثباتي

تمهيد

يقوم منهج القرآن المعرفي على دعامتين أساسيتين :

أولاهما : دعامة نقدية سلبية، قوامها التبصير بالعيوب التي تعترض عملية البحث عن اليقين لتلافيها وتحرير العقل منها، و تهيئة الإنسان تماما لتلقي المعارف الصحيحة .

أما ثانيتهما : فهي دعامة إيجابية إثباتية تزود الإنسان بقيم وآليات يستطيع بواسطتها أن يدرك الحقيقة .

1- الدعامة الأولى : الجانب النقدي

ويهدف إلى تطهير الإنسان من كل الموانع ، والحواجز التي تمنع وصول الحقيقة إليه وهي كثيرة نذكر منها :

1.1 .تحرير العقل من التقليد : لقد شن القرآن حملة عنيفة على التقليد ، والاكتفاء بما كان عليه السابقون من معتقدات وآراء ، ودعا إلى تأسيسها على النظر والتفكير بما حبانا به الله من عقول ، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1] . قال الزمخشري "نزلت في طائفة دعاهم الرسول إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم فنعى عليهم ، وقال : أيتبعوهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب"[2] .

وجاء في سورة المائدة قوله تعالى : ": ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[3] .

---

[1] البقرة، الآية: 170

[2] أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ، بيروت : دار المعرفة ، ج1، ص 107

[3] المائدة، الآية: 104

وفي سورة الزخرف نقرأ قوله تعالى:﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[1] .

قال العلامة ابن الجوزي :"في التقليد إبطال منفعة العقل، فقد خلق للتدبر والتأمل ، وقبيح بمن أعطي شمعة أن يطفئها ويمشي في الظلمة "[2] .

2.1 : تحرير العقل من الهوى :

ذم القرآن الكريم الأهواء لأنها إذا تدخلت في حكمنا على الأشياء فستفسدها لا محالة، و ذلك لاختلاف الناس فيها و عدم اتفاقهم عليها، فحيث يكون الهوى ينتفي العلم والهدى وتحل الجهالة والضلالة ، قال تعالى:﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3] .

يقول الزمخشري معلقا على الآية :"و لا تتبع هوى النفس فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله، عن دلائله التي نصبها في العقول ، و عن شرائعه التي شرعها و أوصى بها"[4] .

و قد تكررت الآيات في الكتاب العزيز التي تنه و تحذر من اتباع الأهواء قال تعالى:﴿ بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[5] .﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[6]، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ﴾[7] .

---

[1] الزخرف، الآيات : 21-23

[2] نقلا عن : يوسف القرضاوي، **العقل و العلم في القرآن الكريم** ، ط1،القاهرة : مكتبة وهبة 1996 ص ٤٤٤

[3] ص، الآية : 26

[4] الزمخشري، الكشاف، ج: 3،ص:326

[5] الروم، الآية : 29

[6] الأنعام ، الآية : 119

[7] القصص، الآية : 50

وذم الهوى يعتبر خطوة ضرورية لا غنى عنها لطالب الحق ، والعلم ؛ وذلك لأن الباحث يجب أن يستبعد كل ما يتعلق بذاته في مقابل تحقيق ما يسمى حديثا باسم " الموضوعية" التي تجعل من إدراك الحقيقة العلمية أشمل و أوسع لدى أكثر من شخص أو باحث واحد بنفس الطريقة مهما اختلفت زاوية الإدراك بالنسبة لكل منهم"[1] .

ويندرج تحت حكم الهوى التشيع للآراء، والتعصب للمذاهب ، أو ما يعرف في المصطلح المعاصر بالأحزاب ، ويعد ابن خلدون أول من نبه إلى خطورة هذا المرض حيث يقول في مقدمته:" ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه ، فمنها: التشيعات للآراء والمذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تبين صدقه من كذبه ، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار من أول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاء والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله"[2].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

3.1. تحرير العقل من الظن:

دعا القرآن الكريم إلى اجتناب الظن في القضايا الكبرى كما في مقام تأسيس العقائد خلافا لقضايا الفروع ، واعتبر أكثر الضلال ناتج عنه ، قال تعالى:﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [3] .

---

[1] فاطمة إسماعيل، **القرآن والنظر العقلي**، ط1. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام 1993، ص :109

[2] ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبد الواحد وافي ، ط2 . بيروت: لجنة البيان العربي 1965 ، ص 30

[3] الأنعام، الآية :116

يقول الزمخشري :"و إن تطع أكثر من في الأرض من الناس أضلوك ؛ لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم (إن يتبعون إلا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم"[1] .

و على أساس الظن بنى المشركون موقفهم من اليوم الآخر ، يقول الله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[2] .

واتباع الظن هو السبب ذاته في قول اليهود: (إنا قتلنا المسيح) و كانوا بذلك سببا في نشر خبر كاذب غلطوا به ملايين البشر . قال تعالى:﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[3] .

واتباع الظن هو طريق أيضا لإنكار وجود الله والبعث ، وقد سجل القرآن الكريم قول الدهريين فقال: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[4] .

وهكذا حينما يعطل الإنسان وسائل الإدراك التي حباه الله بها و يتبع الظنون فإنها تؤدي به إلى الهلاك المحقق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث" .

---

[1] الزمخشري، الكشاف ، ص 36

[2] الجاثية،الآية:32.

[3] النساء، الآية 157

[4] الجاثية، الآية 23

4.1. تحرير العقل من الجهل:

يقرر القرآن الكريم أن الجهل آفة خطيرة تمنع المتصف بها من الوصول إلى الحق و المعرفة الصحيحة، وخاصة إذا تعلق الأمر بالحقائق الكبرى كالإيمان بالله ومعرفته ، قال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1] .

لقد دلت الآية على أن طلبهم بأن يكلمهم الله طلب إنسان جاهل بحقيقة الألوهية ، ونحفظ من تراثنا كلمة نفيسة تعبر عن هذا الموقف بوضوح وهي قولهم:" الناس أعداء ما جهلوا" ، ولعل هذه الحكمة مطابقة تماما للآية الكريمة:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[2] يقول الزمخشري معلقا هذه على الآية:(بل كذبوا) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجئوه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا عنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه ، وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرودهم عن مفارقة دين آبائهم"[3] .

فلو تأملوه ونظروا إلى ما فيه من دلائل وبراهين لأدركوا صدق النبي وأنه من عند الله واهتدوا بهدايته.

5.1. تحرير النفس من الكبر:

من أخطر الحجب التي تمنع نور المعرفة عن الإنسان وتبقيه في ظلمة الجهل الكبر والاستعلاء ، فحين يرى الإنسان نفسه فوق الناس جميعا وينفخ فيه شيطانه داء التعاظم فإن كل منافذ الهدى تغلق في وجهه.

---

[1] البقرة، الآية، 117.

[2] يونس، الآيتان: 38، 39

[3] الزمخشري، الكشاف: ج 2، ص191

قال الله تعالى:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا . . . . . ﴾[1]

يقول سيد قطب معلقا على الآية:" إنه سيصرفهم عن آياته فلا ينتفعون بها ، ولا يستجيبون لها . . .آياته في كتاب الكون المنظور، وآياته في كتبه المنزلة على رسله. . .فالكبرياء صفة الله وحده لا يقبل فيها شريكا"[2].

و في آية أخرى يبين القرآن الكريم أن سبب الجحود والكفران إنما هو الاستعلاء والاستكبار:﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[3]. فما حرمهم نور الاهتداء ونزول منازل المؤمنين إلا استكبارهم.

وفي موضع آخر يعري القرآن الكريم النفس المنتفخة بهوى الكبر والتي يصدها شعورها بالعلو عن الهدى والإيمان فيقول:﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[4].

ويتتبع القرآن مفاسد الاستكبار ويبين ضرره البالغ لعل الإنسان يتعظ، قال تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[5].

منعهم الكبر نوال الهداية ومنعهم بركات دعاء الرسول واستغفاره بالقبح ما اتصفوا به! ويا كرمانهم! وحرمان كل متكبر.

---

[1] الأعراف، الآية :146.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن ، ط3،القاهرة، دار الشروق 1977. ج:3،ص:1371.

[3] الجاثية ، الآية 32

[4] الأعراف ، الآية :75

[5] المنافقون، الآية:05

6.1. تحرير الإنسان من الغفلة :

يمكن اعتبار الغفلة من أخطر العوائق التي تمنع العقل من ممارسة وظيفته وبالتالي يفقد الإنسان أخص منحة إلهية كريمة ، ويفوته بذلك نور التبصر بل وينزل إلى درجة البهائم أو أدنى ، قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾[1] .

فعندما يعطل المرء وسائل المعرفة التي حباه الله تعالى بها و يحبس نفسه في سجن الغفلة ، يمتنع عنه العلم النافع و الرؤية الصحيحة فيهوي بذلك إلى درك الحيوانية ويخط لنفسه طريقا إلى النار .

ولقد صور القرآن المجيد مشهد هلاك فرعون غرقا وإخراج جثته لتكون آية ملموسة نابضة بالحياة مميطة حجاب الغفلة عن القلوب قال جل شأنه:﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[2] .

قال الزمخشري:(لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة . . . وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون. ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته ومهانته وأن كل ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال. . ولتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك "[3] .

وفي موطن آخر يقول الحق تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

---

[1] الأعراف، الآية:179

[2] يونس، الآيات : 90-91

[3] الزمخشري، الكشاف، ج : 2، ص : 202.

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[1] إن هذه الآية الآيات اعتبرت الانغماس في الحياة الدنيا والتشاغل بها عن السير في طريق الآخرة يفضي إلى امتناع العقول والحواس عن رؤية سواها فيبعد الإنسان عن هدف خلقه فيخسر خسرانا مبينا .

ولقد حذر الله تعالى عباده من الاحتجاج لديه يوم القيامة بالغفلة فهي حجة مردودة . قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[2] .

ويرشد القرآن صراحة إلى طرد الغفلة من جنبات النفس ويزود بالوسيلة وهي ذكر الله و التفكر في ملكوته .قال الله تعالى:﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنْ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنْ الْغَافِلِينَ﴾[3] .

ويصور القرآن الكريم مشهدا مرعبا من مشاهد القيامة أبطاله أناس لم يتطهروا من غفلاتهم فانقضت أيامهم في اللهو و اللعب والشهوات ونسوا مقامهم بين يدي خالقهم ، قال الله تعالى:﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[4] .

---

[1] النحل الآيتان : 105- 107

[2] الأعراف، الآية ،172

[3] الأعراف، الآية : 205.

[4] الأنبياء، الآيتان: 96-97

7.1. تحرير الإنسان من سجن الحس :

لا يجدر بالعاقل الذي أعطاه الله مدارك متعددة ، ومنافذ متنوعة أن يغلقها جميعا ويبقى مدخلا واحدا، ولا يرى من الحقائق إلا ظواهرها، وقد عاب القرآن الكريم على من قصر للإيمان برهانا حسيا، فقال جل شأنه:﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة .....﴾[1] . ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾[2]

﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا﴾[3] .

فهؤلاء جميعا طلبوا أدلة مادية ملموسة تراها العيون ، وكان الأولى بهم إعمال عقولهم فيتفكروا في أنفسهم وما حولهم من مخلوقات ، من أوجدهم ؟ ومن أبدع هذا النظام و التناسق بين الموجودات ؟ ومن أين هذه الحياة التي بثت في الكائنات ؟ ومن أين هذا الجمال البديع في المناظر المختلفة والأصوات المتنوعة والروائع المتعددة فلا يجدر بالعاقل أن يحرم نفسه نعمة النظر والاعتبار ويكون كمن قال الله فيهم:"يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون"[4] .

---

[1] البقرة، الآية : 55.

[2] الإسراء الآيات : 90-93

[3] الفرقان : الآية 31

[4] الروم، الآية : 6

8.1. تحرير الإنسان من الإلف و العادة:

حينما يسمع الإنسان شيئا جديدا أو يرى مشهدا لأول مرة فإن كل حواسه تكون متفتحة متنبهة تريد التعرف على تفصيلات الشيء الجديد، ولكنه حين يألف المشهد وتتكرر رؤيته له، فإن حواسه تمر عليه بغير انتباه، وكذلك يفعل الإنسان مع ربه فلا يلتفت إلى شيء من آياته المبثوثة في كل مكان من هذا العالم. يقول ابن القيم: "ودين العوائد هو الغالب على أكثر الناس ، والانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة إلى الطبيعة الثانية"[1] .

2. الدعامة الثانية : الجانب الإثباتي

ويتضمن تزويد الإنسان بجملة من القيم والوسائل، إن أحسن استخدامها أمكنه الحصول على المعرفة الصحيحة وإدراك الحقيقة ، ويشمل جملة من النقاط نذكر أهمها :

2.1. الدعوة إلى القراءة والتعلم: لقد كانت الدعوة إلى المعرفة أول تكليف للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾[2] . وطلب القرآن التعلم وحث عليه بصيغة الأمر قبل الإيمان ، لأنه حين يؤسس على البحث والنظر يكون راسخا بعيدا عن الشك والاضطراب ، أما حينما يبنى على غير هذا الأساس فسرعان ما ينجرف أمام عاتيات الشبهات ، قال الله تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه ﴾[3] .

---

[1] نقلا عن : يوسف القرضاوي، العقل و العلم في القرآن الكريم. ص : ٦٨

[2] العلق، الآيات : 1 ــ 3

[3] محمد الآية : 19

إن في الآية أمرا جازما صريحا أن تكون معرفتنا بوحدانية الله تعالى مبنية على قواعد النظر والبحث في كل ما حولنا، وليس مجرد النطق بها لورود الخبر.

إنه يطلب أن يكون التصديق منبعثا من داخل ذواتنا بعدما يسري فيها نور البرهان والدليل، حتى يكون راسخا متينا يقدر على حمل بنيان التكاليف الشامخ، قال الله تعالى:﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾[1]

واعتبار الخشية أعلى ثمار المعرفة إنما تكون من العلماء، قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:" من قرأ القرآن الكريم وجد مادة "ع ل م" تشيع في سوره المكية والمدنية على السواء بكل مشتقاتها، اسما و فعلا ومصدرا مئات المرات ؛ ففعل (تعلمون) في خطاب الجمع تكرر 56 مرة بالإضافة إلى ثلاثة مرات بصيغة (فستعلمون)، وتسع مرات بصيغة (تعلموا) و 85 مرة بصيغة (يعلمون) و 7 مرات بصيغة (يعلم) و نحو 74 مرة تكرر فعل (علم) وما يشتق منه وما يتعلق به"[3].

وحديث القرآن عن العلم وأسبابه و فضله و ثمرته أوسع من أن يستقصى في هذا البحث

2.2. التجرد في البحث

يقرر القرآن الكريم أن الوصول إلى الحق هو الهدف الرئيسي الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان، فالتمييز بين الحق و الباطل هي الفكرة المركزية المبتغاة في كل ما يطرح موضوعا للبحث.

---

[1] الحج، الآية : 54

[2] فاطر ، الآية: 28

[3] يوسف القرضاوي، العقل و العلم في القرآن الكريم، ص 71.

وقد طلب الله تعالى ذلك من رسله وهم خير خلقه فقال:﴿ يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] .

ويعيب على بني إسرائيل تحريفهم وتبديلهم فيقول:﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2] .﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[3] .

فالمطلوب من كل باحث ودارس أن يجعل هدفه الوصول إلى الحق ، ولا يركن إلى مذهبه أو حزبه أو رأيه ، ونتيجة لهذه التربية القرآنية وجدنا أحد أئمة المسلمين يقول:" لا تعرف الحق بالرجال بل أعرف تعرف أهله"[4] . ويقول ابن حزم:" إني لا أبالي فيما اعتقدته حقا بمخالفة من خالفته ولو أنهم جميع من على ظهر الأرض"[5] .

3.2. الاعتماد على الحجة في قبول القضايا أو ردها :

إن أهم الأسباب المؤدية إلى الحقيقة وبيان فساد كل باطل هو الحجة والبرهان ؛ لذلك كان شعار القرآن فيما يتصل بأي وجهة نظر يثيرها إنسان: (قل هاتوا برهانكم) ، قال الله تعالى:﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[6].

---

[1] ص، الآية : 25.

[2] البقرة، الآية 42.

[3] النساء، الآية 171.

[4] تنسب هذه المقولة إلى الإمام علي رضي الله عنه، انظر : أبا حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، تح : جميل صليبا مع كامل عياد، طبعة بيروت، دار الأندلس، 1996، ص 111.

[5] نقلا عن : أنور خالد الزعبي، **ظاهرية ابن حزم الأندلسي**، عمان : دار البشير، 1996، ص 41

[6] الأنبياء، الآية : 24

ولقد طلب الله تعالى ممن ادعوا آلهة مع الله الحجة والبرهان لإثبات صدق دعواهم فقال : ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] . ورد زعم أهل الكتاب بأن الجنة حكرا لهم فقال:﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] .

ومن وحي هذا المبدأ حفظنا في مأثوراتنا الإسلامية : "**إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل**" .

4.2 . الدعوة إلى استعمال كل المدارك: أنعم الله تعالى على الإنسان بمدارك متعددة وطلب منه الانتفاع بها في تحصيل المعارف وحذره من إهمالها وطلب منه القيام بواجب شكرها قال تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] .

وقال جل شأنه:﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[4] .

إن استغلال هذه المدارك يثمر معرفة الإنسان بالكون المحيط به فيكتشف أسرار الكائنات ودقة صنعها والقوانين التي تسير عليها والوظائف التي تؤديها دون كلل ولا ملل، فتثمر تلك المعرفة إيمانا صادقا بالخالق ورؤية لآثار أفعاله في خلقه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - المكتبة الرقمية

ولقد عاب القرآن الكريم وأدان من حبسوا مداركهم فلم يلحظوا دقة العالم من حولهم وحسن صنعه ولم يعتبروا ويستدلوا به على خالقه ، قال جل شأنه:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [5] .

---

[1] النمل، الآية : 64.

[2] البقرة، الآية، 110

[3] النحل، الآية : 78.

[4] المؤمنون، الآية : 79.

[5] الأعراف ، الآية 179 .

يعلق الزمخشري على الآية فيقول:" إنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون إلى ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان"[1].

ونجد في مواطن أخرى من الكتاب العزيز الدعوة إلى الانتفاع بما أعطانا الله من وسائل تأخذ شكل المسؤولية التي يدان المرء على تفريط فيها ، قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2].

فالمطلوب من العباد استخدام كل الحواس التي أعطاهم الله ، والعقول والقلوب للاهتداء بها إلى الخالق جل وعلا.

5.2 .الدعاء و الاضطرار :

جاء في الحديث القدسي:" يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم"[3]. وجاء في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تفيد أن الله سبحانه هو الذي يمنح العلم و الهداية، لذلك علم عباده أن يقولوا في كل صلواتهم﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [4].﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾[5].﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[6].

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج :2، ص 105.

[2] الإسراء، الآية : 36.

[3] رواه مسلم.

[4] الفاتحة، الآية : 5.

[5] البقرة، الآية : 120.

[6] سبأ، الآية : 50.

لذلك فعلى طالب الحق أن يستعين بالله ويطلب الهداية منه فإذا رأى الله تعالى صدقا في طلبه أجابه. ويقول الرسول صلى الله عليه و سلم:"و الله لو لا الله ما اهتدينا"[1]، وكان من أدعيته صلى الله عليه و سلم : "اللهم إني أسألك الهدى و العفاف و الغنى. . ."وأيضا"اللهم اهدنا فيمن هديت و عافنا فيمن عافيت و تولنا فيمن توليت. . ." "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"

إن هذه النصوص وغيرها تبين الشعور الافتقاري الذي يحس به الإنسان عند الخوف من الزلل أو عند الشك والاضطراب والحيرة ، وتبين التجاء الإنسان إلى ربه ، فهو لا يفزع عند ذلك ولا يلجأ إلى شيء من المخلوقات الضعيفة مثله، وهذا شأن الإنسان عند كل المخاطر و المعضلات[2].

6.2.الدعوة إلى التفكر والاعتبار:

نقرأ في القرآن الكريم عشرات الآيات التي تدعو إلى التفكر، دعوة قوية بشتى الأساليب و في كل المجالات عدا التفكر في ذات الله، فإنه تبديد لطاقة العقل فيما لا يمكنه إدراكه ، أما ما سوى ذلك فميدان رحب لفكر الإنسان ، قال تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3].

وبين المولى تبارك وتعالى أن الفكر لا يقتصر على الجوانب المادية ، بل يتجاوزها إلى الجوانب المعنوية فقال:﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ

---

[1] رواه البخاري.

[2] انظر سامي نصر لطف، **نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين**، ط 1. القاهرة : مكتبة سعيد رأفت 1978، ص 58.

[3] آل عمران، الآية : 190.

لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] .

وكما في قوله سبحانه متحدثا عن آياته في نوم الإنسان:﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] .

كما دعا الحق جل جلاله إلى التفكر في آيات الكتاب العزيز ، قال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي:"و من أروع الآيات التي حثت على التفكر قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[5] [6] . ثم يبين الدكتور القرضاوي أهمية التفكر فيقول : "إن الله تعالى كما أمرنا بالتعبد وإقامة الشعائر من الصلاة والزكاة أمرنا بالتفكر و التفكير في آيات كثيرة سواء جاءت باسم التفكر أو النظر أوالرؤية ، ولهذا قال من قال من السلف:" تفكر ليلة خير من إحيائها" وقال غيره:"تفكر ساعة خير من عبادة سنة"[7] .

---

[1] الروم، الآية : 21.

[2] الزمر، الآية : 42.

[3] النحل، الآية : 44.

[4] الحشر، الآية : 21.

[5] سبأ، الآية : 46.

[6] يوسف القرضاوي، **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، ص 39.

[7] المرجع نفسه، ص : 41.

أما الاعتبار فهو مشتق من الفعل "عبر" ، يقال في اللغة: عبر النهر بمعنى قطعه من شاطئ إلى شاطئ ، وانتقل به إلى المعاني ، فيقال: اعتبر بالشيء إذا اتعظ به[1]، وهذا ما تحدثت عنه آيات عديدة معتبرة ذلك ثمرة النظر والتبصر.

"وأما الاعتبار كمصطلح فني فيراد به طريقة خاصة من البحث والتأمل والاستبطان ، أو الذي لا ينكر الجانب النفسي"[2].

وقد استخدم هذا المنهج من طرف عدد من العلماء كأبي عمرو الجاحظ في كتابه دلائل الاعتبار، الذي يتحدث فيه عن مخلوقات وظواهر من جهة دلالتها على الخالق الحكيم.

ويلاحظ أن هذا المنهج أصبح واسع الانتشار والاستعمال منذ القرن الثالث الهجري ؛ ليدل دلالة واضحة على طريقة متميزة للتفكير المدعم بالوجدان، وهذه الطريقة تدعي قدرتها على وضع حد للتقليد الأعمى، بل إنها إلى جانب ذلك تشير إلى مد الاتجاه إلى المأورائيات كإثبات وجود الله ، ونجد ذلك ممثلا في كثير من الآيات كقوله تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[3].

وكما في قوله جل شانه:﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[4].

---

[1] ابراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط1. القاهرة. دار المعارف 1973، ج : 2، ص : 580.

[2] محمد كمال ابراهيم جعفر، **في الفلسفة دراسة و نصوص**، ط1. القاهرة : مكتبة دا ر العلوم1976، ص234 .

[3] النحل، الآيتان : 65-66

[4] النور، الآية : 43.

و في ختام سورة يوسف وبعد الحديث الطويل عن حياته وأحداثها يرشدنا المولى سبحانه إلى الاعتبار من أحداث التاريخ و الاستفادة منها فيقول:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

كانت تلك دعوة القرآن الملحة إلى التفكر والنظر في الآفاق والأنفس وفي آيات الكتاب العزيز و في أحداث التاريخ ، ولم يكتف القرآن بهذا فقط، بل وضع للعقل طرقا يستدل بها من خلال المصادر السابقة ، وسنورد أهمها .

1.6.2- صور الاستدلال في القرآن:

أولا ـ الأقيسة العقلية:

استخدم القرآن الكريم في عدد من آياته أسلوب القياس للبرهنة على عدد من القضايا، كنفي الشريك عن الخالق سبحانه ، وإثبات البعث بعد الموت ، وفي ما يلي بعض صورة :

1 .القياس الاقتراني :

ويعرفه الغزالي بقوله: " هو مركب من مقدمتين مثل قولنا :" كل جسم مؤلف ، وكل مؤلف محدث" ، فيلزم منه أن كل جسم محدث ؛ فهذا القياس مركب من مقدمتين ، وكل مقدمة تشتمل على موضوع ومحمول"[2].

وقد جاء في القرآن الكريم آيات تضمنت هذا النوع من القياس ، من ذلك قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى

---

[1] يوسف ، الآية : 111

[2] أبو حامد الغزالي، **معيار العلم**،ط4، بيروت : دار الأندلس، 1983، ص98.

وَمِنكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] . فهذه عشر مقدمات أنتجت خمس نتائج.[2]

وكذلك قوله تعالى:﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[3] ، هذه الآية بها مقدمتان ونتيجة: اتباع الهوى يوجب الضلال ، والضلال يوجب سوء العذاب ؛ فأنتج: اتباع الهوى يوجب سوء العذاب [4].

2 .القياس الاستثنائي :

وهذا النوع يختلف عن سابقه في أن أحد الأمرين النتيجة أو نقيضها يكون مصرحا به في المقدمات[5].

من أمثلته: قوله تعالى:﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[6]. لكنهم لم ينفضوا من حوله فانتفى عليه صلى الله عليه و سلم أن يكون فضا غليظ القلب.

و من أمثلته أيضا قوله تعالى:﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .....﴾[7]

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (كبرى).

---

[1] الحج، الأيات 5-7.

[2] انظر : السيد رزق الحجر، مسائل العقيدة ودلائلها، طبعة دار الثقافة، القاهرة ، 1990، ص75.

[3] ص، الآية : 25.

[4] انظر : عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة، ط3، دار القلم، دمشق، ص288.

[5] السيد رزق الحجر، مسائل العقيدة، ص76.معيار العلم، ص111.

[6] آل عمران، الآية : 159.

[7] الأنبياء، الآية : 22.

أي لكنهما فسدتا (صغرى) .

فليس فيهما آلهة إلا الله (نتيجة)

3. القياس الإضماري:

وهو قياس تحذف فيه إحدى المقدمات ، الكبرى منه أو الصغرى لظهورها ، ودلالة المقام على حذفها .

والكثير من براهين القرآن تجري على هذه الطريقة ؛ لما تدل عليه من فصاحة وقوة بيان ، والقرآن مبناه على الحذف والإيجاز[1] .

ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى:﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين**﴾[2] .

فهذه الآية لم تشتمل سوى مقدمة واحدة هي إثبات مماثلة آدم لعيسى ، وكان الدليل هكذا:

إن آدم من غير أب كعيسى

فلو كان عيسى ابنا لله بسبب ذلك لكان آدم أولى

ولكن آدم ليس ابنا لله باعترافكم ، فعيسى ليس ابنا لله أيضا .

4. قياس الخلف :

وهو إثبات الأمر ببطلان نقيضه كإثبات الصدق ببطلان الكذب ، وإثبات الوجود ببطلان العدم وسمي هذا القياس بقياس الخلف ؛ لأنه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة وهي

---

[1] رزق الحجر ، مسائل العقيدة و دلالتها، ص : 76-77.

[2] آل عمران ، آية: 59 -60

مقدمة الخصم الكاذبة وذلك بالبرهنة على صدق نقيضها[1] ، ويسمى هذا الدليل عند المتكلمين بدليل التمانع.

ومن أمثلته قوله تعالى:﴿ اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾[2] .

وقوله تعالى:﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[3]

وقوله تعالى:﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ﴾[4].

ففي كل هذه الآيات استدل على المطلوب بإثبات كذب نقيضه.

فالمطلوب في الآية الأولى إثبات الوحدانية ، ونقيضه التعدد الذي يوجب التفرق وذهاب كل واحد منهما بخلقه ، وعلو بعضهم على بعض فتسود الفوضى ويختل النظام ، فما انتفى ذلك انتفى التعدد .

وفي الآية الثانية المراد إثبات كون القرآن من عند الله ، ونقيضه كونه من كلام البشر الموجب للاختلاف والاضطراب فلما انتفى الاختلاف انتفى كونه من كلام البشر.

وفي الآية الثالثة المطلوب إثبات الوحدانية ونقيضه التعدد الذي يوجب التنازع وامتناع الاتفاق ، فلما انتفى التنازع امتنع التعدد .

والخلاصة: أن القرآن قد استعمل قياس الخلف في عدد من الآيات قصد إثبات المطلوب بإبطال نقيضه.

---

[1] محمد التومي، الجدل في القرآن. ص250 (مربع سابق) و انظر معيار العلم، ص 114، 115.

[2] المؤمنون، الآية : ص 91.

[3] النساء، الآية : 82.

[4] الإسراء، الإية : 42.

5. قياس التمثيل:

وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه ، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول وتقر به الإفهام ، ويبين الجهة الجامعة بينهما ، وإن القرآن قد سلك هذا المسلك على أدق وجه وأحكمه[1] ، ويسميه المتكلمون قياس الغائب على الشاهد ، ومن أمثلته في القرآن : "فسيقولون من يعيدنا، قل الذي فطركم أول مرة" ؛ أي: أن الذي فطركم أول مرة هو الذي يعيدكم.

ونلاحظ هنا أن الآية أبانت مجهولا اعتمادا على معلوم.

فالخلق الأول معلوم بمقتضى الواقع الذي لا ينكره العاقل.

والخلق الثاني غائب

فأبانت أن الغائب يقع كما وقع الشاهد

ومن قدر على البدء كان على الإعادة أقدر

و منه أيضا قوله تعالى:﴿**كما بدأكم تعودون**﴾[2] ، وقال:﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾[3] ، وقوله :﴿ **أفعيينا بالخلق الأول**﴾[4] .

يقول الزمخشري : "كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق"[5] .

---

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 380. و انظر أيضا : أبا حامد الغزالي، معيار العلم، ص :119.

[2] الأعراف الآية : 29..

[3] الأنبياء، الآية :104.

[4] ق، الآية : 15.

[5] الزمخشري، الكشاف، ج : 2 ص :60.

و منه أيضا قوله تعالى:﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾[1] .

ففي الآية قياس تمثيل ؛ لأنه قاس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر و هي عملية محسوسة لا ينكرها إلا جاحد .

ثانيا . المقابلة والمقارنة:

يقول الإمام محمد أبو زهرة:"إن المقابلة بين شيئين أو أمرين أو شخصين تكون ليعرف أيهما المؤثر في عمل معين ، وإذا ثبت أن التأثير لواحد منهما كان له فضل التقدم على غيره ، وقد كان ذلك النوع من ينابيع الاستدلال كثيرا في القرآن الكريم ، لأن المشركين كانوا يعبدون أحجارا يصنعونها أو مخلوقات لله خلقها وكانوا يعتقدون لها التأثير في الإيجاد أو في منع الشر أو جلب الخير. فكانت المقابلة بين الذات العلية وبين ما ابتدعوا من عبادة الأوثان ينبوعا للاستدلال على بطلان ما زعموا"[2] .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾[3] . فهذه مقارنة بين إله حق و إله مدعى لا يخلق بل هو مخلوق ، فكيف يسوى بين من له القدرة على الخلق ومن لا يخلق ، والعرب أنفسهم يقرون بأن الله وحده هو خالق السماوات والأرض:﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾[4] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

---

[1] الروم الآية : 19.

[2] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص : 354.

[3] اللنحل، الآية : 17.

[4] لقمان، الآية :25.

وهم يعلمون يقينا أن آلهتهم صنعت بأيديهم ؛ فالقرآن الكريم من هذه المقابلة يأتي بدليل يلزمهم ويقنعهم ، ﴿ **قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار**﴾[1] . ففي هذه الآية مقابلة بين:

1- من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ومن هو القهار القادر على كل شيء ، والواحد الأحد الذي لا يشبهه أحد ، وكأن المقابلة بين الأعمى و البصير من يدركها .

2- وبين الظلمة التي لا تعتم النفس ، والنور الذي يشرق به القلب .

3- وبين من يخلق ومن لا يخلق

فهذه المقابلات تصلح دليلا مثبتا في عدة دعاوي ، ويكون فيها الحكم الفاصل الهادي المرشد .

ففي الدعوة الأولى ادعاء المساواة بين من يملك كل شيء ومن لا يملك لنفسه النفع والضر .

والحكم الذي ينتجه الدليل أنهما ليسا متساويين ، وإذا كانت دعوى المساواة في الألوهية باطلة، فالحكم بالنفي ، والإله هو الله وحده الذي يملك كل شيء .

و في الدعوة الثانية نفي التسوية بين من أدرك الحق و اهتدى ، ومن ضل وغوى ، والأخير كالأعمى والأول كالبصير ، فأيهما يهتدي إلى الطريق السوي ، ولا شك أن الحكم أن الخير في المبصر المهتدي.

---

[1] الرعد، الآيتان : 17-18.

وفي الدعوة الثالثة إدعاء الاشتراك في الخلق والتكوين بالزعم لا بالحقيقة ، وهذه باطلة قُلِ اللهُ خالق كل شيء وهو الواحد القهار والواقع يثبت ذلك وهم أنفسهم يقرون بذلك﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1]2.

ثالثا-الاستدلال العلمي:

ويكون بالنظر و التأمل في المخلوقات المنتشرة في هذا العالم من جهة حدوثها ومن جهة اتساقها، وذلك للوصول من خلالها إلى معرفة علة وجودها وذلك هو الله تعالى.

وصورة هذا الدليل الانتقال من ملاحظة الأثر إلى استنتاج وجود مؤثر أو من المعلوم إلى العلة3.

والمتأمل في القرآن العظيم يلحظ انتشارا واسعا لهذه الطريقة من الاستدلال، ذلك لأنها أقرب إلى عقل الإنسان ، بل هي مغروسة فيه خلقة ، وتشهد بها التجربة اليومية في كل ما حولنا .

و من أمثلة ذلك قول الحق تبارك وتعالى:﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾4.

---

[1] لقمان، الآية : 25.

[2] انظر محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص : 355.

[3] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 352 و عبد المجيد النجار، الإيمان بالله و أثره في الحياة، ط 1. بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1997، سص 61.

[4] ق، الآيات : 6-11.

وقوله:﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾[1] . إن المخلوقات المختلفة قد هيئت من قبل الخالق الحكيم. بحيث يبرز فيها مظهر المعلولية ظاهرا لعيان الناس وعقولهم وهي بذلك كأنما تدعو تلك العقول والعيون تشهد بوجود موجودها وهو الله تعالى[2].

رابعا- الاستدلال بالترجيح:

" وهو أن يتأمل العقل في الموجودات من حيث هي موجودات ممكنة ؛ أي أنها كان يمكن أن لا تكون ، أو تكون موجودات غيرها ، ويتأمل الأحداث من حيث إنها كان يمكن أن تحدث أحداث غيرها بديلا عنها ، ثم ينتقل من إدراك التساوي في إمكان وجود الموجودات وحدوث الأحداث وعدم وجودها ، والتساوي في إمكان وجودها وإمكان وجود بدائلها وذلك لإدراك أن وراء وجود الموجودات وحدوث الأحداث مرجحا رجح وجودها و حدوثها على العدم و على وجود بدائلها، فيكون العقل منتقلا من ملاحظة الترجيح الذي تكون به الموجودات والأحداث الواقعة إلى المرجح الذي رجح وجودها على عدمها وعدم بدائلها"[3].

ومن أمثلة ذلك في القرآن العظيم قوله تعالى:﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾[4].

---

[1] يس ، الآيات :70-72.

[2] المرجع نفسه، ص : 61.

[3] لمرجع نفسه، ص : 63.

[4] القصص، الآيتان : 71.72.

وكذلك قوله تعالى:﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا﴾[1] .

ففي الآيتين إبراز لترجيح صورتين من صور الواقع هما تحديد الليل والنهار بوقت معين ومد الظل بدوران الشمس ، على صورتين أخريين ممكنتين هما جعل الليل والنهار سرمدا وتوقيف الظل بتوقيف الشمس ، وذلك الإبراز إنما هو من أجل التدبر في الترجيح للوصول منه إلى المرجح ، وهو الله تعالى"[2] .

خامسا-الاستدلال بالعناية والقصد :

وهو أن يتدبر العقل في موجودات الكون من حيث علاقتها ومن حيث غاياتها وما بينها من توافق في تلك الغايات ، كما يلاحظ كيف أن المشاهد من المخلوقات تبدو فيه أن مصلحة الإنسان هي غايتها النهائية ومن ذلك يدرك أن هذه المقاصد التي تجري عليها الموجودات ، وهذا التوافق الذي ينتظمها إنما هو بفعل قاصد مريد هو الله تعالى[3] .

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا . . . . . ﴾[4]

وكما في قوله عز وجل:﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء﴾[5] .

واعتمادا على هذه الدلالة بنى ابن رشد أحد دليليه على وجود الله تعالى[1] .

---

[1] الفرقان، الإية : 45.

[2] المرجع نفسه، ص : 63.

[3] المرجع نفسه، ص : 63.

[4] النبأ، الآيات : 6-16.

[5] البقرة، الآية : 29.

سادسا: الاستدلال بالتحدي:

استدل القرآن على صدق النبي صلى الله عليه و سلم ، وعلى أن هذا القرآن من عند الله بأسلوب التحدي للمنكرين المعاندين، المكذبين إذ رد على مزاعمهم من أن النبي شاعر وكاذب ومفتر ، وأن هذا القرآن من عنده وليس من عند الله فتحداهم وأعجزهم:

أولا : تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى:﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2].

ثانيا : تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فقال جل شأنه:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

ثالثا : تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله.قال تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[5]. هكذا رد القرآن مزاعمهم وأعجزهم ، تحداهم لإثبات دعواهم وهم أرباب البيان والفصاحة ، ولم يتحداهم وحدهم بل الإنس و الجن مجتمعين متظاهرين ، تحداهم بقليل القرآن وكثيره، فقال لهم:" ادعوا من شئتم ليساعدكم على هذه المهمة" .

---

[1] انظر : ابن رشد، منهج الأدلة، ط 3. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1969، ص 153.

[2] الإسراء، الآية : 88.

[3] هود، الآية : 13.

[4] يونس، الآية : 38.

[5] البقرة، الآيتان : 22-23.

ولقد حاولوا ولكن النتيجة كانت الفشل الذريع. ولا يزال القرآن يتحدى المنكرين والمعاندين وسيبقى كذلك إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾[1] .

ولابد أن نشير في الأخير إلى أن إعجاز القرآن دليل على صدق النبي وعلى إلهية مصدر القرآن ، ودليل لإثبات وجود الله وسائر صفاته.

سابعا. الاستدلال بالقسم:

ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات بأسلوب القسم ، قصد تأكيد القضايا المقسم عليها .

ولقد ذكر الله تعالى القسم لكمال الحجة وتأكيدها ، والحكم إنما يفصل إما بالشهادة وإما بالقسم ، وقد شهد الله على وحدانيته وأقسم عليها[2]، ومن الآيات التي ورد فيها القسم قوله تعالى: ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾[3] .

فقد أقسم الله تعالى على وحدانيته وربوبيته للسماوات والأرض بشيء من مخلوقاته تأكيدا لهذا الأمر بعد تقديم الشواهد والأدلة.

ومنها قوله: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[4] .

يقول سيد قطب: " قسم الله سبحانه بذاته بوصفه "رب السماء و الأرض" التين ورد ذكرهما في هذا المقطع على أن هذا القول الذي جاءهم من عنده حق يقين"[5] .

---

[1] الطور، الآيتان : 31-32.

[2] جلال الدين السيوطي، الاتقان، ج 2، ص : 169.

[3] الصافات، الآيات : 1-5.

[4] الذاريات الآيات : 20-23.

[5] سيد قطب، في ظلال القرآن ،ط 3. القاهرة : دلر الشروق، 1977، ج 6، ص ،3377.

ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾[2]. لقد أقسم الله تعالى في الآيتين السابقتين من أجل إثبات قدرته المطلقة بإلفات النظر إلى عظمة مصنوعاته في حركة الكواكب التي تولد المشارق والمغارب وبأمر غيبي وهو يوم القيامة وبأمر معنوي وهو النفس اللوامة.

كما أن هناك آيات أخرى جاء فيها القسم بالمخلوقات لتنبه العقول إلى عظمتها وأهميتها وإتقان صنعها وملاءمتها للحياة لتدل على بارئها وصانعها وعلى قدرته وعلمه وإرادته سبحانه[3].

ويقول الشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: "فالمراد بالقسم إنما هو التنبيه على ما تضمنته من أدلة جليلة تهدي عن طريق لوازمها إلى التسليم بعظمة المقسم بها سبحانه"[4].

وترى الدكتورة عائشة عبد الرحمان رأيا آخر فتقول:"وسادت هذه الفكرة (فكرة أن القسم يحمل معنى التعظيم) فألجأتهم إلى اعتساف في بيان وجه التعظيم في كل ما أقسم به القرآن بالواو.

ونرى أن القسم خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني ؛ فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتا قويا إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل توطئة لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس"[5].

---

[1] المعرج الآيات : 39-41.

[2] القيامة ، الآيات : 1-6.

[3] السيوطي، الإتقان : ج :2.ص :/170.

[4] عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله،، ط:2، دمشق / :دار القلم، 1989، ص 472.

[5] عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط 5 : القاهرة، دار المعارف 1977، ص 26.

الاستدلال بالقصص:

ذكر القرآن الكريم عددا كبيرا من قصص الأولين، قصص الأنبياء و الصالحين، و قصص الكفرة والمتمردين، و ما فعل الله بهؤلاء و أولئك و قد تضمن هذا القصص جملة من الأفكار و القيم بل والأحاسيس و المشاعر، و يتميز القصص القرآني بسهولة تغلغله في النفوس و تأثيره عليها و إحداث الاقتناع بمضامينه و الاعتبار بنتائجه.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : "و قص القرآن الكريم علينا أهم أخبار الماضيين، وسواء كانت القصص مفردة أو مكررة، فهي في السياق القرآني أداة تربية، و مصدر توجيه و وعظ يدعم الفرد و الجماعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة المركزية

قصص القرآن قطع من الحياة الماضية استرجعها الوحي الأعلى للتعليم و الاعتبار"2.

و يقول الإمام محمد أبو زهرة : "إنما قصص القرآن هو قصص لأمور واقعة يساق للعبر و إعطاء المثلات و بيان مكان الضالين و منزلة المهتدين. . . فهو قصص للعبرة بين المواقعات لا لمجرد المتعة من الاستماع و القراءة و لذلك قال الله تعالى في آخر قصة يوسف عليه السلام. "لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى3".

---

[1] عائشة عبد الرحمان، التفسير البياني للقرآن الكريم، ط 5 : القاهرة، دار المعارف 1977، ص 26.

[2] محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، ط 3. دمشق : دار القلم، 2000، ص 100.

[3] يوسف، الآية :111.س

و يقول : "إن القصص القرآني ذاته فيه إعجاز ذكره الكتاب جاء على لسان أمي لا يقر أو لا يكتب. و يتساءل أي تال للقرآن من أين جاء محمد بهذا القصص الحق و هو لم يشاهد وقائعه و لم يقرأها، إنه من عند الله العزيز الحكيم، علام الغيوب و بذلك كان القصص الصادق من التحدي"[1] .

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص : 188.

7.2 – مخاطبة الوجدان:

إن الوجدان قوة من قوى الإنسان لا يختص برغبة معينة دون أخرى ، بل هو وعاء للشعور الذاتي من حيث هو ، وهذا الاعتبار يخاطبه الشارع ليكون ملتقيا بقوى الإنسان جميعها و فمن ثم لا يكون متصادما مع الإنسان بوجه تام.

والإسلام إذ يخاطبه ويتجه إليه ، فليس ذلك لأنه يحتكم إليه ، لأنه بهذا الاعتبار ليس من وظيفته الحكم ، ولكن وظيفته التلقي أو الرفض، الرضا . . . أو الكراهة ، فمن ثم كان اتجاه الإسلام إليه –كجزء من اتجاهه إلى الإنسان– إنما ليتمكن الدين من أبعاد النفس الإنسانية كلها[1] .

ومن أمثلة توجه القرآن إلى هذا الجانب من الإنسان نقرأ:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[2] .

وفي سيرة سيدنا هود عليه السلام نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3] .

ويقول لهم أيضا: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾[4] .

---

[1] يحيى هاشم حسن فرغل، **الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية**، طبعة دار الفكر العربي، عام 1978، ص 398–399.

[2] هود، الآية : 25.

[3] الأحقاف الآية :21.

[4] الأعراف، الآية : 68.

ونقرأ الخطاب المثير للوجدان في رد إبراهيم عليه السلام على قومه: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[1].

وفي سيرة سيدنا شعيب نقرأ الخطاب الموجه للوجدان في قوله تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾[2].

ونقرأ الخطاب ذاته على لسان موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾[3].

ونقرأ نفس الخطاب في سيرة عيسى عليه السلام عندما طلب الحواريون إنزال مائدة من السماء، قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[4].

وهذا ما فعله رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما أنزل الله تعالى بطون قريش جميعها عليه:﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾[5] فإنه صلى الله عليه و سلم قام على الصفا فعلى أعلاها حجرا ، ثم نادى ، فاجتمعوا إليه فقال لهم:" أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا .

فقال: يا معشر قريش أنقدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئا" .

---

[1] الأنعام : الآيتان : 80-82.

[2] هود، الآية : 89.

[3] طه، الآية : 48.

[4] المائدة، الآية : 115.

[5] المدثر، الآيتان : 1-2.

وبهذا الأسلوب ذاته نجده في عشرات الآيات ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[1] .

وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾[2] .

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾[3] .

وقوله: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[4] .

كما أفاض القرآن في الدلائل العقلية والحسية وإبراز صفات الله بشتى أنواع الأدلة هاهو يعرج على نوع آخر هو بعث المشاعر والعواطف وتحريكها لتعود إلى خالقها ، فهو يربت عليها بكل ملطف ومنبه يمس شغاف القلوب باليد الرحيمة ، الودودة المنعمة ، وتارة أخرى يجذبها من نواصيها جذبا ويشهدها عاقبة المكذبين ومصارع الجاحدين ومآل المستكبرين يصور لهم الضنك والضيق يوم المحشر وأهوال يوم القيامة .

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - المكتبة الرقمية

---

[1] الحج، الآيتان : 1-2.

[2] المزمل، الآيتان :17-18

[3] الأنعام، الآيتان : 16-17

[4] الملك ، الآيات : 6-11

إن الإنسان محكوم إلى حد بعيد بقانون اللذة والألم قانون الخوف و الطمع قانون الرغبة والرهبة ، إذ أغلب سلوك البشر لا ينفك عنهما أو أحدهما ، وبناء على ذلك فلا عجب أن يخاطب العليم الخبير عباده ويدعوهم إلى حضرته سبحانه بكل طريق يوصلهم إلى معرفته.

1.7.2. الدعوة إلى الإيمان عن طريق عنصر الرغبة:

أولا . رغب الله تعالى في كتابه العزيز عباده في الإيمان به بأن بين لهم أن الإيمان هو سبيل العيش الرغيد والضمان الحياة السعيدة ، والمرء بطبعه يحب النفع العاجل ويؤثر أن يجني ثمرة إيمانه وفرة في الرزق وأمانا على المال والأهل والولد وسترا .

قال الله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾[1] .

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[2] .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[3] .﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[4] .

---

[1] نوح، الآيات 10-12

[2] هود، الآيات : 1-3

[3] الأعراف، الآية : 95.

[4] هود، الآية : 52.

ولما كانت الأرزاق والولدان نعما جليلة فإنها لا تتم إلا في جو الطمأنينة والأمن وغياب كل مظاهر الخوف عن النفوس أو الأموال لأجل ذلك قال القرآن الكريم: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[1].

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2].

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾[4].

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[5].

وأعلمهم تبارك وتعالى أن الأمن بيده وحده ، وأن نجاحهم بيده كما تقربه فطرتهم ، قال جل شأنه:﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[1].

---

[1] النور الآية : 55

[2] الأنفال ، الآية 26 .

[3] الأنعام، الآيتان : 81 – 82 .

[4] العنكبوت ،الآية : 67 .

[5] الانفال، الآية : 26 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

ثانيا . دعا الله عباده إلى الإيمان به عن طريق ترغيبهم بالنعيم المقيم والمنازل العالية في الدار الآخرة ، وقد جاء وصف الجنان بصور رائعة تغري بالثمن المقرب إليها وهو الإيمان الصادق الخالص وما يستتبعه حتى صارت أمنية كل مؤمن.

قال جل شأنه: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴾[2].

وقوله: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾[3].

﴿ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾[4].

---

[1] الأنعام، الآيات : 63 – 65 .

[2] الإنسان، الآيات 21 – 22 .

[3] الرحمان ، الآيات : 46 ، 60 .

[4] الواقعة، الآيات : 15 – 26 .

ثالثا ـ دعا الله عباده إلى الإيمان ورغبهم فيه بما يورثهم من فهم وبصيرة ؛ إذ كل واحد بحاجة إلى الهداية لتنقذه من المشكلات.

إن الضمير البشري الزكي لا يمكن أن يتألف بين حنايا الإنسان ويخلص بين متاهات الحياة ودسائس الأهواء وفتن الشياطين إلا إذا كان موصولا بالله يستلهمه الرشد ، ويستمده منه العون ويستدره التوفيق.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1]. وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2]. وقوله: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾[3]. ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾[4]. وقوله: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾[5]. وقوله: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[6].

رابعا ـ إثارة الاعتراف في النفوس ليولي الأمر سبحانه وتعالى وترك الجحود للنعم المتتالية ؛ فهو الخالق من العدم واهب الشمس والقمر والبحار والحيوان والنبات ، مدبر أمر الإنسان ومسخر كل ما في هذا العالم لخدمته .

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي

---

[1] الحديد، الآية : 27 .

[2] الأنفال، الآية : 29 .

[3] طه، الآية : 123 .

[4] النور، الآية : 40 .

[5] الزمر، الآية : 22

[6] الأنعام، الآية : 122 .

أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾[1].

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3].

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4].

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ..... ﴾[5].

---

[1] الشعراء ، الآيات : 75 – 82 .

[2] النمل، الآيات : 60-63

[3] النحل، الآية : 78

[4] القصص، الآيايت : 71-73

[5] إبراهيم، الآيات :32-34

2.7.2. الدعوة إلى الإيمان عن طريق إثارة الرهبة في النفوس:

إن النفوس البشرية تقاد عن طريق الرغبة كما تقاد عن طريق الرهبة ، فكما يطمع الإنسان في نوال المرغوب فإنه وعلى نفس القدر يخشى المهالك والمخاطر ، لذلك توجه خطاب القرآن إلى الإنسان من هذا المنفذ .

أولا . إثارة الرهبة بسلب النعمة:

يبين القرآن شؤم الكفر وضرره على صاحبه بزوال نعم الله في الدنيا ، وذلك بعرض نماذج تاريخية من قصص الأنبياء مع أقوامهم كقوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾[1] .

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[2] .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[3] .

كما لا يفوتنا أن نذكر أن الله تعالى قد يستدرج أفراد أو أمما إلى مصيرهم الفاجع بكثرة النعم ، قال عز وجل: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[4] .

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾[5] .

---

[1] الدخان، الآيات : 25-27

[2] سبأ، الآيات : 15-17

[3] النحل، الآية : 112

[4] التوبة، الآية : 85

[5] آل عمران، الآية 196.

ثانيا. إثارة الرهبة بالأضرار الآجلة:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

وقد قص القرآن الكريم عدة نماذج من إهلاك المشركين السالفين للعظة والعبرة ، قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2].

وقال عز وجل:﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾[3].

﴿ أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[4].

ثالثا. إثارة الرهبة بذكر مآل الكافرين في جهنم ، وما فيها من عذاب شديد ومهانة بالغة[5]:

وقد أكثر القرآن من إيراد هذا النوع بالتحذير من الكفر والجحود ، من ذلك قوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾[6].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي

---

[1] السجدة، الآية : 21.

[2] الروم، الآية :9

[3] فاطر، الآية : 44

[4] غافر، الآية : 21-22

[5] انظر تفصيلا لهذه الفكرة: عبد المجيد النجار ، الإيمان بالله وأثره ص" 65/64 ، ويحي هاشم حسن فرغل ، مداخل إلى العقيدة الإسلامية ، ص: 289 وما بعدها ، وسامي نصر لطف ، نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين ، ص: 58

[6] المزمل: آيات: 17/16

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾[1].

وقوله:﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[2].

8.2 – مسالك التقرب: ورد عدد كبير من النصوص الشرعية يفيد بأن التقرب إلى الله تعالى بفعل الصالحات يورث في النفس طمأنينة وهدى وفرقانا يميز به الإنسان بين الحق والباطل ويخرج به من ظلمة الشبهات والشكوك ، قال تعالى:﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3].

إن هذه الآية واضحة الدلالة في أن الذين راضوا نفوسهم وجاهدوا من أجل تخليتها من الصفات المذمومة وتجميلها بالصفات المحمودة ، وأتعبوا أبدانهم تقربا إلى ربهم الكريم فإن الله تعالى سيفتح لهم أبواب رحمته وهدايته ، بل إنه سيكون معهم دائما طالما كانوا محسنين ، يقول سيد قطب رحمه الله تعليقا على هذه الآية: "الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه ، ويتصلوا به ، الذين احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا ، الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس الذين حملوا أعباءهم ، وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب ، أولئك لن يتركهم الله وحدهم ، ولن يضيع إيمانهم ولن ينسى جهادهم ، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم ، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم ، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم ، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء"[4].

---

[1] الزمر: آيات: 15/14

[2] الملك: الآيات 6-11 ،

[3] العنكبوت، الآية : 69

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص 2752.

وفي آية أخرى يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وكذلك قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[2].

يقول سيد قطب رحمه الله:" إنها حقيقة: أن تقوى الله تجعل في القلب فرقانا يكشف له منعرجات الطريق. . . إن الأمور تظل متشابكة في الحس والعقل ، والطرق تظل متشابكة في النظر والفكر، والباطل يظل متلبسا بالحق عند مفارق الطريق ، وتظل الحجة تفحم لكن لا تقنع ، وتسكت ولكن لا يستجيب لها الطريق ، وتظل الحجة تفحم لكن لا تقنع وتسكت ولكن لا يستجيب لها القلب والعقل ، ويظل الجدل عبثا والمناقشة جهدا ضائعا ، ذلك ما لم تكن هي التقوى . . . فإذا كانت استنار العقل ، ووضح الحق وتكشف الطريق، وإطمأن القلب ، واستراح الضمير ، واستقرت القدم وثبتت على الطريق"[3].

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ، ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ، ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار"[4].

إن هذه النصوص وغيرها تؤكد على المعنى الذي ذكرناه ، بل تحدد أعمالا خاصة تورث القائم بها المعرفة الحقة التي تصل به حد الاطمئنان ، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[5].

يقول سيد رحمه الله:" الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، تطمئن بإحساسها بالصلة بالله والأنس بجواره والأمن في جنابه وفي حماه تطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق ، بإدراك الحكمة في الخلق

---

[1] المائدة، الآيتان : 17-18.

[2] الأنفال، الآية : 29

[3] سيد قطب ، منخلال القرآن ج 3 ، ص : 1499 .

[4] رواه الإمام البخاري و الإمام مسلم .

[5] الرعد ، الاية : 29 .

والمبدأ والمصير ، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضرر ومن كل شر ، إلا بما يشاء ، مع الرضى بالابتلاء و الصبر على البلاء ، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق و الستر في الدنيا و الآخرة "[1] .

وقد شرع لنا المولى و تبارك و تعالى أن ندعوه بأسمائه الحسنى ، وهي باب من أبواب التعرف عليه ، فقال جل شأنه:﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[2] .

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم فيما يرويه عنه أبو هريرة رضي الله عنه:" إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة"[3] . أي: من حفظها ، وفهم معانيها ومدلولها ، وأثنى على الله بها ، وسأله بها ، واعتقدها"[4] .

ويرى الغزالي أن معنى:" أحصاها "هو التخلق بها ، والتحلي بمعانيها"[5] .

ويبين الأستاذ طه عبد الرحمان أن الذاكر للأسماء الحسنى يفتح الله تعالى له باب التعرف عليها هبة منه تعالى لا كسبا من الإنسان إذ يقول:" وينتج عن هذا أن الذاكر لما كان يلتمس استكمال الأخلاق بالنوافل وكانت حقيقته الأخلاق أنها تجارب وخبرات لا مجرد أفكار وتصورات ، فإن معاني الأسماء تأتيه وحقائقها تظهر له في التجارب الحية لا في الأفكار المجردة ، وبهذا يكون التقرب بالذكر تجربة حية و تجربة إحسان ، حيث إن سبب تعرف الذاكر على معاني الأسماء هو تعرفها ذاتها له ، هبة من الله لا تعرفه هو عليها كسبا منه" [6] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

---

[1] سيد قطب في ظلال القرآن ، ج : 4 ، ص 2060 .

[2] الأعراف ، الآية : 180 .

[3] رواه التجاري و مسلم .

[4] سعيد بن وهف القحطاني، شرح أسماء الله الحسنى، ط1 :بيروت : دار الكتب العملية، 2001، ص : 5 .

[5] أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ت ، ص) 24 .

[6] طه عبد الرحمان،العمل الديني وتجديد العقل، ط 2. الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي ، 1997 ، ص 171 .

بل إن ذكر الله تعالى يفتح للعبد آفاقا أخرى نترك للحديث الشريف بيانها: " أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني في نفسه ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، و إن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إليَّ ذارعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"[1] . وكذلك النوافل تورث في النفس زيادة اليقين ، ومحبة الله تعالى.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:" وللمحافظة على الصلوات بقالبها وروحها ، والإكثار من النوافل تأثير لا يعرف لغيرها في صفاء النفس ، و السمو الروحي و الاتصال بعالم القدس ، وتلقي التجليات الأخروية لذلك جاء في الحديث:"أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا (وأشار إلى القمر) لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قال:"سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قال:" **وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**"[2].

والنوافل والإكثار منها سبب كبير في تقوية محبة الله تعالى وجلب رحمته واصطفائه ، لذلك أشار النبي صلى الله عليه و سلم على من طلب منه المرافقة في الجنة بتكثير النوافل وكثرة السجود"[3].

وهكذا يظهر لنا أن هذا الطريق لا يقل أهمية عن النظر العقلي في الأنفس والآفاق تعريفا للخلق بخالقهم ، وتصديقا به ، وسعيا لطلب مرضاته سبحانه وتعالى ، وإقامة علاقة معه قوامها العبودية التامة له والخضوع لأمره ومحبته جل جلاله.

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الذكر و البخاري، كتاب التوحيد .

[2] رواه البخاري و مسلم و اللفظ للبخاري .

[3] أبو الحسن الندوي، الأركان الأربعة، ط 1 . دمشق : دار القلم ، 1999 ، ص : 79 .

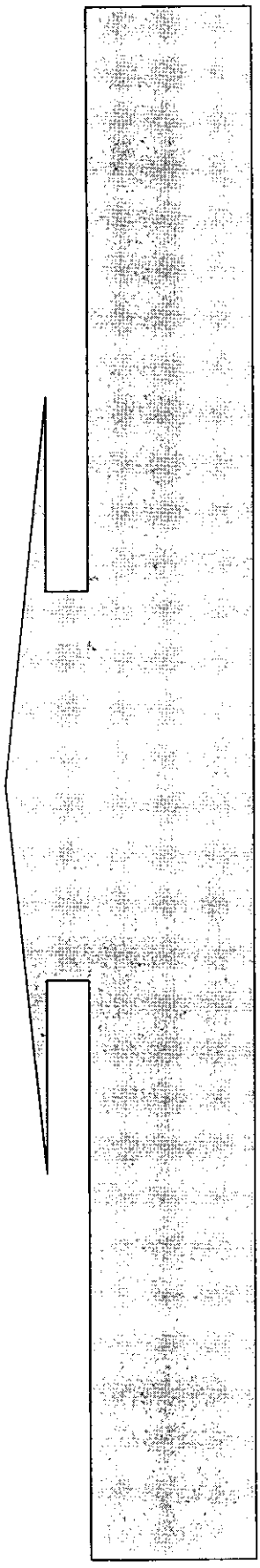

الفصل الثالث

أدلة وجود الله وصفاته

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أدلة وجود الله:

* دلالة الفطرة.
* دلالة الآفاق.
* دلالة الأنفس.
* دلالة البداهة العقلية.
* دلالة القرآن الكريم.

- صفات الله تعالى:

* دليل الصلاح الكوني.
* دليل الوحدة الكونية.
* دلالة الوحي.
* حجة قياس الأولى.

تمهيد :

الإيمان بوجود الله تعالى هو أساس العقيدة كلها ، لذلك كلما كان هذا الأساس متينا يكون الإيمان ببقية أركان العقيدة ثابتا راسخا ، وكلما كان ضعيفا بالشكوك والظنون أصبحت العقيدة كلها ضعيفة لا يقوم عليها بنيان ؛ لذلك كان لابد من تأسيس هذا الإيمان على قواعد التفكر العميق والتدبر الواعي في الكون آفاقا وأنفسا ، واستنباط الأدلة على وجود الخالق عز وجل ، وهذا ما وجه القرآن الكريم إليه في آيات كثيرة منها قوله تعالى:" سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"[1]، وهذا المنهج كفيل بتوصيل الناس كافة إلى الإيمان الحق سواء كانوا منكرين جاحدين أو شاكين أو مؤمنين مقلدين.

وسنحاول في هذا الفصل ذكر مجموعة من الاستدلالات القرآنية مبرزين تنوع تلك الدلائل سواء من حيث المصدر أو من حيث التوجه.

1- دلالة الفطرة:

إن الفطرة من أهم مصادر معرفة الإنسان بربه سبحانه ، وإيمانه به ، وهي تدفعه إلى الاعتقاد بضرورة وجود خالق لهذا الكون خلق الموجودات وأبدعها من العدم ويستدل المفكر الإسكتلندي لانج على ذلك بقوله: "كل إنسان يحمل في نفسه فكرة العلية ، وإن هذه الفكرة كافية لتكوين العقيدة بأن ثمة آلهة صانعة وخالقة للكون"[2].

وتتوافر شواهد عديدة على أن الإيمان فطرة خلق عليها الإنسان ، وأنها طبيعة فيه مثل سائر الطبائع وإن انحرفت بالقول أو بالسلوك. ومن هذه الشواهد:

1.1. شاهد الوحي :

جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف شواهد عديدة تؤيد أن الإيمان بالله تعالى فطرة في النفس الإنسانية ، وأن هذه الفطرة هي قدر مشترك بين الناس جميعا ، وأن الكفر والشرك إنما يردان بسبب أهواء النفوس وتأثيرات المجتمع ولكنها مع ذلك تظل كامنة في النفس قابلة للظهور متى أزيلت تلك الأسباب...

---

[1] فصلت ، الآية : 53

[2] محمد حسن آل ياسين، **الله بين الفطرة و الدليل**، ط 6.بيروت، المكتب العالمي للطباعة و النشر، 1979 ص : 15.

قال الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1] .

فهذه الآية تفيد أن ذرية آدم (الإنسان) تنطوي نفوسهم على شهادة التوحيد في أصل خلقتهم ، وذلك ما يؤكده أيضا قوله تعالى :﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] .

فالدين الحنيف وهو القائم على توحيد الله هو ما أودعه الله في فطرة الإنسان ، قال السيوطي:"الفطرة هي الإسلام"[3] .

ومن الأحاديث النبوية في هذا الشأن: ما رواه مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم فيما يرويه عن ربه عز و جل أنه قال:"خلقت عبادي حنفاء لهم فاجتالتهم الشياطين ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا"[4] .

ولفظ الحنيف هو المسلم كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾[5] .

ومنها كذلك قوله صلى الله عليه و سلم فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه:"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجعدونها ، ثم قرأ أبو هريرة رضي الله عنه:"فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا . . ."[6] .

فالحديثان يفيدان أن الإنسان يخلق على التوحيد وهو المعبر عنه في الأول بالحنيفية ، والمعبر عنه في الثاني بالفطرة.

أما ما يبدو في الواقع من خلاف ذلك ، إنما هو انحراف طارئ بعوامل تعود إلى هوى النفوس المعبر عنه بوسوسة الشيطان في الحديث الأول أو إلى البيئة الاجتماعية المعبر عنها بالتنصير والتهويد والتمجيس في الحديث الثاني.

---

[1] الأعراف، الآية : 172.

[2] الروم ، الآية :30.

[3] جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ط 1. بيروت : دار الفكر 1983، ج 6، ص 492.

[4] رواه مسلم كتاب الجنة و النار، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة و أهل النار ط 1.بيروت : دار الفكر، 1983، ج 6.ص 492.

[5] آل عمران ، الآية : 67.

[6] أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي.

2.1. الشاهد النفسي:

إن ما يشعر به الإنسان في حالة الخطر الداهم أو الهلاك المحق ق أو العجز التام من التجاء إلى قوة عظمى، يطلب عندها النجاة إنما هي قوة الله.

إن ذلك ليس إلا فطرة الإيمان بالله بانت جلية لما هزها الخطر ، وذلك ما حكاه القرآن عن حالة فرعون لما أحاط به الهلاك وأدركه الغرق فلم يملك إلا أن يفزع إلى الله الذي طالما أنكره استكبارا وعلوا ، وأعلن إيمانه به تبارك وتعالى ، قال الله عز و جل:﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] .

3.1. الشاهد التاريخي و الاجتماعي:

إن الدارس للتاريخ البشري سرعان ما يكتشف بأنه لم يخل مجتمع قط من الإيمان بإله يتخذ معبودا ، وعلوم الحفريات تؤكد يوما بعد يوم أن المجتمعات البشرية كانت لها آلهة حتى قال برغسون:"لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون ، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة"[2].

وكذلك قد تبين لجماعة من الباحثين والعلماء بعد دراستهم لقبائل بدائية في أنحاء متفرقة من العالم أن أكثر الأقوام بدائية لديهم معتقدات تشبه التوحيد مما يدل على أن أصل الإيمان موجود عندهم بفطرتهم التي تكون قد انحرفت[3].

2- دلالة الآفاق:

وجه القرآن الكريم الإنسان إلى النظر والتفكر في هذا الكون الرحب لتدله الآيات المنتشرة فيه على خالقه سبحانه.

وقد كثرت الآيات التي تدعو إلى التفكر والتأمل ، وتنوعت حتى صارت مبدأ قرآنيا ثابتا في المعرفة عموما و في معرفة الله خصوصا، وما يؤكد ذلك هو العدد الهائل من آيات القرآن التي تبلغ نحوا من خمسه ، والتي تتحدث عن العالم ونظامه وتفاصيله ، وكثيرا ما تنتهي بعبارات مثل: "إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون،

---

[1] يونس، الآية : 90.

[2] عبد المجيد النجار ، الإيمان بالله و أثره ظ، ص 36 .

[3] محمد حسن آل يس ، الله بين الفطرة و الدليل، ص 14-15.

يتذكرون، يعقلون، يوقنون، لأولي الألباب، لأولي الأبصار، لأولي الأفئدة، لأولي النهى" ؛ وكل ذلك دفعا للعقول واستنفارا لها كي تستقرأ الأشياء وتعرف خصائصها وطبائعها وأسرارها وقوانينها لتستدل بها على خالق الكون سبحانه وكماله وتستثمرها فيما ينفعها .

ذلك ما جعل ابن رشد يقول:"إن القرآن كله إنما هو دعاء إلى النظر والاعتبار ، وتنبيه على طرق النظر"[1] .

وعند التأمل في هذا التوجيه القرآني الدال على النظر في الآفاق المستمد من قوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[2] ؛ يتبين لنا ثلاثة أدلة ، دليلان منهما أسماهما ابن رشد دليل العناية ودليل الاختراع ، يقول ابن رشد:" الطريق الذي نبه الكتاب العزيز عليها ، ودعا الكل من بابها ، إذا استقرئ الكتاب العزيز وجدت تنحصر في جنسين: أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله ، ولنسم هذه دليل العناية والطريق الثانية ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء والموجودات مثل اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل ، ولنسم هذه دليل الاختراع "[3] .

1 . 2 : دليل الخلق:

ويقوم على التأمل في الموجودات من جهة مأتاها الوجودي ؛ فإن نرى الأشياء معدومة ثم توجد ، ولا شك أن وجودها من قبل سبب خارج عنها هو الذي أوجدها .

فإذا تأملنا المخلوقات في هذا الكون الرحب من حيث كيفية وجودها فإننا لا نلبث أن نسلم بأنها وجدت بعدما كانت معدومة بطريق الخلق من قبل موجد خارج عنها مخالف لها مخالفة مطلقة بأن يكون كاملا كمالا مطلقا مستغنيا عن كل ما سواه و ذلكم الله خالق كل شيء، قال تعالى:﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾[4] .

---

[1] ابن رشد، **الكشف عن مناهج الأدلة**،ة تحقيق محمود قاسم، ط 3. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية 1969 ، ص 150.

[2] فصلت، الآية : 53.

[3] ابن رشد، مناهج الأدلة، ص 151.

[4] غافر، الآية :62.

لقد وجه القرآن الكريم نظر الإنسان إلى المخلوقات كلها باعتبارها طريقا موصلا إلى الإيمان بالله ووحدانيته ، وذلك في المئات من الآيات التي تحدثت عن الخلق بمختلف صوره وأشكاله.

1.1.2- خلق الإنسان:

هناك عدد كبير من الآيات القرآنية اتجهت إلى البرهنة على وجود الخالق هي طريق خلق الإنسان وما فيه من قدرة و حكمة مثل: قوله تعالى:﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[1] .

وقوله: "﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[2] .

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾[5] .

"﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[6] .

فهذه الآيات وأمثالها تدعو إلى التأمل الدقيق في خلق الإنسان من ماء ، والتأمل في خلقه عند خروجه وهو لا يعلم شيئا ، والتأمل في الحواس التي أعطاه الله إياها ، كيف يتحول الإنسان من العدم إلى الشيء الصغير ، ثم يصير سميعا بصيرا مفكرا ، ثم يتأمل كذلك في خلق الأزواج وما يكون بينهم من مشاعر المحبة والمودة ، ثم يتفكر الإنسان في منامه كيف ينام ، وكيف يستيقظ كلها معجزات ، ولكن تكرر حدوثها وإلفنا لها جعلها أمرا عاديا .

---

[1] الواقعة، الآيتان :60-61.

[2] الطارق، الآيات : 6 – 7 – 8 .

[3] النحل، الآية : 78.

[4] الروم، الآية : 20.

[5] الروم، الآية : 22.

[6] الروم، الآيية : 21.

2.1.2. خلق الحيوان :

وكذلك جاءت مجموعة كبيرة من الآيات تدعو إلى التدبر في خلق الحيوانات مثل قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2] .

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3] .

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[4] .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَانُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾[5] .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾[6] .

إن هذه الآيات تدعو إلى النظر في خلق الحيوان من ماء ، و كيف هو فصائل وأنواع لكل شكله ولونه ، وينظر إلى المنافع التي يحصل عليها منه ، إنها دعوة إلى التأمل في خلق الطيور والأنعام والحشرات كيف جاءت من العدم؟ ومن أعطاها أدوارها ؟ وما الحكمة من وجودها ؟ .

---

[1] النور، الآية : 45.

[2] فاطر، الآية : 28.

[3] النحل، الآيات : 5-7.

[4] النحل، الآية : 66.

[5] الملك ، الآية : 19.

[6] يس، الآيات : 70-73.

3.1.2. خلق النبات و إنزال الماء :

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[1].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾[2].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴾[4].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[5].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾[6].

4.1.2. خلق الأجرام السماوية :

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[7].

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[8].

---

[1] الواقعة، الآيات : 63-65.

[2] الواقعة، الآيتان : 72-73.

[3] الأنعام ، الآية : 100.

[4] النمل، الآية : 60.

[5] عبس، الآيات : 24-32.

[6] الأنعام، الآية : 142.

[7] يونس، الآية :101.

[8] ق، الآية :6.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿اللهُ الذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[1] .

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[2] .

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3] .

تلك مجموعة من الآيات و غيرها كثير تزيل الغشاوة عن المعرفة الفطرية بالله ، وترشد العقل إلى التيقن من استحالة وجود كل هذه الكائنات دون موجد قادر مريد حكيم ، ونحاول أن نلتمس وجه الدلالة فذ هذه الآيات وغيرها .

إن المتأمل في الكون و آياته العظيمة من حيث كيفية وجوده إذا ما تدبر فيها الناظر فإنه لا يلبث أن ينتهي إلى التسليم بأنه وجد بعدما كان معدوما بطريق الخلق من قبل خالق موجود خارج عنه ، وذلك لأن كل الاحتمالات التي ترد مخالفة لذلك إذا تفحصناها جيدا ظهر بطلانها .

يقول ابن رشد معرفا بدليل الخلق: "وأما دلالة الاختراع فيدخل فها وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السماوات ، وهذه الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوة في فطر جميع الناس:

أحدهما: أن هذه الموجودات مخترعة ، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات كما قال تعالى: " إن الذين تدعون من دون الله أن يخلقوا ذبابا و لو اجتمعوا له" الآية فإنا نرى أجساما جمادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعا أن ههنا موجدا للحياة ومنعما بها وهو الله تبارك وتعالى ،وأما السماوات فنعلم من قبل حركاتها التي لا تفتر أنها مأمورة بالعناية بما ههنا ومسخرة لنا والمسخر المأمور مخترع (مخلوق) من قبل غيره ضرورة.

وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فله مخترع ، فيصح من هذين الأصليين أن للموجود فاعلا مخترعا له ، وفي هذا الجنس دلائل كثيرة على عدد المخترعات"[1] .

---

[1] الرعد، الآية : 2.

[2] الذاريات، الآية : 47.

[3] يس الآيتان : 38-39.

2.2. دليل النظام :

ويعرفه الدكتور عبد المجيد النجار بقوله: " النظام في الأشياء هو تركيبها على مقادير وكيفيات محددة والإئتلاف بينها في علاقات جارية على سنن ثابتة منتظمة وفق تقدير مسبق وهو في التعبير القرآني القدر والتقدير كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2]. فقدر الأشياء وقدرها معناه: أن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة[3].

وحينما نتأمل في آيات الكتاب العزيز نجدها تتحدث عن هذا النظام صراحة حينا وضمنا أحيانا أخرى.

- فأما الآيات التي تتحدث عنه صراحة كما في قوله عز و جل :﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ
- تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

و قوله تعالى :﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾[5].

وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[6].

و قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[7].

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[8].

---

[1] ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ص 152.

[2] القمر، الآية : 49.

[3] عبد المجيد النجار، الإيمان بالله و أثره في الحياة، ص 87 – 88 .

[4] يس، الآيتان : 38-39.

[5] الرحمان، الآيتان : 17-18.

[6] الشورى، الآية : 25.

[7] يونس، الآية :5.

[8] الأنعام، الآية : 96.

وهناك آيات أخرى أكثر تتحدث عن نظام هذا العالم ضمنا كما مر معنا في الآيات التي تحدثت عن خلق الإنسان و الحيوان والنبات والأرض و غيرها ؛ إذ حينما يتبصر فيها المتبصر يتكشف له نظامها المبدع في تركيب كل شيء . كما يقول رسل تشارلز آرنست في وصف النظام الدقيق في الخلية: "إن كل خلية من هذه الخلايا إنما هي جهاز معقد يقوم بطريقته الخاصة بجميع الوظائف المعقدة الضرورية للحياة ومنها الحركة التي شاهدنا أحد مظاهرها وتؤدي كل خلية من الخلايا وظائفها الحيوية العديدة بدرجة من الدقة يتضاءل بجانبها أقصى ما وصل إليه الإنسان من دقة في صناعة الساعات الدقيقة"[1] .

كما يظهر هذا النظام في حركة الكون من أضخم شيء فيه إلى أقل شيء من المجرة إلى الذرة ، يقول وحيد الدين خان[2]: "إن حركة الأرض حول الشمس منضبطة تمام الانضباط بحيث لا يمكن أن يحدث أدنى تغيير في سرعة دورانها حتى بعد مرور قرن من الزمان ، وهذا القمر الذي يتبع في حركة الأرض يدور في فلك منضبط. . .وإن العقل حين ينظر إلى هذا النظام العجيب والتنظيم الدقيق لا يلبث أن يحكم باستحالة أن يكون هذا كله قائما بنفسه ، بل إن هناك طاقة غير عادية هي التي تقيم هذا النظام العظيم. . .إن هذا النظام الذي يوجد في العوالم الكبرى نجده في صورته الكاملة في أصغر عالم عرفناه. . .

إن هذه الذرة تحتوي بصورة رائعة على نظام الدوران العجيب الموجود في النظام الشمسي"

كما يظهر هذا النظام في التوازن العجيب بين الموجودات المحكوم بجملة من القوانين ، وتنصع هذا التوازن أحجام الموجودات و أوزانها و المسافات الفاصلة بينها ، والتكامل الذي بنيت عليه في القيام بأدوارها والكون كلها محكوم في بقائه بهذا النظام[3] .

وكل عالم مدقق في تخصصه يخلص إلى هذه النتيجة ؛ فمن ذلك قول الكاتب الأمريكي ويل سوار أخصائي فيزياء التربة: "إن عالم التربة مليء بالعجائب ، وسوف تروعك تلك العلاقات المتشابكة العديدة التي لا يمكن

---

[1] مجموعة من العلماء،**الله يتجلى في عصر العلم**، تر الدمرداش عبد المجيد سرحان،ط2 دار إحياء الكتب العربية، ص 77.

[2] وحيد الدين، الإسلام يتحدى ، ص 53.

[3] عبد المجيد النجار، الإيمان بالله و أثره في الحياة ، ص 91.

أن تكون قد تمت إلا عن تصميم وإبداع ، ولا شك أن ذلك سوف يقود القارئ إلى التفكير في المبدع الأعظم"[1].

وأخيرا: نقول إذا تبين أن هذا الكون قائم على هذا النظام البديع فإنه يستحيل أن يكون وليد الصدفة العمياء إنما يعود إلى موجود أعلى مريد عليم حكيم هو الحق سبحانه.

3.2. دليل العناية (التسخير):

إن المتفكر في بناء هذا الكون وهندسته ومجوداته يلحظ فيه استعدادا لتلبية حاجيات الإنسان ومطالبه في حفظ حياته وتنميتها ، والمتفكر في الإنسان من جهة ما خصه الله به من قدرات عقلية وجسمية تؤهله للاستفادة من هذا الكون يجد توافقا عجيبا بين الكون والإنسان ، ويتبين له أن الموجودات كأنما وجدت لخدمة هذا الكائن.

إن التوافق العجيب يدل على رعاية خاصة وعناية بهذا الكائن المدلل ، وهي عناية تدل على وجود معنى قاصد مريد لما يفعل هو الحق سبحانه ، يقول ابن رشد محددا هذا الدليل:" دليل العناية. . .ينبني على أصلين: أحدهما: أن جميع الموجودات التي هاهنا (في الكون) موافقة لوجود الإنسان. والأصل الثاني: أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد ، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق"[2].

وقد تحدث الأستاذ كرسي موريسون في كتابه العلم يدعو إلى الإيمان مطولا مؤكدا هذا المعنى بما وصلت إليه العلوم والكشوفات[3].

فإذا ما تعرفنا جيدا على ذلك التوافق العجيب ، ولمسنا بكل حواسنا وعقولنا وقلوبنا عناية الله بخلقه فنقول: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[4].

---

[1] مجموعة من العلماء، الله يتجلى في عصر العلم ، ص 118.

[2] ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تر محمود قاسم ط 3، القاهرة مكتبة الأنجلو مصرية 1996. 151.

[3] أ. كرسي مورون، العلم يدعو إلى الإيمان، تر محمود صالح الفقاكي دار القلم بيروت، بدون تاريخ ص 63 و ما بعدها.

[4] الأنعام ، الآية : 91 .

إن آيات كثيرة جاءت ترشد إلى هذا الدليل ، وتدعوا العقول إلى الوقوف عليه والتأمل فيه وصولا إلى معرفة الحق، منها على سبيل المثال:

- **العناية بتسخير عالم الأفلاك:**

قوله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[1] .

وقوله عز و جل:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2] .

وقوله:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3] .

- **العناية بخلق الحيوان :**

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] .

وقوله:﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ

---

[1] براهيم الآية : 32-33

[2] البقرة، الآية : 21-22.

[3] القصص 72-73.

[4] النحل، الآيات :5 -8

جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

و قوله :﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

و قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

● العناية بتسخير عالم النبات:

قال تعالى:﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾[5].

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[6].

● العناية بإرسال الرياح ، و إنشاء البحار الأنهار :

يقول الله تعالى:﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[7].

---

[1] الحج، الآية : 36.

[2] النحل، الآية : 68-69.

[3] النحل، الآية : 79.

[4] النحل ، الآيتان : 10 ، 11 .

[5] الانعام، الآية : 141.

[6] عبس، الآيات : 24-32.

[7] الأعراف، الآية : 57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[1]

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

- **العناية بالإنسان روحيا :**

إن عناية الله بالإنسان شاملة كاملة تعدت جانبه المادي إلى جانبه المعرفي ، وإذا كان الله تعالى قد ركز في خلقه الإنسان فطرية معرفته فإنه مع ذلك اعتنى بالإنسان حين وجهه إلى تدبر خصائص نفسه من جهة ما تحققه تلك الخصائص من خير وسعادة ، و ذلك حينما استفزه إلى إعمال حواسه وعقله وقلبه في النظر والتأمل وحذره من كل الآفات التي تحجب عنه نور المعرفة.

ولعلمه سبحانه بما قد يطرأ على الفطرة من غشاوة وعلى وسائل المعرفة من تعطيل أرسل خيرة خلقه لعباده مبشرين ومنذرين ومذكرين ، فعلى مر التاريخ كانت عناية الله بخلقه حاضرة في رسله وأنبيائه وكتبه يدعوهم إلى الإيمان ويرغبهم فيه ، ويعلمهم أنه يحبه منهم ، ويحذرهم من الكفران ، ويخيفهم منه ، ويعلمهم أنه لا يرتضيه. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[4].

---

[1] الروم، الآية : 48.

[2] النحل، الآية : 14

[3] النمل، الآية : 61

[4] الانعام، الآية : 19.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ .....﴾[1]

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[3].

﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[4].

﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِي .....﴾[5].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

---

[1] البقرة، الآيتان : 150-151

[2] إبراهيم، الآية : 05

[3] المائدة، الآيات : 67-68-69

[4] الزمر، الآية 8.

[5] الزمر ، الآيتان : 13-16

3. دلالة الأنفس:

تمهيد: كما وجهنا الله تعالى في كتابه إلى النظر في الآفاق لنؤمن بناءا على دلالتها عليه، فإنه وجهنا أيضا إلى ذواتنا الإنسانية لتحصيل الإيمان نفسه حيث تدل هي أيضا دلالة قوية على وجوده وكماله ، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] . وقوله:﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]

ولا شك أن الإنسان جزء من هذا الكون يتحقق فيه من الدلالة على وجود الله تعالى كسائر الموجودات من حيث الخلق ، و النظام ، والعناية ، بل ويزيد عليها بما يتميز به من وعي و إدراك.

وحينما يضع الإنسان نفسه موضوع بحث و تأمل ، فإنه سيخرج لا محالة بجملة من الدلائل منها ما يشبه ما توصل إليه بنظره في الكون من حوله ، ومنها ما يختلف عنها لخصوصية موضوعها . ونورد فيما يلي جملة من هذه الدلائل :

1.3. دليل التخليق[3]:

ويقصد به خلق الإنسان طورا بعد طور في مراحل متتابعة ، فإذا نظر الإنسان في ذاته كيف وجد ملاحظا ذلك في ظاهر الكيان الإنساني ، ومستنبطا إياه في أعماق الشعور وقف من ذلك على حقيقتين:

أولهما: أنه وجد بعد أن لم يكن موجودا ، فمهما لاحظ من الموجودات الكونية في وجودها بعد عدمها واستيقن حدوثها من ذلك ، فإن استيقانه لحدوث نفسه يكون أقوى و أشد، إذ ينضاف إليه في هذا الاستيقان برهان الشعور في الوعي بالنفس إلى جانب البرهان العقلي الذي يدرك به حدوث الموجودات الكونية.

وثانيهما: أنه وجد في أطوار متتالية منقلب بعضها عن بعض ،وذلك بناء على ما يقف عليه بالملاحظة العلمية من انقلاب الأطوار التي يمر بها الجنين من حين النطفة إلى أن يصير طفلا ، وبناء على ما يقف عليه أيضا

---

[1] فصلت، الآية : 53.

[2] الذاريات، الآية : 21.

[3] أنظر : عبد المجيد النجار، الإيمان بالله و أثره في الحياة، . ص 101.

بالشعور الواعي من انقلاب أحواله منذ بدأ يشعر بنفسه في أطوار متتالية يسلم كل منها إلى الآخر ، ومع اختلاف في كل طور وذلك في جانبي النفس والجسم معا من حين الطفولة إلى حين الشيخوخة.

فإذا نظر الإنسان في هاتين الحقيقتين من حقائق نفسه لاحظ أنه لا يملك في ذلك شيئا لا من جهة الحدوث ولا من جهة الأطوار المنقلبة.

فإذا نظر إلى ما حوله من موجودات عرف أنها لا تملك هي أيضا في ذلك شيئا لعلمه أنها أضعف منه وأقل تدبيرا ، لما يشاهده فيها من تسخير له وتحكم منه في كثير من قواها واستخدامها في أغراضه المختلفة.

فكيف يمكن لها – والحال هذا – أن يكون لها دخل في إحداثه بعد إذ لم يكن ، أو تقليب أطواره الجسمية أو النفسية ؟ إنه حين إذن لا يملك إلا أن يسلم بأن قوة خارجة عنه وعن المادة التي من حوله تتصف بالقدرة والعلم والإرادة هي التي أوجدته من عدم وقلبته في أطواره المختلفة جنينا في بطن أمه وإنسانا على هذه الأرض.

وكثيرا ما تحدثت آيات الكتاب العزيز مرشدة عقل الإنسان وقلبه إلى هذا الدليل ، من ذلك قول الحق تبارك وتعالى:﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾[2].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[3].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4].

---

[1] الإنسان، الآيتان :1-2.

[2] مريم، الآية :8.

[3] المؤمنون، الآيات : 12-16.

[4] غافر، الآية :67.

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1] .

إلى غير ذلك من الآيات المشابهة التي استوحى منها علماؤنا هذا الدليل و فصلوا القول فيه و اعتبروه من أدل الحجج وأقربها إلى ذهن الإنسان وقلبه، لأنه مستخلص بالاستبطان في الذات إحساسا وتعقلا معا فصار الإنسان دليلا ومدلولا .

وممن قال بهذا الدليل واعتمد عليه الإمام الأشعري حيث قال: "إن سائل سأل ، فقال: ما الدليل على أن للخلق صانعا صنعه ومدبرا دبره ؟ قيل له: الدليل على ذلك أن الإنسان الذي هو في الغاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم لحما ودما وعظما ، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال إلى حال لأننا نراه في حال كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا ... يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه على فعل ذلك أعجز... ورأيناه طفلا ثم شابا ثم شيخا ، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب إلى حال الكبر ؛ لأن الإنسان لو جهد أن يزيل على نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك. . .فدل على أن له ناقلا نقله من حال إلى حال ودبره على ما هو عليه. . . "[2].

2.3. دليل الاضطرار والعجز :

حينما يتأمل الإنسان نفسه و يلاحظها في أحوالها فإنه سرعان ما يكتشف أنها على قدر كبير من العجز والحاجة ، وذلك عندما تصيبها المحن و الشدائد من مرض أو غرق أو غيرها ، عندئذ لا تفزع و لا تلجأ إلى شيء من المخلوقات لعلمها بضعفها، وإنما تضطر وتلجأ إلى من تؤمن به في قرارتها أنه يملك أمرها ويجيب دعاؤها ويفرج كربتها .

إن علم الإنسان وشعوره بعجزه وحاجته يجعلانه متيقنا بأنه لا يدبر أمر نفسه في كثير من أموره ، كما أن ما حوله من الكائنات لا تدبر ذلك الأمر قطعا لأنه يفوقها بالمعرفة والعقل ، وهذا الاستيقان للعجز والحاجة يدفع

---

[1] نوح، الآيتان :13-14.

[2] الإمام أبو الحسن الأشعري ، اللمع ، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ،1993 ، ص 18-19.

الإنسان إلى البحث عمن يسعفه عند عجزه وحاجته فلا يجد إلا موجدا واحدا مبرأ من العجز و الحاجة وهو الله تبارك و تعالى [1].

يقول الأستاذ بكري شيخ أمين:" نذكر يوم قرعت الأجراس في الولايات المتحدة ن وقرر الكونغرس الالتجاء إلى الله وإقامة الصلوات والدعاء من أجل أن يعيد إحدى المركبات الفضائية إلى الأرض سالمة من الأخطار التي أحدقت بها ، وكان ذلك عام 1972 ، وتعلقت قلوب الملايين من البشر بهؤلاء الرواد وارتفعت أكفهم بالابتهالات بطلب السلامة في رحلة عودتهم الاضطرارية حين فوجئوا وهم في قمة التكنولوجيا بالحاجة الملحة إلى الخالق ، وثارت في أعماق قلوبهم كوامن الإيمان الفطري"[2].

وقد تكرر هذا المعنى في عدد كبير من الآيات منها :

قوله تعالى:﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[3].

و قوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[4].

وقوله تعالى:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[5].

وقوله تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[6] .

---

[1] انظر : محمد ربيع محمد جوهري ، **عقيدتنا**، ، ط 2. القاهرة : دار مكة للطباعة. 1995 ، ص 70.

[2] بكري شيخ أمين ، **أدب الحديث النبوي** ، ط 5. القاهرة : دار الشروق ، 1981، ص 123.

[3] النمل، الآية : 62.

[4] الزمر، الآية : 9.

[5] العنكبوت ، الآية : 65 .

[6] يونس ، الآيات : 21 – 23

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] .

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2] .

3.3. الدليل الأخلاقي : (أو دلالة الضمير)

حينما يتأمل الإنسان في داخلة نفسه فإنه يدرك أن فطرته الإنسانية تدفعه إلى القيام بالواجب و الوقوف مع الحق و الالتزام بمجموعة من القيم الأخلاقية و ذلك عام في جميع الناس حتى المجرمين منهم ، و لكنهم في إجرامهم يسيرون وراء إرادتهم المنفعلة بالأنانية و حب الذات.

حتى إنك لترى الإنسان يقدم الواجب و لو كان كريها ثقيلا على إطاعة الهوى المحبب إليه وإن لم يطلع عليه أحد .

إن وجود هذا الوازع أو الضمير في نفس الإنسان دليل أن هناك غارسا لهذا الحق و العدل متصفا بهما و هو الله سبحانه، لينتظم أمر المجتمع البشري[3] .

و تشير جملة من الآيات إلى هذا الدليل منها :

قوله تعالى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[4] .

إن إلهام التقوى للنفس معناه منحها الوازع الخلقي الذي يقاوم دواعي الشهوة والفخور .

ومنها قوله تعالى:﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[5] .

و في الحديث الشريف عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن البر و الإثم فقال: "البر حسن الخلق و الإثم ما حاك في نفسك و كرهت أن يطلع عليه الناس"[6] .

---

[1] الأنبياء، الآيتان : 86-87.

[2] الأنبياء، الآيتان : 88 – 89 .

[3] انظر تفصيلا للموضوع : عبد المنعم الحفني ، **البراهين العقلية على وجود الله** ط 1. القاهرة : الدار الشرقية ، 1990. ص 53 و ما بعدها.

[4] الشمس الآيتان : 7-8.

[5] القيامة، الآيتان :1-2.

[6] رواه مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب و رواه الترمذي في كتاب الزهد.

وعن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: "جئت تسأل عن البر و الإثم ؟ قلت : نعم. قال : استفت قلبك ، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك"[1] .

ومن هذا المنطلق قال عالم الرياضيات روبرت هورتن كامرون: "إنني أعتقد بوجود الله لأنه وهبني التمييز الأخلاقي، فالجنس البشري لديه إحساس فطري بما هو خطأ وصواب"[2] .

4. دلالة البداية العقلية:

ويقصد بها جملة من الأدلة التي تعتمد في بنائها على معارف أولية فطرية مركزة في الإنسان كمبدأ السببية مثلا ، وذلك ما يعرفه الإنسان في نفسه بداهة ، ومن هذه الأدلة :

1.4. دليل الحدوث: وقد ذكره أغلب المتكلمين في كتبهم منهم الإمام الأشعري في اللمع[3] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

ويعتمد هذا الدليل على دعامتين أساسيتين هما :

1- العالم حادث.

2- كل حادث لا بد له من محدث.

والنتيجة: أن العالم محدث و لا بد له من محدث و هو الله تعالى.

ويقصدون بالعالم كل شيء سوى الله تعالى ، و هو عبارة عن أجسام وأعراض (صفات) ، والأعراض التي هي صفات الأجسام حادثة بالمشاهدة ، فإننا نرى حركة بعد سكون ، ونرى تغير ألوان الأشياء وشكلها ومقدارها ، وهذا دليل حدوثها .

وأما الأجسام فهي حادثة أيضا ؛ لأن أي جسم من الأجسام لا يخلو عن الأعراض الحادثة كالحركة والسكون مثلا ، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

---

[1] رواه أحمد.

[2] مجموعة من العلماء، الله يتجلى في عصر العلم ، ص 192.

[3] أبو الحسن الأشعري ، اللمع ، ص 19-20.

إذن: فالعالم كله حادث ، وبما أنه كذلك فهو محتاج إلى من يحدثه ويوجده ؛ لأنه يستحيل عقلا أن يوجد حادث بلا محدث ، أو فعل بلا فاعل ، وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل ، فلزم أن يكون الذي أوجده هو الله جل جلاله وخاصة أنه لم يدع أحد خلال العصور أنه هو الذي أحدث العالم وأوجده بعدما كان معدوما والدعوى تسلم لصاحبها طالما لم ينازعه فيها أحد[1] .

وقد استمد المتكلمون هذا الدليل من وحي القرآن الكريم ، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2] .

إن سيدنا إبراهيم عليه السلام استدل من تغير أحوال الأشياء على حدوثها ومن حدوثها على ضرورة وجود محدث لها غير متغير ، وذلك بمقتضى الضرورة العقلية. قال الزمخشري عند تفسير الآية :" **لا أحب الآفلين**" لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين على حال إلى حال ، المنتقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام. . ."إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض" أي: الذي دلت المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها . . .فإن قلت: لم أحتج بالأفول دون البزوغ ، وكلاهما انتقال من حال إلى حال؟ قلت: الاحتجاج بالأفول أظهر ؛ لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب"[3] .

2.4. دليل الإمكان :

وهذا الدليل يذكره أكثر الفلاسفة الإسلاميين كالفارابي و ابن سينا[4] .

---

[1] محمد ربيع محمد جوهري ، عقيدتنا ، ص 52-53 ؛ يحيى هاشم حسن فرغل ، **مداخل إلى العقيدة الإسلامية** ، طبعة 1985 ، ص 159 و ما بعدها.

[2] الأنعام، الآيات : 75-79

[3] أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري ، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، طبعة دار المعرفة، بيروت، (دت) ، ج 2 ص 24-25 .

[4] يحيى هاشم حسن فرغل ، مداخل إلى العقيدة الإسلامية ، ص 154 و ما بعدها.

ويعتمد هذا الدليل على مقدمتين :

الأولى : أن هذا العالم ممكن.

الثانية : أن كل ممكن محتاج في وجوده إلى سبب يمنحه الوجود

والنتيجة لهاتين المقدمتين : أن العالم محتاج في وجوده إلى سبب يمنحه الوجود ، وهذا الذي منحه الوجود هو الله رب العالمين.

وإذا أردنا تفصيل القول في هذا البرهان نقول :

المقدمة الأولى: تعني أن كل كائن من الكائنات صالح في ذاته للوجود والعدم ، وليس أحدهما أولى بذاته من الآخر ، وكل ما كان على هذا الوصف فهو الممكن.

وأما المقدمة الثانية: فظاهرة ؛ لأن ترجيح الوجود على العدم محتاج إلى فاعل يرجحه ، وإلا لزمنا القول بالترجيح دون مرجح ، وهذا مستحيل عقلا.

وهذا الفاعل للترجيح إما أن يكون نفس الممكن ، أو أمرا خارجا عنه ، ويستحيل أن يكون الفاعل هو الممكن وإلا لزم تقدم الشيء على نفسه فيتعين أن يكون الفاعل أمرا غير الممكن وهو الواجب ؛ لأن المستحيل لا يصلح أن يكون فاعلا لأنه فاقد الوجود فكيف يمنحه لغيره![1].

وهذا الدليل الذي يبدو غامضا وموغلا في التجريد هو ذاته ما ورد في الكتاب العزيز في آيات هي في ذاتها أشبه بأدلة منطقية جدلية على وجود الله تعالى كقوله عز و جل:﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ"﴾[3].

---

[1] محمد ربيع محمد جوهري ، عقيدتنا ص 54-55.

[2] الطور، الآيات :33-35.

[3] الطور، الآية :41.

والكلام في هاتين الآيتين يتعلق بالكائنات الحادثة ، وهي فيما نشاهد، الإنسان ونظام الكون وظواهره ، والآيات على قصرها تتضمن الاحتمالات الممكنة فيما يتعلق بحدوث هذه الكائنات التي يعتبر حدوثها شيئا مسلما به ، وهذه الاحتمالات هي :

أولا: أن تكون الكائنات الحادثة قد حدثت من غير علة ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾و هذا مرفوض لأنه مخالف لما يقضي به العقل من ضرورة وجود محدث لكل شيء حادث. وهو ما تضمنته الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾.

ثانيا: أن تكون الكائنات الحادثة قد أوجدت نفسها بنفسها ، وهذا باطل أيضا لأن الكائن الحادث وجد بعد أن لم يكن موجدا فالقول بأنه أوجد نفسه يتضمن التناقض ، وهذا ما تضمنته الآية :﴿ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾

ثالثا : إن هذا الحادث قد أحدثه غيره ، و هذا هو الاحتمال الصحيح الذي تقضي به العقول.

5. دلالة القرآن :

دعا الرسول صلى الله عليه و سلم الناس إلى الإيمان بالله تعالى على الوصف الذي يليق به من كمال ولم يكن خطابه لهم إلا هذه الآيات المباركات التي تأتيه من عند الله سبحانه ، ولم يكن يقدم بين أيديهم البراهين الفلسفية ولا الرياضية وإنما آيات الوحي تدركها القلوب بيسر ، وتنساب في الأرواح انسياب النسيم فتستجيب النفوس لداعي الإيمان ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾[1] .

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدل الخلق على خالقهم بكلامه سبحانه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت قريش يا محمد: صف لنا ربك الذي تدعونا إليه ، فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [2] .

ويقول الزمخشري أيضا عند تفسير سورة الكافرون :"روي أن رهطا من قريش قالوا يا محمد: هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك ، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة. فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره. فقالوا : فاستلم

---

[1] آل عمران، الآية : 193.

[2] الزمخشري ، الكشاف ج 4 ص 242.

بعض آلهتنا نصدقك ، ونعبد إلهك. فنزلت ، فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها فأيسوا"[1] .

و هكذا كان الرسول صلى الله عليه و سلم يخاطب الناس بالقرآن الكريم و ما فيه من حجج و أدلة تتسم بالقوة و الوضوح و الفعالية.

وهو بذلك يستجيب لأمر ربه في دعوة الخلق إليه سبحانه بآي وحيه ، قال تعالى:﴿ وَ أَنْذِرْ بِهِ الذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَقُونَ﴾[2]

و قوله تعالى :﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القرآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾[3] .

و هكذا كان فعله و دعوته حتى دخل الناس في دين أفواجا .

ولا بد أن نشير إلى أننا لا نقصد بهذه المقدمة رفض البراهين الفلسفية أو الرياضية أو غيرها فلها أهميتها ، ولكننا نقصد التنبيه على منهج الرسول صلى الله عليه وسلم المعتمد على القرآن خاصة ، وأن تلك البراهين الكلامية لا تخص عموم الناس بما تحتوي عليه من صيغ فنية منطقية معقدة لا تجدي نفعا خارج دوائر مرتبيها . لذلك لا بد من العودة إلى القرآن و أسلوبه الفريد وأدلته المشبعة بالإقناع لا لنلتزم بالنصوص ونقبلها القبول التقليدي الوراثي ، بل لنسلم العقل إلى هدايات هذا القرآن ليسجد في محراب الإيمان ويخرج من أسر الأدلة الشكلية والتعقيدات الجدلية إلى أفق جديد يؤذن بإزدهار حقيقي للدراسات العقدية[4] .

وهنا يطرح السؤال كيف نعتمد على القرآن في استمداد إيماننا بالله و معرفتنا له و نحن لم نسلم بعد بوجود المتكلم إذ المنطق يقتضي أن أومن بالله الذي جاء من عنده هذا الكتاب أولا ثم أتلقى عنه ما شاء من توجيهات و أحكام.

فإذا ثبت لدي بالبرهان اليقيني الذي لا يبقي في النفس شكا أن هذا الكتاب من عند الله صدقت بكل ما فيه وامتثلت.

---

[1] نفس المرجع ، ج 4 ، ص 238.

[2] الأنعام الآية : 51

[3] الأنعام ، آية: 19

[4] حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط 2، القاهرة : مكتبة وهبة : 1991، ص 171.

وقد مر معنا في الفصل الأول الحديث عن إثبات مصدر القرآن و بينا بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة أنه من عند الله ، ولا يمكن أن يكون من عند بشر.

لذلك فإنه يحق لنا أن نأخذ من هذا الكتاب - وبكل طمأنينة قلب وسكينة نفس - ما يجيب عن كل تساؤلاتنا عقدية كانت أم تشريعية أم خلقية.

وما دام موضوع بحثنا يتعلق بالألوهية فإننا سنكتفي بذكر باقة عطرة من آيات القرآن الكريم حسب ترتيب نزولها يُعَرِّفُ المولى تبارك وتعالى من خلالها بنفسه مقيما البراهين على وجوده ، وأنه الخالق البارئ العليم القادر الحكيم ، منبها العقول والقلوب إلى أسرار قدرته وحكمته الدالة على القصد و النظام و الإحكام في خلق السماوات و الأرض و ما فيهما و في خلق الإنسان ، وما فيه من إبداع و إتقان ، وما ينطوي عليه هذا الخلق كله من قوانين ونواميس مسخرة و مذللة لخدمة هذا الإنسان.

ولم أر من اهتم بترتيب الآيات التي تربي على العقيدة إلا الشيخ نديم الجسر ، حيث أورد في كتابه "قصة الإيمان" هاته الآيات مرتبة حسب النزول ، وقد بين فائدة هذا الجمع بقوله:" إنني أردت لك أن تتصور نفسك من أهل العصر الذي نزل به القرآن لترى كيف توالى الوحي وتتابع الهدى في خطاب الناس بهذه البراهين الدالة على الله فإن ذلك يجعل تلاوة هذه الآيات أبلغ أثرا في نفسك وأيسر في تفهم أسلوب الهدي الكريم الذي اتبعه القرآن"[1].

قال الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2].

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالذِي أَخْرَجَ المَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[3]

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[4] - [5]

---

[1] الشيخ نديم الجسر ، **قصة الإيمان بين العلم والفسلفة والقرآن** ، طبعة لبنان د . ت ، ص: 245

[2] العلق ، الآيات: 1-5

[3] الأعلى ، الآيات : 1-5

[4] الإخلاص

[5] لمزيد من التوسع انظر: المرجع نفسه ، من ص: 245- 276

صفات الله تعالى :

تمهيد :

يعتبر الإيمان بصفات الله تعالى ركنا من أركان العقيدة ، ولا يكون المؤمن مؤمنا إلا إذا استجمع بوجوده تعالى و بصفاته معا .

لذلك نقول: إن المشركين وأهل الكتاب لا يغني عنهم إيمانهم بوجود الخالق ماداموا قد انحرفوا عن التوحيد باتخاذ آلهة تقربهم إلى الله أو بإدعاء أن الله ثلاثة ، فالإيمان الصحيح لا بد أن يستجمع الإيمان بوجوده تعالى و الإيمان بكل صفاته على الوجه الصحيح و تنزيهه عن كل عيب .

وإذا كان الإيمان بالله فطرة في النفوس ، ولا يتوارد عليه إلا النفي و الإثبات – فالإنسان إما أن يقر بوجود الله أو يكفر و لا واسطة بينهما – فإن الإيمان بالصفات متعدد الأجزاء ، إذ قد يؤمن الإنسان بمجموعة من الصفات و ينكر أخرى ، وقد يتوصل بعقله إلى إثبات مجموعة من الصفات ، و لكنه لا يمكن أبدا أن يحيط بكل صفات الله تعالى ، لأنه عند إذ يكون عرضة للانحراف .

وتاريخ الأديان أكبر شاهد على أن البشر لم يكن الغالب عليهم إنكار وجود الخالق ، و إنما كان أكثر انحرافهم في موضوع الصفات ، فقد انحرف اليهود إلى التسجيم والنصارى إلى التثليث ، والوثنيون إلى اتخاذ آلهة.

وهذا كله انحراف عن الوحدنية ، لذلك جاءت الأديان تركز في خطابها على التذكير بصفات الله عموما والوحدانية بشكل خاص ، قال الله تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [1] .

ولم يكن القرآن استثناء من هذه القاعدة بل فصل القول فيها تفصيلا دقيقا مستفيضا لا يدانيه فيه أحد . وهذه ميزة تحسب له ، و ميزة أخرى هي فعالية منهجه ، وذلك ما سنبينه إن شاء الله .

[1] الأنبياء ، الآية : 25 .

دلائل التوحيد:

الوحدانية صفة من صفات الله تعالى السلبية، بمعنى أنها تنفي عنه أن يشاركه شيء في الألوهية فهي تسلب الشريكة بإطلاق فيكون له سبحانه وحده التفرد بإطلاق.

و تعتبر هذه الصفة الركن الركين في العقيدة الإسلامية ، وقد أولاها القرآن من البيان تنبيها وشرحا و استدلالا ما لم تحظ به أي صفة أخرى، بل ما يبلغه البيان في تقرير وجود الله سبحانه نفسه، و لا عجب في ذلك إذ أن معظم البشر إنما انحرافهم من هذه الجهة، كاليهود و النصارى و مشركي العرب و غيرهم، و لما كان الإسلام خاتم الرسالات فقد حرص كتابه على تصحيح كل انحراف بالتوحيد ، وذلك ما نفهم به تكرار شواهد الوحدانية التي احتشد بها الكتاب العزيز حتى أنك لا تكاد تطوي صفحة منه دون أن توجهك إلى معنى من معاني الوحدانية.

1 . **دليل الصلاح الكوني:** ومنطلقه التأمل في وضع النظام الكوني فإن هذا التأمل يبين أن هذا الكون مبني على نظام و صلاح شاملين فكل ما فيه يجري على سنن قويمة ثابتة ، و كل ما فيه يؤدي دورا فيه الخير و الصلاح لمجموع الموجودات الكونية عامة و للإنسان خاصة[1] .

ودليله قوله تعالى:﴿ الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[2] ؛ فقد نفي الله التفاوت في خلقه سبحانه ، ودعا الإنسان إلى إعمال حواسه ليشهد ذلك نفسه.

وكذلك قوله:﴿ الذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[3]، و كذلك قوله :﴿ صُنْعَ اللهِ الذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾"[4] .

---

[1] عبد المجيد النجار، الإيمان بالله و آثره : ص 129.

[2] الملك، الآية : 1.

[3] السجدة، الآية : 7.

[4] النمل، الآية : 88.

لقد دلنا الله تبارك وتعالى على مخلوقاته لنرى فيها قدرته و عظمته ووحدانيته ، بل وتحدى المشركين بأن يظهروا ما خلقت آلهتهم المزعومة ، قال تعالى:﴿ خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقى فِي الأرضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هذا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[1] .

إننا حينما نمتثل الأمر الإلهي وننظر في خلق السماوات وكيف بنيت ورفعت بغير أعمدة ظاهرة ، وإنما بما أودع في الأجرام من جاذبية فكل له مساره و مداره لا يحيد عنه ، وكل ذلك منذ ملايين السنين ، وذلك ما أثبته العلم نعرف أنه وحده مدبر هذا الكون.

نشاهد الصلاح حينما نرى الأرض ، وكيف ثبتت قشرتها بالجبال كي لا تميد بمن عليها ، ونشاهده حينما نعلم بالمشاهدة أن الأرض تدور حول محورها بسرعة ألف ميل في الساعة ، ولو أنها دارت بسرعة مائة ميل في الساعة لأصبح الليل والنهار عشرة أضعاف ما هما عليه ، وتبعا لذلك تحترق النباتات في النهار أو يقتل الجليد الكائنات الحية في الليل، و نرى ذلك بصورة مصغرة في تعاقب الفصول، فنشهد بوحدانية الله.

ونشاهده حينما نعلم أن درجة الحرارة في الشمس إثنا عشرة ألف درجة فذلك هو المناسب لبقاء الحياة على الأرض فلو هبطت الحرارة لتجمدنا و لو تضاعفت لاحترقنا.

ونشاهده حينما نعرف أن القمر لو اقترب منا أكثر مما هو عليه لأغرق اليابسة بفعل الجاذبية.

و نشاهده حينما نعلم أن القشرة الأرضية لو زيدت سمكا أمتارا قليلة لا نعدم الأوكسجين وانعدمت الحياة.

ونشاهده حينما نعلم أن الغلاف الجوي لو كان أقل سمكا مما هو عليه لاحترقت الأرض بسبب النيازك التي تسقط على سطحها كل يوم.

ونشاهده حينما نعلم أن نسبة الماء في البحار و المحيطات لو قلت لان عدمت الحياة على الأرض بفعل الحرارة ، ولو أنها كانت عذبة لتعفنت و فسدت البيئة[2].

---

[1] لقمان، الآيتان : 10-11.

[2] كريسي مورسون. المجلد يدعو الإيمان ، ص 76-77.

و نشاهده حينما نعلم أن 1غ من الماء يحتاج إلى خمسة أضعاف الحرارة اللازمة لتسخين غرام واحد من الألمنيوم، و ذلك ما يجعل مياه المحيطات و البحار يسخن ببطء فيُكَيِّفُ الأرض[1] .

ونشاهده حينما نعلم أن لكل حيوان ما يناسبه من أرجل و عيون و عظام و جهاز هضمي وتنفسي[2] . . .

ونشاهده حينما نتأمل الماء الذي نشرب نجده بكميات كبيرة في أجسام الكائنات الحية و هو الوسط المناسب لإتمام جميع العمليات الحيوية.

ونشاهده حينما نعرف قدرة النبات على حفظ نوعه بما تحويه الثمار من بذور.

ونشاهده حينما نتأمل في خلق الأجنة و قد جعل الله لها عيونا و هي لم تزل في ظلمات الأرحام و خلق لأجنة أجنحة و هي لا تزال داخل البيضة و الأجنة لا تستخدم العيون و لا الأجنحة في هذه المرحلة و لكن الخالق يهيؤها لحياتها المقبلة.

وهكذا دواليك إذا قلبت النظر مليا في مخلوقات الله وجدتها قد خلقت لهدف و تجري على سنن ثابتة.

إن هذا الصلاح و الإتقان الذي عليه الأرض والسماء وما فيهما يدل على وجود إله واحد هو الذي خلقهما ويدبر الأمور فيهما ، و لو كان فيهما أكثر من إله لآل الأمر إلى الفساد.

لأننا لو افترضنا وجود إلهين يخلقان ويدبران فإنهما إما أن يفعلا ذلك باتفاق بينهما أو باختلاف ، فإن كان يفعلانه باختلاف فسيؤدي ذلك إلى تدافع بينهما في الخلق و التدبير ، ويؤدي ذلك إلى الفساد و الاضطراب ، و لما لم يكن في الكون فساد فإن هذا الاحتمال باطل.

وإن كانا يفعلانه باتفاق فإما أن يكون هذا الاتفاق متمثلا في الاشتراك في كل فعل خلقا وتدبيرا ، وإما أن يكون متمثلا في اقتسام الأفعال بحيث يستقل كل منهما بقسم منها.

---

[1] عبد المجيد بن عزيز الزنداني،علم الإيمان : ص 99.

[2] عبد الرزاق نوفل،الله و العلم الحديث، طبعة دار الشروق القاهرة : 1990. ص 63 و ما بعدها.

ولا يمكن أن يكون كل فعل واقع في الكون مفعولا لإلهين معا لامتناع أن يكون شيء واحد معلولا لعلتين من جهة ، و من جهة أخرى لأن فيه اجتماعا لفعلين من نوع واحد في محل واحد ، ومتى اجتمع فعلان من نوع واحد على محل واحد فسد المحل ضرورة[1] .

ولا يمكن أن يكون الاتفاق متمثلا في اقتسام الخلق والتدبير فيستقل كل إله بقسم من الكون دون الآخر ؛ لأن الاقتسام ينتفي معه هذا التناسق العجيب بين أجزاء الكون كلها ، ولصار أمره إلى تفاوت و اضطراب و هذا غير حاصل ، فدل ذلك على أن خالق العالم و مدبره واحد أحد لا شريك له .

و لعل هذا المعنى هو ما تشير إليه الآية:﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2] .

فلما انتفى الفساد في هذا الكون الرحب انتفى معه أن يكون آلهة مع الله .

2. دليل الوحدة الكونية :

حينما نتأمل في هذا الكون الرحب من جهة القانون الذي يجري عليه خلقه و تدبيره فإننا نتبين أن هذا العالم في الخلق و التدبير يجري على نظام موحد لا يتغير من مكان إلى مكان و لا من زمان إلى زمان إنما أسلوب واحد منضبط في قوانين يجري عليها وجود الأشياء وانعدامها ؛ هذا ما نلاحظه في تركيب الموجودات و في حركتها و علاقتها ببعضها البعض بحيث تتضح وحدة الأسلوب على نحو يقيني ، وعلى أساس هذه الوحدة يتم للإنسان العلم بقوانين الكون المختلفة واستثمارها فيما يريد ، ولو كان هذا الأسلوب مختلف ما تم شيء من ذلك.

فخذ مثلا: الدورة الدموية عند الإنسان هي ذاتها في كل الأرض عند كل البشر ، وهي ذاتها في كل زمان فلو تعددت الآلهة لكان لكل إله أسلوب في إبقاء خلقه ، ولكنه لما كان الإنسان هو الإنسان وجهازه الدوري هو ذاته دل على أنه لا إله إلا الله.

وخذ مثالا آخر: و هو الدورة المائية في الطبيعة بدءا بصعود بخار الماء بفعل الحرارة إلى الطبقات العليا ثم تكثفه على شكل سحب ثم تلقيحه بتيار كهربائي مختلف فنزوله مطرا ، فهذه العملية هي نفسها في كل مكان

---

[1] ابن رشد ، مناهج الأدلة في عقائد الملة،ص 156.

[2] الأنبياء، الآية : 22 .

عملية واحدة ، وكذلك دورة حياة النبات التي بها حفظ أرزاق العباد ، إذ تمر بنفس الأطوار و في نفس الظروف عبر الزمان الغابر و اللاحق.

وكذلك دورات حياة الحيوان في البر و البحر .

وكذلك ما أودع في المخلوقات من خصائص كغليان السوائل في درجة حرارة معينة وتجمدها في درجة معينة ، والتفاعلات التي تحدث بين السوائل و الغازات إلى آخر ما في العالم من قوانين ثابتة.

وإذا ما رفعنا رؤوسنا فراقبنا حركة الأفلاك من شمس و قمر ونجوم وجدناها تسير في مساراتها ثابتة منذ ملايين السنين لم تبدل طريقها و لم تغير اتجاهها فمسارها واحد وسرعتها واحدة واتجاهها واحد .

وإذا تأملت في حركة أرضنا وجدتها لا تخرج عن هذا القانون فهي تدور حول نفسها لينتج تعاقب الليل والنهار وتدور في مدارها حول الشمس لينتج تعاقب الفصول الأربعة والدورة هي ذاتها كما خلقها الله تعالى.

فلو كان هناك إلهان أو أكثر لشاهدنا تبدلا في نظام الكون والقوانين التي يسير عليها ؛ إذ إن لكل إله طريقته وأسلوبه و منهجه في إدارة مملكته. كما يلاحظ في الكتاب الواحد أو المجلة الواحدة إذا اشترك في الكتابة فيها عدد من الكتاب فإننا سنجد حتما اختلافا في الأسلوب و الترتيب و الاتجاهات الفكرية ، أما إذا لاحظت أن الكتاب جاء بأسلوب واحد و أفكار منسجمة ، مرتبا من أوله إلى آخره دل ذلك على أن مؤلفه واحد فكذلك الأمر بالنسبة لهذا الكون فما هو عليه من انسجام وترتيب و أسلوب موحد في الخلق و التدبير ليدل على وحدة الخالق المدبر سبحانه.

و في هذا المعنى جاء قول الحق تبارك و تعالى:﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[1] .

فلو كان هناك إلهان أو أكثر لكان كل منهم يستقل بتدبير ما يخلقه فيكون ذلك سببا في اختلال النظام بين شق الكون وشقه الآخر .

---

[1] المؤمنون، الآية : 91.

قال الزمخشري معلقا على الآية : "لذهب كل إله بما خلق. أي لا نفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ، ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة و هم متغالبون ، وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء"[1].

1.2. الوحدة في بناء الكون :

يرى العلم الحديث أن الذرة هي وحدة البناء في كل الكون فأجسامنا من ذرات و الماء من ذرات و الهواء والجبال و الأرض من ذرات و الأقمار و النجوم وكل الأجرام السماوية أساس بناءها الذرة.

والذرة جسم غاية في الصغر تتكون من نواة و النواة مبنية بدورها من جسيمات كهربية موجبة تسمى بروتونات وجسيمات متعادلة تسمى نيترونات، و يدور حولها على مسافة بعيدة نسبيا جسيمات كهربية سالبة تسمى الكترونات.

ومعظم الذرة فراغ تدور فيه أجسامها الصلبة حتى أن نسبة المادة الصلبة التي تبنيها للفراغ الذي تدور فيه الإلكترونات هو بنسبة واحد إلى ألف مليون[2].

و يرى العلم أن الإلكترون من أصغر الجسيمات الذرية ، ولكن دورانه حول نواته أكبر من دوران أي شيء عرفه البشر فهو يدور بسرعة 7000 مليون دوره في الثانية[3].

ويفسر العلم هذه السرعة الشديدة بقوله : إن النواة موجبة و الإلكترون سالب و الموجب يجذب السالب فلا بد للإلكترون أن يدور بهذه السرعة حتى لا ينجذب إلى النواة ، ولا بد أن يتخذ مدارات بعيدة عن نواته ، وقد قدر الله المسافات على ضآلتها وحسب الدورات على شدة سرعتها كي تتوازن الأمور في الذرة كما تتوازن الأمور في السماوات و تبقى الحياة .

---

[1] الزمخشري : الكشاف ج 3 ص 45.

[2] د عبد الغني عبود : الإسلام و الكون ط 1، دار الفكر العربي 1977 ص 30.

[3] المرجع نفسه و الصفحة .

وهكذا بني أصغر شيء في الوجود كأكبر شيء فيه على نفس القانون و المبادئ .

إنها المعجزة أن يكون أصغر ما في الوجود قد بني على نفس فكرة أكبر ما في الوجود [1] .

كل مخلوقات هذا العالم بنيت من هذه الذرات فحينما يتحد بعضها ببعض في صور مختلفة تكون لنا الحياة ؛ فذرة من الكلور تتحد بذرة من الصوديوم تعطينا كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ، وذرتان من الهيدروجين تتحدان بذرة من الأوكسجين لتعطي الماء الذي نشربه إلخ . . .

وهكذا تتدرج في هذه الروابط الذرية لندخل عالم الجزئيات حتى تتكون بنايات جزئية من ملايين فوق ملايين هي التي تكون الحياة من حولنا في هذا العالم الرحب من المجرات إلى صغار الكائنات المجهرية .

ويرى العلم أن في جسم الإنسان ألوف الأنواع من البر وتينات ، والبروتين يتكون من كربون وهيدروجين وأوكسجين و نتروجين ، وقد يكون معها فوسفور أو كبريت .

ونفس هذه العناصر الموجودة في جسم الإنسان هي العناصر الأساسية التي يتشكل منها الكون من حولنا فهي تتشكل بصورة معينة لتكون إنسانا و بصورة أخرى لتكون جملا و بصورة ثالثة لتكون حشرة ، وهكذا . فهي تتراص بطرق هندسية و تتشابك بقوانين خاصة و بمسافات محددة كأن هناك مهندسا يصمم مدينة [2] ، فهل يعقل أن يكون هذا النظام الواحد في البناء الذي بني به كل مخلوق وجد في هذا العالم من أصغر شيء إلى أكبر شيء من خلق وتدبير إلهين أو أكثر ؟ .

إن هذا الاتساق و هذه الدقة اللامتناهية ليكذبان هذا الإدعاء ؛ لأن العقل يقضي أن يكون لكل إله طريقته و أسلوبه في إيجاد خلقه و استقلاله في تدبيره.

فلما كانت هذه الخلائق من أصغر شيء إلى أكبره مبنية على نفس القانون و الأسلوب دل ذلك على أنها من صنع واحد أحد .

---

[1] المرجع نفسه ، ص31 .

[2] أنظر تفصيلا هذه الفكرة : عبد الغني عبود : الإسلام و الكون ، ص 29 و ما بعدها .

2.2- وحدة الحركة :

مر معنا سابقا أن الذرة هي أساس الكون ، وأنه من تشكلاتها المختلفة تتشكل الحياة ابتداء من الخلية وانتهاء بهذا الكون الفسيح ، وأن أساس التركيب الذري للحياة هو الدوران والحركة المستمرة ، وعليه فإن كل ما في الحياة يتحرك ويدور ، فكما يدور الإلكترون حول نواته حتى لا ينجذب كان لابد للأرض أن تدور حول الشمس حتى لا تنجذب إليها وتضيع في أتونها المتوهج ، فالأرض في حركة مستمرة مزدوجة لا تتوقف .

وللأرض تابع يدور حولها هو القمر وهو في حركة مستمرة مزدوجة لا يتوقف ، والكواكب السيارة الثمانية تدور كما تدور الأرض تماما حول نفسها وحول الشمس .

والشمس بدورها تدور حول نفسها ثم تصحب الكواكب التسعة وتدور بهم في مجرتها وهكذا﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1] .

إذن فكل شيء في الكون يدور .﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[2] . لأن النجوم لو توقفت عن الحركة لتجاذبت و التحمت و لحل الخراب بالكون [3].

و إذا عدنا إلى أرضنا وجدنا كل شيء يسير وفق قانون الحركة بدءا بالإنسان الذي يكون نطفة ولا يزال يتحرك و يتقلب في أطوار الخلق حتى تنتهي حياته بالموت (نظر إلى أجهزته: القلب ، الجهاز التنفسي . . .) ، مرورا بالحيوانات الأخرى كلها برية كانت أو بحرية .

وكذلك عالم النبات على رحابته ، كله حركة مستمرة و لو توقف شيء من هذه المخلوقات لانتهى واضمحل ، إنها معامل ضخمة تحت الأرض و فوقها لا تتوقف إلا أن يشاء الله ، هذا خلق الله بناه على هذا

---

[1] يس ، الآية 38 ، ص 40 .

[2] يس ، الآية : 40

[3] المرجع السابق ، 35 .

النظام ، نظام الحركة ، فأين مخلوقات غيره ، وأين أنظمتها التي تسير عليها ؟ فإننا لا نرى إلا نظاما واحدا في كل شيء عبر الكون الفسيح .

﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [1] .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2] .

2.3- الوحدة في التكامل :

إن المتأمل في أجزاء الكون من جهة وظائفها يجد فيها تناسقا عجيبا وتكاملا بين أجزاءها ، يحيل العقل أن يكون هذا التناسق والتكامل ناتجا عن خالقين مدبرين يتصرفان في مللك واحد .

فالحياة على الأرض لا تستقيم بدون انتماءها إلى المجموعة الشمسية ، فالشمس ترسل أشعتها إلى الأرض لترسل معها كل أسباب الحياة على هيئة دورات مائية و دورات هوائية ، وكلها مترابطة ومنسقة ليكون هناك حرارة و برودة و بخار وأمطار . . .

إن أشعة الشمس حينما تنعكس على البحار المالحة فيتبخر ماؤها ، ثم تتسبب تلك الأشعة في إحداث حرارة في بعض الأنحاء و برودة في بعضها الآخر ذلك ما يؤدي إلى وجود التيارات الهوائية ، وذلك يؤدي بدوره إلى الجمع بين الكهربائية الموجبة والسالبة في السحاب فيسقط المطر فيحيا به الإنسان و الحيوان و النبات .

و بدون هذه المياه العذبة لا تكون حياة على سطح الأرض .

فحينما يتجمع هذا الماء العذب في أنهار نحصل منه على الطاقة المائية التي يمكن أن نحصل منها على الطاقة الكهربائية تماما كما نحصل منها على طعامنا و شرابنا مثلما يحصل منها الحيوان و النبات على أسباب حياته.

ولقد أكد الباحثون أن كل مصادر الطاقة في الكون لابد أن تكون الشمس سببا فيها .

والشمس هي السبب المباشر للأكسيجين الذي لا غنى للإنسان و الحيوان عنه و في الوقت الذي يستنشق فيه الإنسان و الحيوان الأكسيجين فإنه يتخلص من غاز ثاني أوكسيد الكربون ، نجد النبات يحتاج إلى ثاني

---

[1] المؤمنون : الآية 91 ،

[2] الأنبياء ، الآية : 22

أكسيد الكربون ويطرح الأوكسجين ، وهذا التبادل بين الإنسان والحيوان و النبات لا يتم عفويا و إنما بأمر مدبر حكيم .

والمتأمل في الجسم البشري يجده كأي جسم آخر حي على هذه الأرض ليس إلا مستعمرة للجراثيم المختلفة التي تتصارع فيما بينها .

ففي أمعائنا تعيش جيوش من الميكروبات من أنواع مختلفة و كان اختلاف أنواعها رحمة بنا ؛ إذ لو كانت من نوع واحد لقضت علينا ، ولكنها لما تعددت حدث التوازن ، وهذا الذي يحدث في الأمعاء يحدث في كل مظهر من مظاهر الطبيعة حولنا .

ومن لطف الله أن من وظيفة المكروبات تحليل المخلفات في هذه الحياة بدلا من تراكمها فإنها تعمد إلى تلك الروابط الكيميائية فتفككها ؛ فبدلا من أن تصير عبئا على الأحياء تكون سببا من أسباب حياتهم ، ثم تعيد تركيبها من جديد ، فعلى بقايا ما يقع من الأحياء وبعد تشكيل عناصره يجد النبات غذاؤه فينمو ، فيأكله الحيوان ، و الإنسان ، و النبات بدوره ينمو و يعيش على بقايا الحيوان و الإنسان و هكذا تدور عجلة الحياة ، فلولا الميكروبات و ما تقوم به من دور في إعادة تشكيل المخلفات ليعيش عليها الأحياء لتوقفت الحياة .

و هكذا فإن لكل مخلوق دورا عرفناه أو جهلناه و بهذا تبدو وحدة التكامل و تبدو قبلها و معها و بعدها وحدانية الله سبحانه وتعالى و قدرته .

3- دلالة الوحي :

إن من أهم خصائص منهج القرآن في العقائد رعايته للعقل و خطابه إياه ، ولكن في الوقت نفسه لا يتركه يندفع وحده حتى يدخل بيداء الأوهام و ينخدع بسراب كاذب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا كما حدث لكثير من الفلاسفة عبر تاريخ البشر في القديم والحديث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - المكتبة الرقمية

إنه يترك له مجالات كثيرة يبحثها و لكنه يسعفه في مواطن الزلل التي لا يستطيع الاستقلال بالوقوف عليها كأسماء الله الحسنى و صفاته العليا و كيفية العلاقة معه ، إذن فعليه أن ينصت لله الذي آمن به ليحدثه عما يجب و ما يجوز و ما يستحيل على هذا الإله من صفات و أسماء[1] .

يعتبر الخبر الشرعي مصدرا صحيحا لتعريفنا بالله تعالى و صفاته و أسمائه و المعاد و أحواله و سائر الغيبيات بل هو العاصم من الزلل لأن العقول لا تستطيع أن تدرك و تحيط بالمطلق .

و لابن خلدون كلام نفيس ننقله مع طوله لأهميته ، يقول :" واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو أحرص على سعادتك و أعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك ، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه ، بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد و الآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية ، و كل ما وراء طوره فإن ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال و هذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عنده و لا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله و بصفاته فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه و تفطن في هذا الغلط و من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا و قصور فهمه و اضمحلال رأيه فقد تبين لك الحق من ذلك . . ."[2]

إن للعقل دورا هاما في مجال إثبات وجود الله تعالى و بذلك بالنظر في انتظام المخلوقات وفق سنن ثابتة وأن المدبر لها لا بد أن يكون واحد لعدم إمكان تعدد الآلهة المدبرة مع تحقق الانتظام في المخلوقات ، وغير ذلك من الصفات التي قد نعرفها بدلالة التلازم كضرورة أن يكون الخالق عالما مريدا حيا، قادرا ، ولكن العقل لا يستطيع أن يستقل بمعرفة الذات المقدسة فهو محدود بالزمان و المكان ، و حقيقة الصفات من طور فوق طوره ، وهذا ليس قدحا فيه كما يقول ابن خلدون ، ولكنه صنع ليزن أمورا في عالم الشهادة ولا سلطان له على عالم الغيب .

---

[1] أنظر طه دسوقي : **عقيدتنا و صلتها بالكون و الإنسان و الحياة** ، طبعة دار الهدى للطباعة القاهرة سنة 1985 ، ص 109 – 110 .

[2] عبد الرحمان محمد بن خلدون : **مقدمة ابن خلدون** ، طبعة دار الجيل : بيروت ، (د ت) ص 509..

ونتيجة لعدم التقيد بهذا الأمر وجدنا بعض علماء الكلام استعاروا صيغا للاستدلال لا تناسب موضوع بحثهم كفكرة قياس الغائب على الشاهد التي كانت أصلا طريقا لاستنباط الأحكام الشرعية العملية من مصادرها المعتبرة فنقوله إلى ميدان العقائد ليكون طريقا لإثبات الأحكام المتعلقة بالله تعالى و صفاته و أفعاله بناءا على وجود نظائر لها في الواقع المشاهد و هذا هو معنى قياس الغائب على الشاهد .

لقد غاب عن بالهم أن كل منهج يجب أن يتناسب مع الموضوع الذي يطبق فيه و شتان بين بحث موضوعه الوقائع المادية و آخر موضوعه ذات الله الذي ليس كمثله شيء .

يقول الدكتور محمود قاسم:"و لو أن المسلمين التزموا هذا المذهب و فرقوا بين عالم الغيب والشهادة لما نشأت تلك البدع الكثيرة و من بينها بدعة الصفات و لما وجدنا طائفة منهم كالحشوية و الكرامية الذين التزموا النصوص الظاهرة المتشابهة و فهموها فهما حرفيا و فانتهوا بان أثبتوا لله عددا كبيرا من الصفات الإنسانية . فقالوا إن له وجها و يدين و عينين ثم غلوا في ذلك ما شاء لهم الغلو فقالوا إن الله – سبحانه عما يقلون – جسم يختلف عن الأجسام"[1] .

و المعتزلة المشهورون بالتنزيه أخذوا بقياس الغائب على الشاهد حين قالوا بأن الخلق و الرزق و الكلام والإرادة كلها صفات أفعال و هي حادثة[2] .

والأشاعرة أيضا أخذوا بهذا القياس حين أولوا الصفات الخبرية ؛ لأنهم لم يتصوروا أن يستوي الرحمان على عرشه كما يستوي المخلوق .

وأخذوا به أيضا حين قالوا بان صفات الأفعال حادثة .

وكذلك أخطأ الفلاسفة خطأ فاحشا حين قالوا بأن الله يعلم الكليات فقط و لا يحيط علمه بالجزئيات لأنهم تصورا أن إحاطته بها تعني تجدد علمه كلما وقعت وقائع جديدة ، وهذا نتيجة قياسهم عالم الغيب على عالم الشهادة[3] .

---

[1] مقدمة مناهج الأدلة ، تح: محمود قاسم ، ط 3 مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 37.

[2] المرجع نفسه ، ص 48.

[3] أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ، ضمن-مجموعة رسائل الغزالي ، ط دار الفكر بيروت ، 2000 ، ص 545..

و بالرغم من استحكام هذا النوع من الاستدلال فقد حمل عليه عدد كبير من العلماء لإحساسهم بضعفه و عدم مناسبته موضوع البحث.

فابن حزم ينكر استخدام هذا القياس في مجال الأفعال و الصفات الإلاهية يقول : "و هذا – أي إيجاب شيء على الله – مذهب يلزم كل من قال : "لما كان الحي في الشاهد لا يكون إلا بحياة وجب أن يكون الباري تعالى حيا بحياة و ليس بين القولين فرق و كلاهما لازم لمن التزم بأحدهما و كليهما ضلال وخطأ . . .و أما إجراؤهم الحكم على الباري بمثل ما نحكم به بعضنا على بعض فضلال بين"[1] .

و ابن رشد كذلك يرفض هذا القياس في حسم و مثله الإمام الجويني و الغزالي و ابن تومرت و الفخر الرازي[2] .و كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية الذي اقترح فكرة قياس الأولى بدل هذا القياس. قال شيخ الإسلام : "لهذا كانت طريقة الأنبياء الاستدلال على الرب بذكر آياته و إن استعملوا في ذلك القياس استعملوا القياس الأولى و لم يستعملوا قياس شمول و لا قياس تمثيل محض فإن الرب لا مثل له و لا يجتمع هو و غيره تحت كلي يستوي أفراده"[3].

كان الأولى بالمتكلمين أن يعترفوا من أول الأمر أن صفات الله ليست كصفات خلقه و كان الأحرى بهم أن يعودوا عودا تاما إلى رأي السلف و أن يتركوا الخوض في هذه المسألة و أن يكتفوا بالتسليم بوجود صفات الإلهية دون البحث في حقيقتها لأنه لا يحاط بها علما .

و إن كان من بد في خوض هذه المسائل حجاجا عن العقائد الإيمانية فإن ذلك ليس من شأن العامة بل يترك الأمر لرجال البرهان و الفلسفة[4].

فإذا بان هذا الأمر و اتضح فلا مانع أبدا من أن نأخذ معرفتنا بأسماء الله و صفاته من كلامه الذي أوحاه إلى رسوله صلى الله عليه و سلم و خاصة و أننا قد أثبتنا بالدليل القاطع مصدرية هذا القرآن في فصل سابق

---

[1] حسن محمود الشافعي : المدخل إلى دراسة علم الكلام ، ط 2 ، مكتبة وهبة : القاهرة ، 1991 ص 179- 180.

[2] حسن محمود الشافعي ، المدخل إلى دراسة علم الكلام ، ص 180-181-182-183.

[3] تقي الدين احمد بن تيمية : **الرد على المنطقيين** ، ط دار المعرفة : بيروت (د ت) ص 150.

[4] محمود قاسم مقدمة مناهج الأدلة ص 42-48.

فكلامه تعالى هو أحسن ما يعرفنا عنه. و خاصة و أنه سبحانه أمر رسوله أن ينذرنا به فقال ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1] .

و قوله تعالى : ﴿ وَذَرِ الذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً وَ غَرَّتهم الحياةُ الدُنيا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِما كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ﴾[2] .

لقد وصف الله تعالى نفسه بكل الصفات التي تليق به.

وصف نفسه بالقدرة فقال :﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبى الظَالِمونَ إِلَّا كُفُوراً﴾[3] .

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضَ وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] .

﴿ أَوَ لَيْسَ الذي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ﴾[5] .

﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾[6] .

ووصف نفسه بالعلم فقال جل شأنه:﴿ وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى﴾[7] .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[8] .

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ﴾[9] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة المركزية

---

[1] الأنعام، الآية : 51 .

[2]

[3] الإسراء، الآية : 99 .

[4] الأحقاف، الآية : 32 .

[5] يس، الآية : 80 .

[6] فاطر، الآية : 44 .

[7] طه، الآية : 7 .

[8] طه، الآية : 110.

[9] النمل، الآية : 25 .

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[1] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾[2] .

ووصف الله تعالى نفسه بالإرادة فقال جل شأنه:﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾[3] .

﴿ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ﴾[4] .

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[5] .

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾[6] .

و وصف الله تعالى نفسه بالحي و المحيي فقال:﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[7] .

﴿ الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[8] .

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[9] .

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[10] .

---

[1] الأنعام، الآية : 60 .

[2] فاطر، الآية : 38 .

[3] الكهف، الآية : 82.

[4] الأحزاب، الآية : 17 .

[5] النحل، الآية : 40 .

[6] النساء، الآيتان : 27-28 .

[7] البقرة ، الآية : 255 .

[8] آل عمران، الآية : 1-2 .

[9] غافر، الآية : 65 .

[10] البقرة، الآية : 27.

ووصف الله تعالى نفسه بالسميع البصير:﴿ سُبْحَانَ الذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1].

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيلِ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[2].

﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[3].

﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[4].

﴿ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ و الأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[5].

ووصف الله تعالى نفسه بالغنى قال جل شأنه:﴿ إِنْ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[6].

﴿ أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[7].

﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنتُمُ الفُقَرَاءُ﴾[8].

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾[9].

ووصف الله نفسه بالوحدانية فقال جل شأنه:﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ﴾[10].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[11].

---

[1] الإسراء، الآية : 1 .

[2] الحج، الآية : 59 .

[3] الحج، الآية : 73.

[4] لقمان ، الآية : 28 .

[5] الشورى، الآية : 9 .

[6] إبراهيم، الآية : 8 .

[7] الحج، الآيتان : 61-62 .

[8] محمد، الآية : 38 .

[9] العنكبوت، الآية : 6.

[10] البقرة، الآية : 163 .

[11] المائدة، الآية : 73 .

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[1] .

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[2] .

ووصف نفسه بأنه الأول و الآخر ، و المراد أنه الذي ليس لوجوده بداية و لا نهاية ، قال تعالى:﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3] .

ووصف الله تعالى نفسه بكثير من الصفات كالرضى و الغضب و الرحمة و القهر، والعزة . . .إلخ ، ذلك من صفات ، ونفى عن ذاته كل نقص و مماثلة للمخلوقات فهو سبحانه لا يشبهها في شيء ، قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[4] .

و إدخال كاف التشبيه على لفظ (مثل) مبالغة في نفي التشبيه و المثل لله تعالى[5] .

و كذلك قوله عز و جل:﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[6] .لم يكافئه أحد أي: لم يماثله و لم يشاكله"[7] .

فالقاعدة العامة المستفادة من الآيتين الأخيرتين هي تنزيه الله عن كل ما لا يليق به من النقائص ومماثلة المخلوقين.

لكن قد وردت في الشريعة نصوص يوهم ظاهرها التشبيه و المماثلة بين الله و المكونات دفعت العقل المسلم أن يبحث عن حل لها فنشأت فرقتان كبيرتين :

فرقة رأت صرف هذه النصوص عن معانيها الظاهرة فوضت علمها إلى الله .

وأخرى لجأت إلى تأويل تلك النصوص محافظة على أصل التنزيه المشار إليه في قوله تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وفق أساليب اللغة التي نزل بها الكتاب ، وهما مذهب السلف والخلف.

---

[1] يوسف، الآية : 39 .

[2] الإخلاص .

[3] الحديد، الآية : 3 .

[4] الشورى، الآية : 9 .

[5] للزمخشري ، الكشاف ، ج 3، ص 399 .

[6] الإخلاص،الآية : 4 .

[7] المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 242 .

أ – **مذهب السلف:** وهو مذهب الصحابة و التابعين يقوم على عدم الخوض في أي تأويل أو تفسير لهذه النصوص بإثبات ما أثبته الله تعالى لذاته مع تنزيهه عز وجل عن كل نقص ومشابهة للمخلوقات ، وبسبيل ذلك التأويل الإجمالي لهذه النصوص و تحويل العلم التفصيلي بالمقصود منها إلى علم الله عز و جل[1] .

قال أبو حامد الغزالي:"أعلم أن الحق الصريح الذي لا مراد فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة و التابعين ، وها أنا أورد بيانه و بيان برهانه.فأقول : حقيقة مذهب السلف – و هو الحق عندنا – أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور : التقديس ثم التصديق ثم اعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة"[2]

ثم يشرح هذه الأمور فيقول:" أما التقديس فأعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية و توابعها .

وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله صلى الله عليه و سلم ، وأإن ما ذكره حق و هو فيما قاله صادق و أنه حق على الوجه الذي قاله و أراده.

وأما الاعتراف بالعجز فهو إن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته و إن ذلك ليس من شأنه و حرفته.

و أما السكوت فأن لا يسأل عن معناه و لا يخوض فيه و يعلم أن سؤاله عنه بدعة. . .

و أما الإمساك فأن لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصرف و التبديل. . .

و أما الكف فأن يكن باطنه عن البحث عنه و التفكر فيه.

و أما التسليم لأهله فأن لا يعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه فقد خفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على الأنبياء أو على الصديقين و الأولياء"[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية ، ط 8 .دمشق : دار الفكر 1986 ص 138 .

[2] أبو حامد الغزالي ، إلجام العوام عن علم الكلام ،ضمن مجموعة رسائل الغزالي ، ط دار الفكر بيروت : 2000 ص 301 – 302 .

[3] نفس المرجع و الصفحة .

يقول ابن خلدون : "و ذلك أن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في آي كثيرة. . .ثم وردت في القرآن آي أخرى قليلة توهم التشبيه ، وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها و لم يتعرضوا لمعناها ببحث و لا تأويل ، وهذا معنى قول الكثير منهم: اقرؤوها كما جاءت أي: آمنوا بأنها من عند الله ، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان له"[1] .

وقال الشيخ زيد الدين مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي : "فمذهب السلف أسلم ، ودع ما قيل من أن مذهب الخلف أعلم فإنه من زخرف الأقاويل وتحسين الأباطيل فإن أولئك قد شاهدوا الرسول و التنزيل و هم أدرى بما نزل به الأمين جبريل. و مع ذلك فلم يكونوا يخوضون قي حقيقة الذات و لا في معاني الأسماء و الصفات و يؤمنون بمتشابه القرآن و ينكرون على من يبحث ذلك من فلانة وفلان"[2] .

ب – **مذهب الخلف** : أما مذهب الخلف فهو صرف تلك النصوص عن ظواهرها ، وتأويلها بما يتفق مع النصوص الأخرى المحكمة التي تقطع بتنزه الله عن الجهة و المكان و الجارحة ففسروا اليد بالقوة أو الكرم و العين بالرعاية و العناية و فسروا الأصبعين في الحديث الشريف بالإرادة و القدرة . . .إلخ

و من المهم أن نشير إلى أن المتكلمين التجأوا إلى التأويل بسبب ظهور التشبيه و التجسيم وظهور الزنادقة الذين لا يقنعهم منهج التسليم فأخذوا يثيرون الشبهات و يفسدون على المسلمين دينهم فاضطر علماء الإسلام إلى المنافحة عن عقيدة التوحيد كي تبقى نقية ، و لم يكن رائدهم الترف الفكري.

و من الجدير بالذكر أنهم لم يفتحوا باب التأويل على مصراعيه يلجه من شاء من الناس ، وإنما وضعوا له ضوابط نذكر أهمها :

1–أن يكون بقدر الضرورة و يجب الكف عن تغيير الظاهر إلا ببرهان قاطع[3] .

2– أن يتولى تأويل هذه النصوص الراسخون في العلم حتى لا ينحرف من يتصدى للتأويل[4] .

---

[1] ابن خلدون ، المقدمة ، طبعة دار الجيل د ت ، ص 513 .

[2] زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء و الصفات ، ط1 . بيروت : موسسة الرسالة ، 1985 ، ص46 .

[3] د/ أحمد عبد المهيمن : إشكالية التأويل بين كل من الغزالي و ابن رشد ، ط 1 . دار الوفاء : الاسكندرية 2001 ، ص 219.

[4] المرجع نفسه ص 221 .

3- التوقف عن التأويل عند تعارض الاحتمالات و إلا حكم المؤول بالظن و هو خطر[1].

4- ألا يتعارض المعنى المؤول مع النصوص المحكمة التي تنفي عن الله المماثلة و المشابهة[2]؟

5-الاعتماد على أساليب اللغة العربية التي هي لغة القرآن[3].

6-أن يتلاءم التأويل مع منطق العقل[4].

4-حجة قياس الأولى : إننا نرى في المخلوقين كثيرا من صفات الكمال كالعلم و القدرة و الإرادة و الحياة و السمع و البصر. . .فمن وهبهم تلك الصفات؟ لا شك أنه خالقهم الذي أوجدهم بعد أن كانوا عدما فهو من أنعم عليهم بالإيجاد و جملهم بتلك الصفات.

فهل يمكن أن يهب الله لخلقه من صفات الكمال ما ليس هو موصوف به؟ إن فاقد الشيء لا يعطيه.

- هل يهب الحياة للخلق من لم يكن حيا ؟

- هل يهب العلم للخلق من لم يكن عالما؟

- هل يهب القدرة للخلق من لم يكن عالما ؟

-هل يهب السمع و البصر للخلق من لم يكن سميعا بصيرا ؟

- لا شك أن ضرورة العقول تحيل ذلك . بل تقتضي أن يتصف بكل تلك الصفات على وجه الكمال المطلق.

و أن يتنزه عن كل ما تنزه عنه غيره من النقائص قال الله تعالى مبينا هذا المعنى:﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[5].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

---

[1] المرجع نفسه ، ص 227 .

[2] محمد سعيد رمضان البوطي كبرى اليقينيات الكونية ، ص 140 .

[3] المرجع السابق ، ص 361 ..

[4] المرجع نفسه و الصفحة .

[5] فصلت، الآية : 14 .

فهذه الآية ذكرت أن الله تعالى الذي خلقهم و أمدهم بالقوة هو أولى بها و هي عنده أشد و أعظم ، قال سيد قطب : " إنها بديهة أولية أن الذي خلقهم من الأصل أشد منهم قوة لأنه هو الذي مكن لهم في هذا القدر المحدود من القوة. . . "[1] .

و قوله تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2] .كيف الخالق غير عالم، يقول الزمخشري : "أنكر ألا يحيط علما بالمضمر و المسر و المجهر(من خلق) الأشياء و حاله اللطيف الخبير و المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه و ما بطل . . .

" ألا يكون عالما من هو خالق لأن الخلق لا يصح إلا مع العلم"[3] .

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا النوع من الأدلة فقال :" لهذا كانت طريقة الأنبياء الاستدلال على الرب تعالى بذكر آياته و عن استعملوا في ذلك القياس استعملوا قياس الأولى ، ولم يستعملوا (قياس شمول) (و لا قياس تمثيل) محض فإن الرب لا مثل ، و لا يجتمع هو وغيره تحت كلي يستوي أفراده"[4] .

إننا نشاهد الحياة تدب في كثير من الكائنات حولنا نشاهدها في الإنسان و الحيوان و النبات.

نشاهدها في الإنسان الذي تكون من خلية واحدة جاء منها العظام و الغضاريف و اللحم والأنسجة و الدم ، جاء منها الجلد و الشعر.

يقول الأستاذ نوفل : "خلق منها (الخلية) السمع و البصر و الفؤاد و خلق منها الطويل والقصير والأبيض والأسود و هذه الخلية عبارة عن حياة معقدة أمكن للعلم أن يكتشف مكوناتها و تراكيبها و يقيس حركتها ويحلل مادتها و طريقة انقسامها ، أما سر الحياة فهو ما وقف العلم و العلماء عنده يعترفون بأن هنا الله"[5] .

---

[1] سيد قطب ، في ضلال القرآن ، ج 5 ص 3117 .

[2] الملك، الآية : 14 .

[3] الزمخشري ، الكشاف ، ج 4 ، ص 123 .

[4] تقي الدين أحمد ابن تيمية : الرد على المنطقيين طبعة دار المعرفة –بيروت: (د.ت) ص 150. و انظر د/ مصطفى حلمي : تواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي،ط 2، دار الدعوة الاسكندرية، 1992، ص 202-203 .

[5] عبد الرزاق نوفل : الله و العلم الحديث، ط دار الشروق القاهرة سنة 1990 ص 40 .

إننا نشاهد الحياة في الجنين في بطن أمه و هو يتغدى و يتنفس ، وتفرز أجهزته نشاهدها في غدد الأم و هي تفرز إفرازات متعددة منها ما يساعد على انقباض الرحم ، ومنها ما يسهل عملية انزلاق الجنين.

"نشاهد الحياة في وظائف الغدد الصماء تلك المعامل الكيماوية الصغيرة التي تمد الجسم بالتركيبات الكيماوية الضرورية و التي تبلغ من قوتها أن جزءا من بليون جزء منها تحدث آثار خطيرة في الإنسان و هي مرتبة بحيث يكمل إفراز كل غدة إفراز الأخرى"[1].

نشاهدها في حركتي الأمعاء: حركة الأمعاء حركة خلط مستمر هدفها مزج الطعام بمختلف العصارات والخمائر مزجا تاما ، وحركة ثانية لعرض الطعام المهضوم على أكبر مساحة في الأمعاء قصد تحقيق أكبر قدر من الامتصاص[2].

- نشاهدها في جلد الإنسان عندما يقاتل الميكروبات بإفرازات متسلح بها[3].

- نشاهدها في حواسنا كالسمع و البصر و الشم.

- نشاهدها في جهازنا العصبي و التناسلي و الدوري و العضلات و غيرها .

- و نشاهدها في عالم الحيوان و الحشرات بما فيها من عجائب و آيات و نشاهدها في عالم النبات كذلك.

إن هذه المشاهدات للحياة في مظاهرها المختلفة لتدل دلالة قاطعة على حياة واهبها حياة أبدية سرمدية وننزهه عن كل ما يخالف هذه الصفة كما قال تعالى:﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[4].

﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[5].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[6].

---

[1] عبد الرزاق نوفل ، الله و العلم الحديث ، ص 46 .

[2] المرجع نفسه و الصفحة .

[3] المرجع نفسه ، ص49 .

[4] البقرة ، الآية : 255 .

[5] غافر، الآية : 65 .

[6] الفرقان، الآية : 25 .

صفة الإرادة:

يعرف كل واحد منا في نفسه أن الله تعالى أعطاه إرادة حرة يختار بها ما يشاء فإن شاء صلى أو نام و إن شاء سافر أو أقام و إن شاء تعلم. . .

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِما شَاكِراً و إِما كَفُوراً﴾[1] .

أعطاه الله إرادة حرة يختار بها لنفسه أن يكون مؤمن أو كافرا﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

و كلنا يلاحظ هذه الإدارة الإنسانية في قيام الحضارات و ما فيها من عمران و علوم.

و نلاحظها في أحداث تاريخية عديدة كقيام الممالك و الدول و انهيارها و حدوث المعارك والانتصارات والهزائم .

نلاحظها في هذا التطور الرهيب في مجالات مختلفة كالطب و الاتصالات و العلوم الفيزيائية والفلكية و علوم البحار .

إن الإنسان استطاع (بهذه الإرادة) أن يتوصل إلى ما يمكن يتخيله .

فهل يكون الإنسان موصوفا بهذه الإرادة و خالقه محروما منها ؟ و من أين تأتي للإنسان إذن؟

إن الإرادة الإنسانية ما هي إلا وميض و شعاع باهت من إرادة الله المطلقة فهو سبحانه " الفعال لما يريد " ، وهو الذي أراد بمشيئته أن يعطي هذا الإنسان شيئا منها ليتعرف بها عليه سبحانه وتعالى.

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2] .

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3] .

﴿ و إِنْ يَرُدْكَ اللهُ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾[4] .

---

[1] الإنسان، الآيتان : 2-3 .

[2] يس، الآية : 82 .

[3] النحل، الآية : 40 .

[4] يونس، الآية : 107 .

صفة العلم :

صفة كريمة يأنف الإنسان أن يوصف بضدها ، ويبذل جهدا كبيرا لسنوات عديدة كي يتجمل بها ، وقد امتدح الله تعالى العلماء و اعتبرهم أكثر اهتداء وخشية فيه ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فالمعرفة الدقيقة و العلم الواسع في أي تخصص يقود صاحبه إلى الله.

ونحن نرى في دنيا الناس أن البشر قد وصلوا إلى قدر هائل من العلوم و المعارف في مجالات شتى فاكتشفوا مجاهيل كثيرة و ميدان واسعة ، ووقفوا على حقائق دقيقة في الطب, و الفيزياء, و الكيمياء, و التاريخ, و الجغرافيا و الآداب الخ. . . .

وصارت المجتمعات تتفاضل بهذا العلم و تتسابق فيما بينها كل يريد الريادة.

فهل يعقل أن يكون للخلق كل هذه العلوم المتشبعة و الدقيقة و لا يكون للخالق ذلك ، بل الأولى أن يكون الخالق واهب العلم متصفا به على وجه الإطلاق و الإحاطة و لا يحده الزمان والمكان بل إنه هو الذي:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾.

و وصف علومنا فقال:﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

وقال تعالى :﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[1].

- صفة القدرة :

لا يختلف اثنان أن لدى الإنسان قدرة كبيرة يصنع بها المعجزات و بتوفيق الله ، وذلك ما يؤيده الواقع فإنا نرى البشر قد غاص في أعماق البحار و المحيطات و يستطيع أن يبقى أياما تحت الماء ، ونرى البشر طار في الفضاء وزار أجراما سماوية ، واستطاع أن يبقى بعيدا عن الأرض أياما طويلة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - المكتبة الرقمية

ونرى البشر استطاع أن يشق الجبال و يجري الأنهار ، ونرى البشر أن يشيد مدنا ضخمة غاية في الجمال والنظام بها مباني شاهقة تطاول عنان السماء وأنفاق بديعة تحت طبقات الأرض و في أعماق البحار وجسورا طويلة يبلغ بها مراده.

وشاهدنا البشر كيف استطاع معرفة دقائق الأشياء كالذرة و نحوها و كيف استطاع معرفة الأفلاك وحركتها حتى صار يحسبها بدقة و يضع لها جداول زمنية لا تخرج عنها .

إنها لقدرة كبيرة تلك التي طار بها في السماء وغاص بها في أعماق الأرض و البحار .

فهل يعقل أن يسبغ الخالق مخلوقاته نعمة القدرة ، ويكون هو محروما منها ؟ لا شك أن هذا لا يستقيم في فكر إنسان سوي.

فكل ما في الكون من قدرات في الكون إنما هي صورة مصغرة جدا -- و لله المثل الأعلى- ومظهر من مظاهر القدرة الإلهية المطلقة التي لا تحدها الحدود .

و قال تعالى :﴿ و لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَىَ كُلِّ شيءٍ قَدِيرٍ﴾[1] .

﴿ وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ﴾[2]

﴿ وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضَ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِم إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٍ﴾[3] .

وقدرة الله لا تشبه قدرة خلقه في شيء إلا اشتراكهما في اللفظ فقط .

وكذلك سائر الصفات من سمع و بصر و كلام. . .إلخ فكلها صفات كمال اتصف بها المخلوق ، ويبذل قصارى جهده ألا يتصف بأضدادها لأنها عيوب و نقائص. فمن باب أولى أن يتنزه البارئ تعالى عن تلك العيوب و النقائص و يتصف بكل صفات الكمال على الأوجه الأكمل الذي يليق به سبحانه و تعالى. قال عز وجل:﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[4] .

---

[1] آل عمران ، الآية : 189 .

[2] النحل، الآية : 77 .

[3] الشورى، الآية : 27 .

[4] الروم، الآية : 30 .

الفصل الرابع

منهج القرآن في نقد الأديان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

منهج القرآن في نقد الأديان

* نقد القرآن للوثنية.

* نقد القرآن لليهودية.

* نقد القرآن للنصرانية.

تمهيد :

من رحمة الله تعالى و عنايته ببني آدم أنه لم يتركهم هملا أ يعرفون غاية و لا هدفا، فقد غرس في فطرهم الإيمان به و التوجه إليه و بعث لهم الأنبياء والمرسلين : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1] و كانت الفكرة الأساسية التي نادوا بها جميعا هي وحدانية الله تعالى قال عز وجل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾[2].

و هكذا لم يخل عصر إلا و رسله وأنبياؤه يبشرون و ينذرون و يدعون إلى عبادة الله الواحد .

ومع أن التوجه إلى الله فطرة مركوزة في النفس ومع وجود الأنبياء والمرسلين عبر التاريخ البشري ، إلا أن هذه الفطرة الإنسانية السوية النقية انحرفت عن الصواب وتنكرت لخالقها بالتوجه إلى غيره من مظاهر مختلفة في هذا الكون ، كالشمس والقمر والكواكب ، أو بعض الحيوانات والنباتات ، أو حتى أحجار يصنعونها بأيديهم .

وكان موقف البشر أمام الأنبياء الذين يبعثهم الله لهدايتهم مختلفا فنهم من يستجيب ويهتدي ،ومنهم من ينكر و يكذب ومنهم من يؤمن بالله و رسالته ولكن الأهواء والأغراض تبعث النفوس الدينية على التحريف والتبديل في الكلمة والإلهية مما يفقدها حقيقتها وصفاتها السماوية و خاصيتها الربانية فتمتلئ اختلافا واضطرابا وتناقضا .

لذلك بعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم خاتما للأنبياء والمرسلين مصححا ومقوما لكل التحريفات، و داعيا البشر جميعا إلى الدين الوحيد عند الله: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[3] و هو دين واحد من آدم لليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و هو إسلام الوجه لله رب العاملين.

---

[1] فاطر ، الآية :24 .

[2] الأنبياء ، الآية : 25 .

[3] آل عمران ، الآية : 19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

الواحد الأحد المتصف بكل صفات الكمال والجمال والجلال والمنزه عن كل عيب ونقص فهو تعالى : ﴿ لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1] .

وقد أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه و سلم آخر الكتب السماوية القرآن العظيم، و دعا فيه البشر جميعا إلى الله: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[2] .

دعاهم إلى الإيمان بالله الواحد وترك كل الآلهة المزعومة التي لا دليل على إلهيتها، كما دعاهم إلى ترك كل التحريفات التي أدخلت على كتب الله إلى أنزلها لعباده .

لذلك تضمن القرآن عددا كبيرا من الآيات في مناقشة هؤلاء جميعا و إقامة الحجة عليهم ببيان فساد ما هم عليه وبطلان المرتكزات التي تقوم عليها عقائدهم الباطلة ، مبرهنا على ذلك بكل ما من شأنه أن يقنع المتحرر من أهواه ،الراغب في الوصول إلى الحق بأدلة عقلية وحسية و كونية و نفسية و وجدانية .

و سنبين كيف فقد القرآن الكريم كل العقائد السابقة للإسلام ، سواء ما كانت منها وثنية لا صلة لها بأسماء ، أو كانوا أهل كتاب .

و سنرتبها على النحو التالي :

1 - نقد القرآن للعقائد الوثنية

2 - نقد القرآن لليهود :في تصورهم للألوهية

3 - نقد القرآن للنصارى في تصورهم للألوهية .

---

[1] الشورى ، الآية : 11 .

[2] الأعراف ، الآية : 158 .

1 - نقد القرآن للوثنية :

عبدة الأوثان هم الذين لم يهتدوا بدين سماوي فلم يعرفوا الله تعالى ، و توجهت نفوسهم إلى عبادة الطبيعة ، أو بعض مظاهرها كالكواكب أو بعض الحيوانات أو حتى بعض الأحجار التي يصنعونها بأيديهم، أو تماثيل من تمر أو حلوى أو غير ذلك .

و قد كان العالم بأسره قبيل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يعج بهذه المظاهر، و لم تكن الجزيرة العربية استثناء فقد انتشرت فيها عبادة الأوثان بأشكال مختلفة، وهو ما قام القرآن بمناقشته و نقده طوال فترة نزوله ، لم يستثنى في ذلك فرقة و لا فكرة و سنحاول أن نقف على مظاهرها واحدة بعد واحدة مبيّنين في الوقت ذاته كيف نقض القرآن الأسس التي بنيت عليها هذه الوثنيات منزلا بكل دليل ، مثبتا تفرد ذي الجلال و الإكرام وحده بالربوبية، و استحقاقه وحده للعبادة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

1 . 1 - عبادة الأصنام :

كانت عبادة الأصنام منتشرة انتشارا واسعا في جزيرة العرب فلا يكاد يخلو منها ناد أو بيت، وكانوا يتمسحون عليها و ينذرون لها الذبائح و يعتقدون أنها تقربهم إلى الله .

يقول الشيخ عبد الحليم محمود رحمه الله : " بيد أن عبادة الأصنام كانت متغلغلة في جزيرة العرب إلى درجة هي من القوة : بحيث اقتضت القرآن أن يتفنن في الرد عليها و اختلفت أساليب رده بين الجد الصارم والسخرية اللاذعة ، و التهكم المرير"[1] .

و لفرط كثرتها وشدة تغلغلها لم يسلم منها البيت الحرام فقد كان محاطا بعدد أيام السنة منها، يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي : " ودخل صلى الله عليه و سلم مكة متجها إلى البيت و حوله ثلاثمائة و ستون صنما، فجعل يطعنها الواحدة تلو الأخرى بعود في يده و هو يقول : " قل جاء الحق و زهق الباطل،

[1]- عبد الحليم محمود ، **التفكير الفلسفي في الإسلام** ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت 1982 ، ص 78 .

جاء الحق و يبدئ الباطل و ما يعيد "، وكان في جوف البيت أيضا آلهة ، فأبى أن يدخل و فيه الآلهة وأمر بها فأخرجت . . . " [1].

و قد ذكر القرآن هذه الآلهة المزعومة في مواطن كثيرة منها :

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾[2]

و قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾[3].

و قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[4]

يقول سيد قطب رحمه الله :" فلقد كانوا يعلنون أن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض ولكنهم لم يكونوا يسيرون مع منطق الفطرة في إفراد الخالق إذن بالعبادة، وفي إخلاص الدين لله بلا شريك ، إنما كانوا يبتدعون أسطورة بنوة الله للملائكة سبحانه، يصوغون للملائكة تماثيل يعبدونها فيها، ثم يزعمون أن عبادتهم لتماثيل الملائكة - وهي التي عدوها آلهة أمثال اللاتي و العزى ومناة- ليست عبادة لها في ذاتها، إنما هي زلفى وقربى لله كي تشفع لهم عنده وتقربهم إليه "[5].

وهناك من عبد هذه الآلهة طلبا للتأييد والنصرة والحماية من الأعداء قال تعالى :

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾[6].

﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[7].

وبيّن القرآن الكريم أن سندهم وحجتهم باتخاذ هذه الأصنام آلهة مندون الله إنما هو إتباع الآباء

---

[1] محمد سعيد رمضان البوطي، **فقه السيرة** ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، دت، ص : 293 - 294 .

[2] مريم ، الآية : 81 .

[3] الفرقان ، الآية : 3 .

[4] الزمر , الآية :3 .

[5] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج : 5.

[6] يس، الآية :73.

[7] النساء، الآية :139.

وتقليد الأجداد .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [1] .

يقول سيد رحمه الله : " فالآية تندد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله ،وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا إدراك " أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " .

أو لو كان الأمر كذلك ، يصرون على إتباع ما وجدوا عليه آباؤهم ؟ فأي جمود هذا و أي تقليد ؟ ! " [2] .

ولفرط قناعتهم الراسخة بآلهتهم وقداستها في نفوسهم لم يكونوا يرون الأمر يتوجب الرد والمناقشة بل، يبعث على التعجب ليس إلا . . . قال تعالى :﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ، وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ، مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[3] .

و بعد هذا العرض الموجز عن الآلهة المزعومة في القرآن نبين كيف قام الكتاب العزيز بمواجهة هذه العقيدة الباطلة و كيف كان رد أصحابها .

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محاكمة الآلهة المزعومة :

و في البداية لابد أن نشير أن أساليب المشركين في رد التوحيد لم تعتمد على الفكر و العقل بل لجأت إلى إثارة الاتهامات الظالمة ثم حشد الأجواء الانفعالية حول دعاة التوحيد التي قد تؤدي إلى ممارسة الاضطهاد

---

[1] البقرة ، الآية : 170 .

[2] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج : 1 ، ص 155 .

[3] ص ، الآيتان : 5-7 .

والتعذيب و غير ذلك مما يلجأ إليه من لا يملكون الحجة أمام خصومهم فيسخّرون القوة التي يملكونها لخنق مقاومتهم [1] .

ونلاحظ في مقابل ذلك أسلوب القرآن الهادئ الوديع الذي يفتح القلوب على كلمة التوحيد و يفرغ الأفكار تدرجيا من كل معاني الشرك و دوافعه في خطة مدروسة تضع لكل موقف خطته.

فقد يحتاج الموقف إلى الصدمات الفكرية التي تجعل الإنسان في موقف فكر و تأمل يراجع فيه موقفه و يحاكم عقيدته .

و قد تمس الحاجة إلى الطريقة التي تجعله يواجه موقف السخرية من عقيدته،عندما تنكشف له جوانب الضعف التي تحيط بها من كل جهة [2] .

الشرك يفقد دليل الإثبات :

طلب القرآن الكريم من المشركين إثبات صحة ما يدعون وتقديم الدليل على سلامة مسلكهم فشعاره الذي يرفعه دائما هو ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] و يطرح السؤال على شكل استفهام إنكاري ، يطرح النفي بأسلوب الاستفهام الذي ينكر على المنطبعين ثبوت ما يدعونه .

- قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [4] .

- ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [5] .

---

[1] محمد حسين فضل الله ، **الحوار في القرآن** ، ط 3. بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات ، 1985 ، ص : 70 .

[2] نفس المرجع ، ص7 .

[3] البقرة ،الآية : 110 .

[4] الأحقاف ،الآية : 03

[5] الأنعام ، الآية : 149 .

- ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَـذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[1] .

و قد قدم القرآن الدليل بل الأدلة ثم طلب منهم إثبات صحة دعواهم فقال جل شأنه : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ، أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ،أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2] .

إنه يسألهم : إن كان هؤلاء آلهة فلابد للإله من القيام بعملية الخلق ، و إلا فما معنى أن يكون إلها ، أين مخلوقاته في الأرض ؟ و أين مخلوقاته في السماء ؟ أين الدليل من كتاب تقرؤه ؟ . ومن علم تفكر فيه ؟ .

و لكن الواقع أثبت أنهم لم يقدموا دليلا إنما هو الظن الذي لا يغني من الحق شيئا[3] .

إنه يطلب البرهان على صدق دعواهم ولكنهم لا يعلمون الحق فهم معرضون .

القرآن يقدم البراهين :

1 - **البرهان في مثل :** ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[4] .

و قد علق الشيخ فضل الله على هذه الآية تعليقا تو رده مع طوله لجماله و قوته يقول : "إنا نواجه في هذه الآية الكريمة الإيحاء العميق بالعجز المطلق أمام أصغر المخلوقات و أحقرها . . . في أروع صورة تتجسد

---

[1] الأنبياء ،الآية : 24.

[2] النمل ،الآيات :62 – 66 .

[3] محمد حسين فضل الله ،الحوار في القرآن ص : 72 .

[4] الحج، الآية : 71.

فيها عناصر السخرية بفكرة ألوهية الآلهة بكل ما تعطيه صفة الألوهية من قوة ثم تضع إلى جانب هذه الصورة صورتين، إحداهما : صورة اجتماع الآلهة على خلق ذبابة واحدة، فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلا، بالرغم مما يبذلوه من قدرتهم في هذا السبيل، ثانيهما . . . صورة الذباب في كل ما يجسده هذا المخلوق الصغير، من معاني الصغر، و الضعف و الحقارة من حيث الحجم و القدرة الجسمية. . . و قد اندفع إلى هؤلاء الآلهة الكبار ليسلبهم شيئا، و هنا يطير الآلهة أو يركضون خلفه. . . و يلهثون لاسترجاع ما أخذه و لاستنقاذ ما سلبه. . . فلا يسترجعون منه، و لا يستنقذونه. . . إنه الأسلوب الذي. . . يجرد هؤلاء من صفات الألوهية من جهة، و يعرضهم للسخرية و الاستهزاء من جهة أخرى. . . مما يؤدي إلى التأثير على موقف هؤلاء الذي اعتقدوا بهم و عبدوهم من دون الله، عندما يجدون أنفسهم في حالة لا يحسدون عليها لا تقوم على أساس و لا توحي باحترام"[1] .

البرهان في قصة :

لما كان العرب يعتقدون أنهم من ذرية إبراهيم و أنهم على ملته و أن البيت الذي بناه هو عز قريشي و مصدر سيادتها أورد لهم قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام ليكون الدليل أدعى للقبول لصدوره من شخص يحبونه.

قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ، قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ، قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ، قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ، قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ

---

[1] المرجع نفسه، ص 76.

النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ، قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ، ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ، قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ، أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1] .

بدأ إبراهيم عليه السلام بالسؤال عن تلك التماثيل قصد البرهنة على أنها آلهة تستحق العبادة أو الاعتراف منهم ببطلان ألوهيتها .

فقالوا مستدلين : "وجدنا آباءنا عليها، و ليس هذا دليلا، خاصة عندما ما يقوم البرهان على أن هناك إلها هو الذي خلق السماوات و الأرض.

و أراد أن يضعهم أقام تجربة عملية حسية : ﴿ فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾ . لقد أفحمهم، ها هي ذي آلهتهم قد حطمت و لم تدفع الأذى عن نفسها فكيف تدفعه عن غيرها، هاهي بكماء لا تشتكي و لا تصرح بمن حطمها و يتساءل القوم "من فعل هذا بآلهتنا" و أدركوا من وراء هذا العمل فجاءوا به و قالوا : أنت فعلت هذا بآلهتنا" فأراد الخليل أن يصدمهم بواقع آلهتهم و عجزها و عدم صلاحيتها لتكون آلهة فقال لهم مستخفا : "بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون" .

فرجعوا إلى أنفسهم يتأملون كلامه المنطقي القوي الواضح فقالوا لبعض "إنكم أنتم الظالمون" ثم غلبت عليهم غفلتهم فقالوا : "لقد علمت ما هؤلاء ينطقون" و هو جواب أسوأ يدل على خطل في العقل فلو سكتوا لكان أفضل، إذ كيف تتخذونها آلهة مع علمكم بأنها لا تسمعكم إذا ناديتموها و لا ترد عليكم إذ طلبتموها ؟[2] .

---

[1] الأنبياء، الآيات : 51-67

[2] زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ط3. الرياض مطابع الفرزدق التجارية 1984، ص 186-187.

فكأن القرآن الكريم يقول لهم هاهو إبراهيم الذي تدعون النسبة الأبوية و الروحية إليه لا يرتضي عبادة الأصنام، بل يدعو الناس لعبادة إله واحد، فكيف يصح ادعاؤكم محبته و كيف يصح ادعاؤكم عبادة هذه الآلهة و قد رأيتم ما كان من مثيلاتها في قصة إبراهيم؟

3. دليل الصلاح الكوني :

قال الله تعالى : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ، لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

إن التعدد في الآلهة يعني أن يكون لكل واحد القدرة المطلقة لأن ذلك من أخص صفات الإله و هذا ما يوجب صحة الفرضية القرآنية فكل منهما يريد غير ما يريده الآخر فيقع التنازع الذي يؤدي إلى فساد الكون و لكن الواقع المشاهد يثبت عكس ذلك فنحن نرى صلاحا كونيا حيثما توجهنا و لا نرى فسادا في نظام الكون أو مسيرته فيجب إذن أن نرفض فكرة التعدد .

أما الآية الثانية فتطرح القضية في اتجاه آخر و هي أن وجود الآلهة الآخرين يقتضي امتلاكهم قدرة على مغالبة ذي العرش و الوصول إليه لان الاشتراك في الإلهية يوجب الاشتراك في صفات الذات و في مقدمتها القدرة المطلقة مما يجعل لهم القدرة على الوصول إليه و منازعته سلطانه و هذا غير وارد لأننا لا نرى آثار تنازع بل هو الصلاح الكوني الشامل.

أما الآية الثالثة فتضيف إلى الآيتين السابقتين فكرة التقسيم في الكون الذي يقتضي اختصاص كل منهما بما خلقه، و عدم مشاركة الآخر له في ذلك، مع أن هذا غير واردمن حيث الواقع، الذي نجد فيه الخلق بأجمعهم يسيرون في نظام واحد، لا اختلاف فيه و لا خلل[2].

---

[1] الأنبياء، الآيتان : 21-22

[2] أنظر محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص 73.

الاستدلال بالإنذار :

و يقصد به إثارة الخوف في النفس من جراء الإشراك بالله بعرض مشاهد من القيامة تعرض منازل المشركين و هم يصطلون بالنار و يذوقون ألوانا من العذاب قال تعالى :﴿ قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي، فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ، لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[1] .

يقول سيد قطب رحمه الله : " هو مشهد رهيب حقا، مشهد النار في هيئة ظلل من فوقهم و ظلل من تحتهم، و هم في طيات هذه الظلل المعتمة تلفهم و تحتوي عليهم و هي من النار إنه مشهد رهيب يعرضه الله لعباده و هم بعد في الأرض يملكون أن يناوأوا بأنفسهم عن طريقه، و يخوفهم مغبته لعلهم يجتنبونه"[2] .

و في موقف آخر يقول الحق تبارك و تعالى : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ، وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ، قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3] .

---

[1] الزمر، الآيات : 14-16

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص 3045.

[3] الزمر، الآيات : 64-72.

تحذر الآيات من الإشراك بالله تعالى ببيان مآل المشركين و هم يساقون إلى النار جماعات و يستقبلهم خزنة النار بالسؤال عن شؤم صنيعهم و ما يستحقون هذا المقام. ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾[1] بلى جاءهم ولكنهم كذبوا و استهزءوا فاستحقوا العذاب في نار جهنم خالدين فيه أبدا.

2.1.2. نقد الثنوية :

و الثنوية هم الذين يقولون بوجود إلهين اثنين هما إله النور و إله الظلمة أو الخير و الشر[2].

يقول الدكتور علي سامي النشار لا مبينا مذهب الثنوية : "إن مبدأ العالم كونان أحدهما نور و الآخر ظلمة، كل منهما منفصل عن الآخر فالنور هم العظيم الأول ليس بالعدد و هو الإله الحق. . .و الثاني هو الظلمة"[3].

يقول الله تعالى :﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾[4].يعلق سيد قطب رحمه الله على الآية : "لقد أمر الله ألا يتخذ الناس إلهين اثنين إنما هو إله واحد لا ثاني له، و يأخذ التعبير أسلوب التقرير و التكرير فيتبع كلمة إلهين بكلمة اثنين و يتبع النهي بالقصر، إنما هو إله واحد. و يعقب على النهي و القصر بقصر آخر "فإياي فارهبون" دون سواي فلا شبيه أو نظير. و يذكر الرهبة زيادة في التحذير. ذلك أنها القضية الأساسية في العقيدة كلها لا تقوم إلا بها"[5].

و تعتبر هذه العقيدة كعقيدة عبدة الأصنام أو أي دليل آخر ينفي التعدد الموجب للفساد.

---

[1] الزمر، الآية 71.
[2] علي عبد الفتاح المغربي، الفكر الديني الشرقي في القديم، ط 1.القاهرة : مكتبة وهبة، 1996، ص : 51.
[3] علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط 3.القاهرة : دار المعارف، د ت، ص 194.
[4] النحل الآية، الآية : 51.
[5] سيد قطب، في ضلال القرآن ص : 2176.

1.3 نقد الدهريين :

و هم طائفة أنكروا الإله و البعث و هم أشبه في عصرنا بالماديين أو الطبيعيين على حسب جمال الدين الأفغاني في رسالته "الرد على الدهريين" و قد سماهم الناتريين.

و قد عرفهم اليعقوبي[1] بقوله : "و قالت طائفة تسمى الدهرية : لا دين و لا رب و لا رسول و لا كتاب و لا معاد و لا جزاء بخير و لا شر و لا ابتداء لشيء و لا انقضاء له، و لا حدوث و لا عطب، و إنما حدوث ما سمي حادثا تركيبة بعد الافتراق و عطبه تفريقه بعد الاجتماع، و جميع الوجهين في الحقيقة حضور غائب و مغيب حاضر"[2].

و قد ذكر الله تعالى مقالتهم في كتابه فقال عز و جل : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ،وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

و الظاهر من مقالتهم أنهم ينكرون البعث بعد الموت فما هي إلا هذه الحياة الدنيا و الظاهر أيضا ،هم ينكرون وجود الله لأنهم نسبوا الإهلاك للدهر و هو الزمان أو الطبيعة أو أي شيء آخر إلا أن يكون الإله الحق.

و قد بين القرآن الكريم السبب في إدعاء هذه المقولة بقوله" و ما لهم بذلك من علم و إنما هو الجهل و اتباع الضنون و هما من أخطر ما يصد الإنسان عن الحق.

و قد حاولوا الإتيان بحجة، نقلها القرآن الكريم فقال : ﴿ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ و هو تعجيز في نظرهم، و سنعرض أدلة القرآن في إثبات قدرة الله على البعث، و أدلته التي تثبت و جوده و تصرفه وحده تبارك وتعالى في العالم.

---

[1] هو المؤرخ أحمد بن أبي يعقوب ابن جعفر بن واضح المتوفى سنة 284 ه .
[2] نقلا عن : حسني يوسف الأطير، **المذهب الدهري عند العرب**، ط 1. القاهرة : دار البيان، 1984 ص 26.
[3] الجاثية، الآيتان : 23-24.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

أ .إثبات قدرة الله تعالى على البعث :

1-الدليل العقلي :

قال الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[1] .

و كذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا، أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا ﴾[2] .

لقد استبعدت عقول هؤلاء المنكرين لقدرة الله تحول الجماد إلى الحياة فكيف يمكن أن يتحول التراب بعد موت الإنسان حياة إنسانيةكيف يمكن لتلك الحبيبات الميتة أن تتحول من جديد إلى إنسان حي نابض بالحياة يأخذ صورته التي كانت له من جديد ، فبيّن لهم القرآن أن القدرة التي أخرجت النطفة الحية من التراب و كيف تحولت شيئا فشيئا إلى وجود إنساني قادرة على إعادة الأجساد الميتة إلى الحياة .

إن القدرة التي ولدت النطفة من التراب ثم ولدت الإنسان من النطفة هي التي تعطي التراب سر الحياة ليتحول إلى إنسان من جديد[3] .

2-الدليل الحسي :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾[4] .

---

[1] يس، الآيات : 77-81.
[2] مريم، الآيتان :66-67.س
[3] انظر : محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص : 90.
[4] فاطر ،الآية : 9.

و قوله جل جلاله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قدم القرآن دليلا حسيا تراه العيون وتصدقه العقول، إنهم يرون التراب اليابس الجامد كيف تخرج منه الحياة زرعا و ثمارا تأكله أنفسهم و أنعامهم إن الذي أخرج الثمار الحلوة و الحامضة و الزروع الحية من التراب الميت قادر على إخراج إنسان بعد الموت.

3. دليل البدء و الإعادة :[1]

إن الهواء الذي نتنفسه (الأكسجين) سرعان ما نطرحه ثاني أكسيد الكربون فتأخذه الأشجار فيعود إلينا كما بدأ نسمة جديدة من الأوكسجين و عن ماء النهر يجري إلى البحر ثم يتبخر فيكون سحابا ثم مطرا فيعود أنهارا كما بدأت .

و إن الصباح يأتي ثم يعقبه الليل ثم يعود الصباح كما بدأ ، و القمر يبدأ هلالا ثم يكتمل بدرا ثم يعود هلالا كما بدأ فسنة الله في الكون بدء و إعادة .

و الإنسان ليس استثناء من هذه القاعدة :

قال تعالى : ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2] .

و قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3] .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

[1] عبد المجيد الزنداني، علم الإيمان، ص : 318.
[2] الروم ، الآية : 11 .
[3] الروم ، الآية : 27.

الاستدلال بالنظر في الكون :

إن المشاهد في المخلوقات المختلفة لهذا العالم ليشعر بعظمة الله و قدرته التي لا تقف عند حد، فهو وحده القادر على بناء السماوات العلا على هذا النحو و إنشاء الأرض بهذه الضخامة و ما فيها من خيرات في البر و البحر، و خلق الشمس و القمر . . .

فمادامت قدرة الله المتمثلة في كل هذا الوجود فما الذي يمنعها في أن تتجسد في إعادة الإنسان بل و الكون كله من جديد .

قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] .

و قال عز و جل :﴿ أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ. إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2] .

ب-إثبات وجود الخالق :

ذكرنا سابقا أن الدهريين أنكروا وجود الخالق و نسبوا الإهلاك للدهر، و ذكرنا أيضا أنه لا دليل لهم على دعواهم هذه إلا الظنون و التخرصات، و هذا وحده يكفي للرد عليهم، إذ عجزهم على إثبات مقولاتهم هو طريق إلى بطلانها و تفاهتها .

و مع ذلك سنورد أدلة برهن بها القرآن على صدق دعواه.

1-الدليل العِلّيّ :

و نستمده من قوله تعالى :﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾[3] .

---

[1] الأحقاف، الآية : 32.
[2] يس، الآيتان : 80-81.
[3] الطور، الآيتان : 33-34.

إن الآية الكريمة تطرح تساؤلات : كيف تم هذا الخلق الذي تدركه الحواس و لا ينكره منكر؟ أكان بغير خالق؟ هكذا من العدم؟ ثم كيف انتظم؟ ثم كيف حافظ على نظامه كل تلك الملايين من السنين؟ هل يتم ذلك كله بغير خالق؟ هل يتقبل العقل هذا القول؟ إذا وجدنا قصيدة شعرية مكتوبة على ورقة أيقنا جميعا جازمين أن لها ناظما و كاتبا .

و إذا وجدنا بيتا منظما مرتبا جميلا، وضع فيه كل شيء في مكانه، أدركنا حتما أن له بان هو الذي أقامه و رتبه و نظمه و جمله.

فهل يكون للقصيدة ناظما و للبيت بان و لا يكون للكون صانعا ؟ فهذا الفرض باطل.

أما الفرض الثاني : فهو أن يكون الخالق هو نفس المخلوق و هذا باطل لأنه يستحيل أن يتقدم المعلول على العلة.

فلم يبق إلا أن يكون خالق هو الذي خلق الخلق بقدرته و هو الذي يدبر الأمر وحده بلا شريك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

2-الاستدلال بالترجيح :

و نستمده من قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[1].

إن القرآن يدعونا إلى أن نتأمل في منظر الظل من حيث وجوده الممكن فإنه يتساوى وجوده و عدمه فمن الذي رجح وجوده عن عدمه، لاشك إنه الله: "و لو شاء لجعله ساكنا " إن في الآية إبرازا لترجيح صورة على صورة، صورة مد الظل بدوران الشمس، و صورة توقفه بتوقيفها، و انظر مزيدا من الأدلة في الفصل الثالث.

[1] الفرقان، الآيتان : 45-46.

1.4. نقد عبدة الجن و الملائكة :

وردت آيات في القرآن الكريم تشير إلى صنف من الناس يعبدون الجن و صنف آخر يعبدون الملائكة، و قد خطّأ الوحي الصنفين معا قال تعالى: ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1].

يقول سيد قطب رحمه الله معلقا على الآية : "و لقد عرفت الوثنيات المتعددة في الجاهليات المتنوعة أن هناك كائنات شريرة- تشبه فكرة الشياطين- و خافوا هذه الكائنات و قدموا لها القرابين اتقاءً لشرها، ثم عبدوها .

و الوثنية العربية واحدة من هذه الوثنيات التي وجدت فيها التصورات الفاسدة في صورة عبادة للجن و اتخاذهم شركاء لله. . . سبحانه.

و السياق القرآني يواجههم بكلمة واحدة : "وَ خَلَقَهُمْ" و هي لفظة واحدة، و لنكها تكفي للسخرية من هذا التصور . فإن كان الله سبحانه هو الذي خلقهم فكيف يكونون شركاء له في الألوهية و الربوبية"[2].

أما الصنف الثاني و هو عبدة الملائكة فقد قال الله في حقهم :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ، فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[3].

لقد نزه الله تعالى نفسه عن الشريك سواء أكان من الجن أم من الملائكة أم من غيرهم و بين أنهم مخلوقون له مؤتمرون بأمره و يوم القيامة يعلنون البراءة من كل واحد اتخذهم آلهة من دون الله.

---

[1] الأنعام، الآية :101.
[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص 1162
[3] سبأ، الآيات : 40-42

وللتدليل على فساد هذا المسلك يمكن الرجوع إلى أدلة إبطال عبادة الأصنام فكلاهما إشراك بالله، أولئك عبدوا أحجارا وهؤلاء عبدوا الجن و الملائكة حسب زعمهم.

و يمكن التنبيه في الأخير على ما جاء في آيات سورة سبأ و هو مشهد من مشاهد القيامة نرى فيه الملائكة حاضرين حيث يوجه إليهم الخطاب على مرأى و مسمع من الخلق أجمعين ﴿ أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ و إن الله ليعلم و لكنها فضيحة عامة و تشهير علني على رؤوس الجموع، و يكون رد الملائكة بالتبرؤ من هذا الإثم و التنزيه عن الشرك ﴿قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾. و تتم الفضيحة و يتحقق التشهير، و عندئذ يصدر الحكم :﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[1] "[2]

إن هذه المحاكمة لتملأ النفس رعبا وتجعل كل من يفكر في اتخاذ إله من دون الله يتروى مليا و يفكر طويلا لأن هذا الإنذار الإلهي الشديد يجب أن يتأمله المرء و يتوقع حدوثه و لو بنسبة يسيرة، لأن النفس مجبولة على الخوف من المخاطر و المهالك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة المركزية

5.1. نقد عبدة النجوم و الكواكب :

عبادة الأجرام السماوية من العبادات القديمة جدا فقد حكى القرآن الكريم ما كان من إبراهيم و قومه في شأنها قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[3] .

قال الزمخشري : "و كان أبوه و قومه يعبدون الأصنام و الشمس و القمر و الكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم و أن يرشدهم إلى طريق النظر و الاستدلال و يعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئا

---

[1] سبأ، الآية : 42.
[2] سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ص 138.
[3] الأنعام/ الآيات : 77-79.

منها لا يصح أن يكون إلها لقيام دليل الحدوث فيها و أن وراءها محدثا أحدثها و صانعا صنعها و مدبرا دبر طلوعها و أفولها و انتقالها و مسيرها و سائر أحوالها"[1].

و لقد جاراهم إبراهيم عليه السلام في قولهم فحكى مذهبهم و قال لما رأى القمر بازغا، هذا ربي من غير تعصب لمعتقده لأن ذلك أدعى لقبول الحق، ثم أبطل قولهم بالحجة، لا أحب عبادةالأرباب المتغيرين على حال إلى حال المنتقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الحوادث ثم قال "لئن لم يهدني ربي"تنبيها لقومه على أن من أتخذ القمر إلها و هو نظير الكوكب في الأقوال فهو ضال، و أن الهداية إلى الحق بتوفيق الله و لطفه فلما رأى الشمس و تحولها قال :" إني بريء مما تشركون" من الأجرام[2].

التي يجعلونها شركاء لخالقها فهي مخلوقة مربوبة لله قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ[3]﴾.

و هكذا استدل القرآن الكريم على لسان إبراهيم، على وحدانية الله تعالى و بطلان عبادة الأجرام، فهي مخلوقة متنقلة متغيرة محتاجة في حركتها و تنقلها و تغيرها إلى الخالق المدبر فتوجه إلى الله وحده فاطر السماوات و الأرض و دعاهم إليه.

و الخاتمة لهذا المبحث نقول :

لقد استعمل القرآن نقد الوثنية طريقا لإثبات الوحدانية لله تعالى،استعمل القرآن الكريم كل أساليب الاستدلال عقلية كانت أم حسية أم وجدانية للوصول إلى أفضل نتيجة.

بين القرآن -بوضوح- تهافت الأسس التي تقوم عليها الوثنية من تقليد للآباء و أتباع للظن و الأهواء، و عجزها عن تقديم أي دليل تثبت به دعواها.

2. نقد القرآن الكريم لليهودية :

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج2، ص : 24.
[2] المرجع نفسه، ص : 24
[3] فصلت، الآية: 37

تعرف الديانة اليهودية بأنها لم تحافظ على أصلها السماوي في نقائها و صفائها و تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، بل استصحبت العقائد القديمة الموروثة رغم ما خصهم الله به من سلسلة طويلة من الأنبياء.

يقول الأستاذ كمال جعفر : "بالرغم من ثبوت وجود أنبياء سابقين على النبي الرسول موسى عليه السلام فإن العبريين لم يستقروا قط على عبادة إله واحد أو حتى آلهة معينين، و قد ورث اليهود فعلا هذه العادة قبل و بعد النبي موسى عليه السلام، إذ لم يثبت لديهم بصورة قاطعة و حاسمة الفكرة الخالصة التي أتت بها الديانات السماوية و هي عبادة الإله الواحد" [1].

و يرى الباحثون أن تصور الألوهية في التراث اليهودي يتأرجح بين مستويات ممتدة من القول بإله قبلي أو صنم أو وثن يحمي شعبه إلى القول بإله واحد خالق للكون، و لا عجب في ذلك فإن النبي موسى عليه السلام استطاع أن يرسي قواعد التوحيد و كذلك إخوانه الأنبياء ولكن اليهود سرعان ما يعودون إلى موروثاتهم و يفسدون التصور الناصع للألوهية.

يقول الأستاذ كمال جعفر : "نرى أن الدين الذي دعا إليه موسى هو التوحيد و لكننا إذا نظرنا إلى دين يهوه هذا كما حمله العبريين إلى كنعان نجده فعلا دينا بدائيا يتخذ الإله هيئة الإنسان بل و كانوا يتصورون أن ليهوه شكلا جسميا و تدفعه العواطف من غيرة و غضب و كان في زعمهم إلها محاربا يقاتل دون شعبه"[2] حيثما نقرأ نصوص التوراة في وصف الله تعالى لا نستطيع إلا أن نقول إنها تنفي عنه صفات الإله الحق.

التوراة تصف الله بالجهل :

[1] محمد كمال جعفر، الاسلام بين الأديان، طبعة مكتبة دار العلوم : القاهرة، د ت ، ص :184.

[2] نفس المرجع و الصفحة.

تروي التوراة ما دار بين آدم و الرب بعد واقعة الأكل من الشجرة فتقول : "و سمعا -أي آدم و حواء- صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم و امرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرة الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال : أين أنت يا آدم؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان. . . ؟ فاختبأت؟ فقال : من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها"[1].

يبين هذا النص جهل الرب الإله من وجوه :

1-الرب الإله لا يعلم مكان آدم لذلك ناداه؟ .

2-الرب الإله لا يعلم لأنه سأل : هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟ .

3-آدم يعلم أن الله يجهل لذلك اختبأ في وسط شجر الجنة.

إله يتعب :

تقول التوراة : "و فرغ الله في اليوم السابع من كل عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل و بارك الله اليوم السابع و قدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله وخالقط"[2] واضح الدلالة لا يحتاج إلى تعليق.

إله يخاف :

---

[1] سفر التكوين : الإصحاح الثالث الفقرات (8-11).

[2] سفر التكوين : الإصحاح الثاني الفقرة(1-2).

تقول التوراة : " . . .و قال الرب : هو ذا شعب واحد و لسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل و الآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه هلم ننزل و نبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض؟ فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض فكفوا عن بنيان المدينة"[1].

تزعم التوراة على أن الناس اتفقوا على أن يبنوا مدينة و يختاروا لها اسما حتى لا يتبددوا على وجه الأرض فلما رأى الرب الإله ذلك ظن أن الناس يتآمرون عليه فخشي عواقب اتحاد الناس و خاف بأنهم سيفعلون كل ما يريدون و رأى أن في ذلك خطرا على مقام الربوبية، فنزل المدينة وبلبل ألسنتهم فأصبح كل واحد فيها لا يفهم لغة أخيه، و هكذا تكونت اللغات[2].

إله ينسى :

تقول التوراة : "و كلم الله نوحا و بنيه معا : قائلا : و ها أنا مقيم ميثاقي معكم و مع نسلكم . . . أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد بمياه الطوفان و لا يكون طوفان ليخرب الأرض.

و قال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني و بينكم و بين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم إلى أجيال الدهر.

وضعت قوسي في السحاب -قوس قزح- فتكون علامة ميثاق بيني و بين الأرض فيكون متى أنشر سحابا على الأرض و تظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني و بينكم. . .فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله و بين كل نفس حية في كل جسد على الأرض"[3].

إله ينام و يستيقظ:

تقول التوراة : "اسكتوا يا كل البشر قدام الرب، لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه"[1].

---

[1] سفر التكوين : الإصحاح الثاني الفقرات (1-2).

[2] انظر تفصيلا للموضوع عبد العظيم المطعني, **الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي** . ط2 , المنصورة. 1992. ص 176 و ما بعدها.

[3] سفر التكوين : الإصحاح التاسع, الفقرات (8-17).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة المركزية

إله يندم و يتأسف :

تقول التوراة : "و رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض و أن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض و تأسف في قلبه "[2].

تعالى الله عما يقولون علوا عظيما.هذا وجه من الصورة أما الوجه الآخر فهو أوثان تعبد من دون الله و سنحاول بعد هذا العرض الموجز أن نبرز جانبا من رد القرآن الكريم على معتقداتهم و دعوتهم لعبادة الله الواحد الموصوف بكل صفات الكمال المنزه عن كل نقص و عيب.

1-إدعاء البُنوة لله :

حكى القرآن الكريم عن اليهود قولهم أن عزيرا ابن الله فقال : ﴿ و قالت اليهود عزير ابن الله﴾[3].

و يذكر المفسرون أن إسناد هذا القول إليهم يراد به بعضهم لا كلهم، و هم طائفة من يهود المدينة "فقد روى عن ابن عباس قال : أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم سلام بن مشكم و نعمان بن أوفى و أبو أنس وشاس بن قيس، و مالك بن الصيف فقالوا : كيف نتبعك و قد تركت قبلتنا و أنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله"[4].

و قد كان لعزيز هذا مكانة عند اليهود ربما هي التي جعلتهم يقولون بأنه ابن الله و ينقل سيد قطب ما كتبه الشيخ المرحوم رشيد رضا عن دائرة المعارف اليهودية فيقول : " إن عصر عزرا هو ربيع التاريخ الملي لليهودية الذي تفتحت فيه أزهاره و أنه جدير بأن يكون ناشر الشريعة لو لم يكن موسى فقد نسيت و

---

[1] سفر زكريا : الإصحاح السادس, الفقرات (5-8).

[2] سفر التكوين، الإصحاح السادس, الفقرات (5-8).

[3] التوبة، الآية : 31.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن ، ج : 3، ص : 1637.

لكن عزرا أعادها و أحياها و لولا خطايا بني إسرائيل لاستطاعوا رؤية المعجزات كما رأوها في عهد موسى"[1].

و ينقل في موضع آخر عن نفس الكتاب فيقول : "و جملة القول أن اليهود كانوا يقدسون عزيزا هذا حتى إن بعضهم أطلق عليه "ابن الله""[2].

إن منشأ الشبهة عندهم في عزير هو اختصاصه بحفظ التوراة في وقت من الأوقات دون سائر اليهود و لهذا زعموا أنها ما حصلت له هذه المكرمة إلا لأنه ابن الله -تعالى الله عن ذلك-.

و السؤال الذي نطرحه : هل يلزم في كل شخص حباه الله بنعمة عظيمة أن يكون ذلك الشخص ابنا لله؟ و إذا كان كذلك فهذا موسى و شقيقه هارون عليهما السلام قد جاءا بالتوراة و أيدهما الله بالمعجزات الخارقات و كان لهما من الفضل و الشرف ما ليس لعزيز فلماذا لم يقولوا إنهما ابنان لله ؟ يقول الله تعالى ردا على كل من ادعى له ابنا : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3].

في هذه السورة يوصف الله بأنه أحد في مقابل فكرة التعدد على أي وضع كانت عند الوثنيين أو اليهود أو النصارى .

"لم يلد و لم يولد" يقول الشيخ عبد الحليم محمود : "ينزه الله عن أن يلد أحدا و يشير إلى فساد رأي القائلين بأن له ابنا أو بنات. . . و بين لهم أن الأبنية تستلزم الولادة، و التعبير بالانبثاق و نحوه لا يغير المعنى، و الولادة إنما تكون من الحي الذي له مزاج و ماله مزاج فهو مركبو نهايته إلى انحلال و فناء، و هو جل شأنه منزه عن ذلك.

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، 33، ص 1636

[2] المرجع نفسه، ص 1637

[3] سورة الإخلاص.

و قوله لم يولد يصرح ببطلان ما يزعمه بعض أرباب الأديان من أن ابنا لله يكون إلها و يعبد عبادة الإله، و يقصد فيما يقصد الإله، بل لا يستحي الغالون منهم أن يعبروا عن والدته بـ "أم الله القادرة" فإن المولود حادث و لا يكون إلا بمزاج و هو لا يسلم من عاقبة الفناء"[1].

و قد رد القرآن هذه الفرية في عدد كبير من الآيات :

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]. فالله تعالى هو من أبدع السماوات و الأرض و ما فيهما و الكل له قانت خاشع عبد ذليل يؤمر فيطيع، و إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيستجيب له في الحال و ما إدعاء الولد لله إلا كذبة لا دليل عليها و قولة على الله بغير علم و لو أراد الله أن يتخذ ولدا "لاختار ما يشاء من بين خلقه فإرادته مطلقة غير مقيدة و لكنه سبحانه نزه نفسه عن اتخاذ الولد فليس لأحد أن ينسب إليه ولدا و هذه إرادته و هذه مشيئة سبحانه هو الله الواحد القهار وما اتخاذ الولد و هو مبدع كل شيء و خالق كل شيء

---

[1] عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي، ص 89.

[2] البقرة، الآيتان : 115-116

[3] يونس، الآيتان 67-68

[4] الزمر، الآية : 5.

و مدبر كل شيء و كل أحد ملكه يفعل به ما يشاء"[1] .قال تعالى :﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

إن اتخاذ الله للولد و الشريك من شأنه أن يحدث التنازع و التصارع بين الإرادات ما يؤدي إلى فساد العالم و عدم انتظامه و هو ما انتفى وجوده فانتفى معه وجود الولد و الشريك له سبحانه و تعالى.

2-اتخاذ العجل :

حدثنا القرآن عن انحراف خطير آخر وقع فيه اليهود عندما عبدوا العجل أثناء غياب نبي الله موسى.قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[3] .

و ذكرت القصة أيضا في موضع آخر أكثر تفصيلا قال تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى، قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى. . . فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . . . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى. . . إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ .[4]

إن الاستعباد و الذل الطويلين في ظل الوثنية الفرعونية أفسد طبيعة القوم و غرس فيهم انقيادا للتقليد فاستجابوا لأول فتنة و قالوا عندما رأوا العجل هذا إلهكم و إله موسى و نسوا ربهم الله الذي أنقذهم من فرعون و ذله و فلق لهم البحر و مَنَّ عليهم بالرزق الميسر و الرعاية الرحيمة في الصحراء .

و لقد لفت القرآن الكريم عقولهم إلى هذا العجل بقوله :"ألم يروا أنه لا يكلمهم و لا يهديهم سبيلا" . أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا و لا يملك لهم ضرا و لا نفعا" .

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص 3037

[2] المؤمنون، الآية : 92.

[3] الأعراف، الآية 148

[4] طه، الآيات : 81-96.

إنه لا يصلح ليكون إلها فهو لا يتكلم و لا يرشد إلى ما فيه الهداية و الصواب إنه ليس حيا يسمع كلامكم و يستجيب لكم إنه أقل درجة من درجة الحيوانية إنه لا يملك نفعا لا يحرث أرضا و لا يدير طاحونة و لا يملك ضرا و لا يقدر على أن ينطح أو يرقص. فكيف تتخذونه إلها : "إنما إلهكم الله لا إله إلا هو وسع كل شيء علما".

و لما أدركوا خطأهم و قبح صنيعهم قالوا : ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[1] .

3. اتخاذ الأصنام :

قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2] .

ما معنى هذا الطلب ؟

هل يطلب مثل هذا بعد الصراع العنيف الذي خاضه موسى ضد فرعون و المواقف الهائلة التي واجهها، و خوضه البحر بهم، فلأي طلب هذا الطلب، أين إله موسى الذي استنقذكم من ذل فرعون و استعباده ؟ أين إله موسى الذي شق لكم البحر ؟ أين إله موسى الذي أجرى المعجزات الباهرات أمام أعينكم ألم يكفكم أن آمن السحرة كلهم بربكم و رب موسى وحده ؟ أين التوحيد ؟ ليس هناك إلا تفسير واحد لهذا الطلب إلا الطفولة الفكرية فهم لهم يشاهدوا أصناما حجرية في بلادهم من قبل حتى إذا شاهدوها كانت الصورة مشوقة لهم في أن يكون إله يلمسونه و يرونه كما يلعب الأطفال بالدمى[3].

---

[1] الأعراف، الآية : 149

[2] الأعراف، الآيتان : 139-140

[3] أنظر " محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، ص 278.

3. اتهام الله بالبخل :

لقد عرفنا سابقا من النصوص التوراتية أن اليهود ذوو جرأة على الله تعالى و قد وصفوه بما لا يليق بكماله عز و جل، من ذلك ما سجله القرآن من قولهم ببخل الله تعالى. قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾[1] .

لقد تضمنت الآية الرد عليهم : "بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء" فهو سبحانه المنفق على قوافل الأحياء جميعا ما ظهر منها و ما خفي ما كان منها في البر و البحر، ما كان في الغيب أو في الشهادة.

هو المتفضل بالإيجاد و الخلق و الرزق و تدبير الأمور كلها و كيف يوصف الله تعالى بالبخل؟ و ما مصدر هذه الأرزاق و النعم إذن ؟.

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾[2] .

إن الله أكرم من كل كريم و اسمع القرآن يمجد الله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[3] . و قد ذكرهم القرآن بنعم الله عليهم على لسان نبيهم فقال تعالى ممتنا عليهم :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ ﴾[4] .

---

[1] المائدة، الآية 66.

[2] يونس، الآية : 31.

[3] إبراهيم، الآيات : 34-36

[4] المائدة، الآية 20.

4. اتهام الله بالفقر :

و من جرأة اليهود على الذات المقدسة و تطاولهم على مقامها الرفيع أنهم اتهموا الله تعالى بالفقر و قد نقل القرآن مقولتهم و توعدهم عليها .

قال تعالى : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[1] .

قال الزمخشري : قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا" فلا يخلوا إما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك، أو استهزاء بالقرآن و أيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم"[2] .

إنه سوء التصور و سوء الأدب مع الله تعالى، كيف يقال : إن الله فقير ؟ و من ذا الذي أعطاهم حتى يقولوا : نحن أغنياء ؟ بل و من يعطي للعالمين ؟ إن تخلخل الإيمان و الجرأة على الله تعالى و الاستهزاء بمقامه و سوء الأدب معه و عدم الإحساس بهيمنته و الثقة بالرجوع إليه جعلتهم يقولون مثل الكلام الذي تنشق له الأرض و تخر الجبال له هدا .

و اسمع إلى القرآن الكريم و هو يثني على الله بما هو أهله : قال الله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[3] .

و جاءهم الرد على لسان نبيهم موسى عليه السلام قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[4] .

---

[1] آل عمران، الآية : 182.

[2] الزمخشري، الكشاف ج1، ص 234.

[3] فاطر، الآية : 15.

[4] إبراهيم، الآية 10.

و استعمل القرآن معهم أسلوب التحذير و التخويف بإنذارهم عاقبة أقوالهم و سوء أدبهم معه تعالى : "و نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ".

5. **إدعاء الحظوة عند الله :**

يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله المختار فهم جنس متميز على غيرهم لذلك ادعوا إن الله يحبهم و يميزهم على غيرهم و أن الجنة حكر عليهم و قد نقل القرآن مقولاتهم جميعا . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾[1]

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] .

لقد بين القرآن الكريم أن هذه المقولات كاذبة لا برهان عليها و أنها قول على الله بغير علم و قد بكّتهم بالحجة العملية و هي تمني الموت إن كانوا صادقين في قولهم. فإن كانت لكم المكانة و الحظوة و أنتم أبناء الله و أحباؤه فاطلبوا الموت تعجلوا لقاء محبوكم و دخول الجنات المعدة لكم وحدكم. و لكنهم لم يفعلوا، فدل ذلك على كذبهم. و بيّن القرآن الكريم أن الخيرية و التفاضل بين الناس لا يقوم على أساس جنس أو لون فالإنسانية كلها واحدة و تتفاضل بشيء واحد هو الإيمان بالله الحق و العمل الصالح و أعلنها صريح واضحة :﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[3] .

---

[1] المائدة، الآية : 20

[2] البقرة، الآيتان 111-112

[3] الحجرات : الآية 13 .

6. تحريف كلمة الله :

و من جرأة اليهود على الله تحريفهم و تبديلهم و إخفائهم لآيات الله و ذلك ناتج عن زيغ عقائدهم و تخلخل إيمانهم و طغيان أهواء نفوسهم و تقديم المصالح المادية الخاصة على حقائق الإيمان و قيمه.

– قال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1].

﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[2].

لقد أعتبر القرآن التوراة كلمة الله الحقة التي تحمل الهدى و النور و تدعوا اليهود إلى الإله الواحد و تحوي الأحكام الشرعية التي يتحاكم إليها بنو إسرائيل فينظمون بها مجتمعهم و يحفظون بها حقوقهم، و لكنهم و بسبب قسوة قلوبهم و اتباع أهوائهم مدوا إليها أياديهم بالتحريف يقول سيد قطب رحمه الله : " و طابعهم الأصيل هو تحريف الكلم عن مواضعه. تحريف كتابهم أولا عن صورته التي أنزلها الله على موسى عليه السلام -إما بإضافة الكثير إليه مما يتضمن أهدافهم الملتوية و يبررها بنصوص من الكتاب مزورة على الله و إما بتفسير النصوص الأصلية الباقية وفق الهوى و المصلحة و الهدف الخبيث"[3].

لقد كشف القرآن الكريم أمراض قلوبهم و توعدهم بالويل لامتداد أياديهم الآثمة بالتبديل و الزيادة و النقصان في التوراة و الادعاء بأنها من عند الله و إخفاء ما لا يناسب أطماعهم كالبشارة ببعثة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾[4].

و في الأخير نقول :

---

[1] البقرة، الآية : 78

[2] النساء، الآية : 45

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص 859.

[4] الأعراف الآية : 157.

لقد توجه القرآن في جزء هام من خطابه لليهود مصححا تصوراتهم الخاطئة حول الألوهية و ذكرهم بالعقيدة الصحيحة الذي كانت عليها توراتهم قبل أن تتلاعب بها الأيادي.

لقد وصف القرآن الكريم الذات الإلهية المقدسة بكل نعوت الكمال و نفى عنها كل صفة نقص.

لقد رد تحريفهم و تزويرهم في وصف الله بعدم العلم و قرر أن الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء في السماوات و لا في الأرض قال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[1].

و رد تحريفهم و تزويرهم في وصف الله بالتعب و الإعياء فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾[2].

و رد تحريفهم في وصف الله بالنسيان و الغفلة و النوم.

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾[3]

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[4]

و رد عليهم زعمهم في نسبة الولد له. و كيف يستقيم أمر العالم بوجود إلهين؟

و رد عليهم سوء أدبهم و قبح قولهم : إن الله فقير و نحن أغنياء

و رد عليهم سوء أدبهم و قبح قولهم : إن الله بخيل و يده مغلولة كما نعى عليهم اتخاذهم العجل و الأصنام آلهة من دون الله و رد ادعائهم الكاذب بأنه شعبه المختار و أن الجنة لهم وحدهم و أنهم لا يدخلون النار إلا أياما معدودات.

---

[1] الأنعام، الآية : 60.

[2] ق، الآية : 38.

[3] البقرة، الآية 255.

[4] طه، الآية : 51.

كما كشف دسائسهم و تلاعبهم و اعتدائهم على التوراة بالتحريف زيادة و نقصا و إخفاء خدمة لأهوائهم و مطامعهم الخبيثة.

و قد تنوع خطابه إليهم بين الحجة العقلية و التذكير بنعم الله المتالية عليهم، و مخاطبة الوجدان ترغيبا بما عنده و ترهيبا بعذابهم و انتقامه.

3- نقد القرآن الكريم للنصرانية :ـ

النصرانية هي الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام ،و لا تختلف عن سائر الديانات السماوية الأخرى ، فقد دعت لعبادة الله الواحد ، المتصف بكل صفات الكمال ، المنزه عن كل نقص و عيب.

قال الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[1]

و قد تحدث القرآن الكريم عن النصرانية و عن المسيح عليه السلام مبينا وجه الحق الذي شابه كثير من الاضطراب و الانحراف بسبب الأيادي العابثة التي امتدت إلى الوحي بالزيادة و النقصان، حتى غيرت الملامح الأساسية للنصرانية من التوحيد النقي إلى التثليب و ادعاء البنوة لله تعالى وغير ذلك.

و قبل أن نبدأ الحديث عن مناقشة القرآن للنصارى في عقيدتهم هذه فإننا سنبين أولا حقيقة المسيح عليه السلام في القرآن ثم نعود إلى بيان نقده لتصوراتهم و منهجه في ذلك .

1.3- حقيقة المسيح في القرآن :

لقد رسم القرآن صورة واضحة معقولة للمسيح عليه السلام بين فيها بوضوح ولادته و طبيعته و رسالته التي جاء بها ،وعناية الله به حين نجاه من القتل.

1.1.3- ولادة المسيح :

يقرر القرآن الكريم بان المسيح عليه السلام ولد ولادة بشرية بعد حمل في رحم أنثى كسائر البشر،و لكن هذا الحمل تم بطريقة غير عادية إظهارا لقدرة الله تعالى المطلقة و آية منه لبني إسرائيل الذين غلبت على عقولهم المادية

[1] الشورى، الآية:13

و أفكار الروح و اعتادوا أن يفسروا كل ما يرونه تفسيرا ماديا فكانت ولادة المسيح و كذلك معجزاته من بعد تكسيرا لهذه القاعدة و غرما لإرادة الله القاهرة و قدرة الله المطلقة في القلوب و العقول.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1]

لقد تمت ولادة المسيح من غير أب بنفخة من الملك في مريم عليها السلام يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[2].

وقال أيضا ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

2.1.3- طبيعة المسيح :

يقرر القرآن في وضوح تام أن المسيح عليه السلام دو طبيعة بشرية آدمية يسري عليها ما يسري على كافة البشر. قال تعالى:﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[4] و قال تعالى :﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[5]. ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[6].

و يقول سيد قطب معلقا على الآية الأخيرة:"و أكل الطعام مسالة واقعية في حياة المسيح–عليه السلام– و أمه الصديقة وهي خصيصة من خصائص الأحياء الحادثين و دليل على بشرية المسيح و أمه أو على ناسوته

---

[1] مريم، الآيات: 16-26.
[2] النساء، الآية: 171.
[3] الأنبياء، الآية: 91.
[4] النساء، الآية: 172.
[5] مريم، الآية: 30.
[6] المائدة، الآيتان: 75-76.

بتعبيرهم اللاهوتي-فأكل الطعام تلبية لحاجة جسدية لا مراء فيها، ولا يكون إلها من يحتاج إلى الطعام ليعيش فالله حي بذاته قائم بذاته باق بذاته لا يحتاج، ولا يدخل إلى ذاته سبحانه أو يخرج منها شي حادث كالطعام"[1]

إن الآية قد تضمنت الحديث عن بشرية المسيح من وجوده:

- **نسبته إلى أمه مريم:** ﴿ ما المسيح بن مريم﴾ و كثيرا جدا ما ينسب عيسى عليه السلام إلى أمة تبنيها على بشريته و ردا على ادعاء بنوته لله تعالى.

- **إضافة صفة الرسول إليه:** و لا يكون الرسول إلا آدميا حتى تقام به الحجة على الناس و هدا هو المعتاد في تاريخ الرسالات و ليس عيسى استثناء من هده القاعدة.

- **وصفه وأمه عليهما السلام بأكل الطعام:** وما يوجبه ذلك من معاني الاحتياج والافتقار وذلك ما ينافي وصف الألوهية و لعل فيه إلماحا إلى ما يصدر من الجسم الإنساني من فضلات الطعام و ذلك ما ينزه الرب تعالى عنه.

3.1.3 – دعوة المسيح :

تحدث القرآن الكريم عن مهمة المسيح و دعوته و هي امتداد لدعوة إخوانه من الأنبياء السابقين دعوة إلى عبادة الله الواحد و التخلي بمكارم الأخلاق

قال تعالى :﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[2] ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾[3] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[4].

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2 ، ص: 945.
2آل عمران الايتان :49-50
[3]المائدة، الاية : 117
4 مريم الايتان: 30-32

و قد أيده الله بجملة من المعجزات الباهرة، يشفى الله به المرضى الذين عجز عن مداواتهم الأطباء ويبرئ الأكمه و الأبرص و يحيى الموتى بإذن الله، ويخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طائرا بإذن الله و يخبر الناس بما يأكلون في بيوتهم قال الله تعالى :﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [1]

4.1.3 رفعه إلى السماء :

لما رأى اليهود انتشار دعوة المسيح والتفاف الناس حوله فخافوا ضياع مصالحهم ، فأغروا به الحاكم الرومي وقالوا هو رجل ثائر لا يخضع لنظام ولا يعظم عظيما وهو رجل ثوري اذا لم يكف شره فانه يتفاقم ، ونصبت محكمة أصدرت حكما عليه بالقتل صلبا ، ولكن الله نجاه وقتل شاب إسرائيلي سفيه متطاول على المسيح عليه السلام ورفع إلى السماء، وهو فيها كما أراد الله وهو القادر على كل شيء، وقد كانت ولادته عجبا وحياته و أمره من أوله إلى آخره عجب خارق للعادة مثبت القدرة الإلهية المطلقة [2] قال الله تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [3].

2.3- نقد القرآن لعقائد النصارى:

" تشعبت المذاهب المسيحية بين قائل بطبيعة واحدة للسيد المسيح وقائل بطبيعتين اثنتين : هما الإنسانية والإلهية، و بين مؤله للسيدة مريم ومنكر لهذا التأليه ، وبين مفسر لنبوة السيد المسيح بأنه ابن الله ، ولكنها بنوة على المجاز بمعنى القرب و الإيثار على سائر المخلوقات وقائل بأن السيد المسيح هو ابن الله على الحقيقة التي يفهمها المؤمن على نحو يليق بالذات الإلهية"[4].

---

1) آل عمران: الاية 48

2 ابو الحسن الندوي، **قصص النبيين** ، ط 13 بيروت : مؤسسة الرسالة 1985 ص 364 و ما بعدها

3 النساء : الايات 155-157

4 عباس محمود العقاد، الله ، ط2 القاهرة : مكتبة نهضة مصر 1997 ص 108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

يقول سيد قطب رحمه الله :"جاء في كتاب 'سوسنة سليمان' لنوفل بن نعمة الله بن جرجس النصراني : أن عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي هي : الإيمان باله واحد : الأب الواحد، ضابط الكل، خالق السماوات والأرض كل ما يرى و ما لا يرى ، و برب واحد يسوع الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء والذي من اجلنا نحن البشر، ومن اجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس و تألم و قبر وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد إلى السماء، وجلس على يمين الرب ، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه ، والإيمان بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الأب الذي هو مع الابن يسجد له ويمجده الناطق بالأنبياء"[1] .

هكذا صارت النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام بعيدة عن التوحيد النقي متخبطة في فهم حقيقة المسيح ، وأمه عليهما السلام، واصفة والذات المقدسة بما لا يليق.

لقد تلاعبت بها الأهواء ودخلتها تأثيرات يهودية و ثنية اذهبت نقاءها وصفائها الذي جاء به المسيح عليه السلام[2] . لذلك جاء القرآن ليصحح التصورات الخاطئة، وينفي عن الله تعالى كل ما لا يليق به ويصفه بما يستحق من صفات الكمال والجلال والعظمة، وينزهه عن النقائص، والعيوب التي منها ادعاء النصارى بأن المسيح هو الله، أو هو ابن الله ، أو أن الله ثلاثة أقانيم و يرد هؤلاء الشاردين إلى الجادة قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3] .إن هذه الآية الكريمة تثير منطق العقل والفطرة و الواقع من يملك من مشيئة الله المطلقة و سلطانه المتفرد أن يدفع الهلاك إن أراده الله عن المسيح و أمه ومن في الأرض جميعا هو وحده سبحانه مالك كل شيء وخالق كل شيء والخالق غير المخلوق و كل شيء مخلوق.

---

1 سيد قطب، ظلال القرآن ج:2 ص 944

2ذكر ولديورانت مؤلف قصة الحضارة أن بولس الرسول نقل القول بموت ابن المعبود من أجل عابديه ووراثة الخطيئة عن آدم و الفداء ، عن مصادر يهودية و ثنية: انظر تفصيلا لذلك: عبد العظيم المطعني، الإسلام في مواجهة الاستشراف العالمي ص 304

3المائدة، الاية 17.

تنطق الآية بالحكم الصريح بالكفر على من نطق هذه المقولة الآثمة الباطلة كيف يكون الله هو المسيح بن مريم؟ إنه مخلوق محتاج فقير إلى الله في كل شيء، لا يملك من أمر نفسه شيئا، فكيف يملك من أمر غيره؟ لا يملك نفع نفسه، ولا دفع الضر عنها، فكيف يملكهما لغيره؟ إن هو إلا عبد أنعم الله عليه بالإيجاد، والرسالة وبالمعجزات، وحفظه من الغادرين إنه مفتقر إلى الله في كل أنفاسه في كل طرفة عين أو أقل من ذلك، فكيف يكون هو الله؟ إن الله غني عن العالمين ، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير.

قال تعالى :﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة المركزية

– إن هذه الآيات تبطل في حكم صريح عقائد النصارى وتؤكد حقيقة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام.

– إن فيها حكمين بالكفر على من قالوا إن الله هو المسيح بن مريم و على من قال إن الله ثالث ثلاثة. إن المسيح عليه السلام يدعو إلى عبادة الله الواحد و يحذر من الإشراك بالله أنه ينذرهم بالحرمان من الجنة و الخلود في النار، ويثير في نفوسهم الرهبة من عذاب الله لعلهم يرجعون عن شططهم، وكفرهم و يقرون كما أقر هو بأنه وهم معه في العبودية سواء، فما من إله إلا اله واحد ، ويهددهم عاقبة الكفر الذي يعتقدونه فإن لم ينتهوا فستمسهم النار والعذاب الأليم. إنه الوعيد والتهديد . ثم يفتح أمامهم أبواب التوبة و العودة ويطمعهم في مغفرة الله ورحمته قبل فوات الأوان، فهل من مجيب، إنه يواجههم بمنطق الواقع لعل عقولهم تصحو من سكرتها، لعل فطرتهم تنتبه فتدرك

[1] المائدة الايات 74-79

الإدراك السليم هل يمكن أن يكون بشرمخلوق يأكل الطعام إلاها مع الله ؟ هل يمكن أن يشارك الفقير المحتاج، العبد الدليل، رب العالمين أغنى الأغنياء في إلوهيته وكماله؟هل يمكن أن يتساوى من يرون من البشر مع الله في مقام الألوهية والربوبية؟ إن الله حي بذاته، غني بذاته، قائم بذاته، باق بذاته، و الخلق كلهم مفتقرون إليه وهو غني عنهم أجمعين فكيف يتساوون؟ثم كيف يعبدون عيسى أو مريم أو الروح القدس وهم لا يملكون ذرة في هذا العالم؟ الأولى أن يدعوا السميع العليم ، فهو الذي يسمع الدعاء ويعلم ما تكنه الصدور وينهى القرآن في كلمة جامعة واضحة :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[1]

إن القول بألوهية المسيح أو ببنوة الله تعالى من الغلو والقول على الله بغير علم فيجب تركه و ترك اتباع المضلين عن سبيل الله الذين لا حجة لهم فيما يدعون سوى الظنون والتخرصات قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]

هذه الآيات مشهد من محاكمة في يوم القيامة يعلن فيها المسيح عليه السلام براءته من قولهم في خضوع تام أمام رب العالمين، يسمعونه وهو يتبرأ فزعا من هذه الفرية الكبيرة التي افتروها عليه.

إن هذا المشهد ليثير الفزع في القلوب، ويدفع إلى مراجعة المواقف وتصحيح التصورات، إنه يتبرأ ممن يدعون ألوهيته ، ويعلن عبوديته التامة لله وينزهه عن مقالتهم ويصفه بكل الكمالات. إبطال الولد عن الله تعالى: نفى القرآن بشدة إبطال الولد لله تعالى: نفى القرآن بشدة أن يكون لله ولد أو شريك ، واستدل على ذلك بجملة أدلة ولم يختلف أسلوب القرآن في الرد على النصارى عن غيرهم من الطوائف فقد جاء خطابه لهم محاكما للعقول

[1] المائدة الآية:77.
2 المائدة : الايات 118.120

بالحجة والبرهان العقلي الصحيح، كما استخدم معهم صورا حسية تراها العيون ويتأملها وعي الإنسان كله لمعرفة فساد قولهم بألوهية المسيح، كما أنه أثار في نفوسهم عنصر الرهبة والتخويف بالعذاب الشديد يوم القيامة إن لم ينتهوا عما يقولون و أبقى لهم باب التوبة مفتوحا ورغبهم في الإيمان بالله الواحد .

1.2.3 أ . إبطال الولد عن الله تعالى :

نفى القرآن بشدة أن يكون لله ولد أو شريك واستدل على ذلك بجملة من الأدلة :

أولا- الاستدلال العقلي :

و هو المستمد من الآيتين :

قوله تعالى :﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1] و قوله تعالى ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[2]

فأما الآية الأولى فواضحة الدلالة في نفي تعدد الآلهة مع الله سواء كانوا بشرا أم ملائكة أم حجرا، لأن التعدد يلزم منه الفساد باختلاف الإرادات والأفعال وبما انتفى الفساد في العالم كما هو مشهود انتفى معه التعدد .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد :" و لن يقوم على ثبوت الوحدانية برهان أقوى من هذا البرهان. . . وصواب الأمر أن وجود إلاهين سرمدين مستحيل وأن بلوغ الكمال المطلق في صفة من الصفات يمنع بلوغ كمال مطلق آخر في تلك الصفة،وإن الإثنية لا تتحقق في موجودين كلاهما يطابق الآخر و لا يتمايز منه في شيء من الأشياء، وكلاهما بلا بداية ولا نهاية و لا حدود ولا فروق، وكلاهما يريد ما يريد الآخرو يقدر ما يقدره الآخر ويعمل ما يعمله في كل حال وفي كل صغير وكبير، فهذان وجود واحد وليس بوجودين ، فإذا كانا اثنين لم يكونا إلا متمايزين متغايرين ، فلا ينتظم على التمايز و التغاير نظام واحد "[3] وأما الآية الثانية :فهي إبطال لمن يقول باتخاذ

---

1 الانبياء :الآية 22

2 المؤمنون : الآية 91

3. عباس محمود العقاد ،الله، ص ، 151،152 .

الله للولد كما هو شان النصارى وإبطال لمن يقول بوجود اله آخر مع الله تعالى الأب هذا القول يوجب استقلال كل اله بخلقه وانفراده به ، وهذا غيرمشاهد في الواقع يقول الزمخشري في تفسير الآية :﴿ لذهب كل اله بما خلق﴾ " لا نفرد كل واحد من الآلهة بخلقه واستبد به و لرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا . ممالكهم متمايزة وهم متغالبون و حين لم تروا أثرا للتمايز وللتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء"[1]

إن الآية واضحة الدلالة في أنه لوكان هناك إلهين لاستقل كل إله بقسم من الكون هو خلقه دون الآخر وكما أمكننا رؤية هذا التناسق العجيب بين أجزاء الكون كلها من الذرة إلى المجرة ، و لصار الأمر إلى التفاوت والاضطراب وهذا غير حاصل، فدل ذلك على أن للعالم خالقا ومدبرا واحدا لا شريك له ولا ولد. ومن الأدلة العقلية في إبطال القول ببنوة عيسى لله تعالى قوله تعالى:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] إن ولادة عيسى عجيبة حقا وخارقة لعادات البشر، ولكن حينما نقيسها بولادة آدم يزول العجب، فإذا كان عيسى قد خلق من غير أب فإن آدم خلق من غير أب وأم ومع ذلك لم يقل أحد إن آدم ابن الله، وحواء خلقها الله من غير أم ومع ذلك فلم يقل أحد أنها بنت الله. فالاحتجاج على أن عيسى ابن الله لكونه مولودا من غير أب باطل. إن الذي صار به آدم إنسانا هو ذاته الذي ولد به عيسى من غير أب، عنصر النفخة الإلهية في هذا وذاك وما هي إلا كلمة "كن" .

ثانيا – الاستدلال بالصور الحسية :

لما كثرت دعاوى النصارى في المسيح، قالوا إن له طبيعة لاهوتية وأخرى ناسوتية وأن الله حل وتجسد في المسيح إلى غير ذلك من الشبهات، فقد جاء القرآن وقدم صورة حسية للمسيح هي صورة الإنسان البشر الآدمي ، ونفت عنه أن يكون إلها أو ابن الله أو أن الله تجسد فيه، وقد أظهر الله تعالى هذه الصورة الحسية

---

[1]- الزمخشري ، الكشاف ، ج : 3، ص،54 .

[2]- آل عمران، الآية: 59.

لبشرية المسيح من وجوه :

1- **نسبته إلى أمه مريم:** (عليها السلام) حتى يبطل القول بنبوته لله تعالى، وقد تكررت إضافة المسيح إلى أمه في القرآن الكريم عدة مرات قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾[1] . ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[2] ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[3]

لقد تكررت إضافة المسيح و نسبته إلى أمة للتأكيد على بشريته[4]

2- **وصفه بالعبد** : حتى يبطل القول بنبوته و ألوهيته قال تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[5] و قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[6] و قوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[7]

3- **وصفه بالتوفي** : و لا شك أن ذلك من خصائص البشرية فلا يليق بالإله أو ابن الإله أو الشريك أن يتوفى قال تعالى :﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[8] و قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ﴾[9]

و كذلك التعبير بالقتل و الصلب فإنهما من لوازم البشرية في قوله تعالى :﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾[10] وهو مايقرون به، و هو مناف للألوهية إذ كيف يسمح الإله بقتل ولده الوحيد و لا ينتصر له .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة مكتبة الرقمية

---

[1] النساء : الآية 171 .

2- المائدة : الآية 75

[3]- البقرة : الآية 253

4 محمد بوروايح ، منهج القرآن في نقد الأديان ، رسالة ماجستير مقدمة بمعهد أصول الدين قسم مقارنة الأديان . جامعة الأمير عبد القادر 1995 ص 207 .

5 النساء : الآية 171

6- مريم : الآية 30

[7]الزخرف : الآية 59

[8]المائدة : الآية 77

[9]آل عمران : الآية55

[10]النساء : الآية 157 .

4- **الحاجة إلى الطعام و الشراب** : و لا شك أن الاحتياج إليهما ضرورة بشرية محضة ، والله تعالى منزه عن الاحتياج إلى أي شيء .

و قد بين القرآن الكريم حاجة المسيح و أمه للطعام مشيرا إلى بشريتهما وحاجتهما قال الله تعالى:﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾[1] ومن كان هذا حاله من الاحتياج لا يكون إلاها لأن من صفات الإله كونه مستغنيا بنفسه عن غيره، وتشير الآية من طرف خفي إلى أن من يأكل الطعام لا بد أن تبرز عنه فضلاته وقد جاء هذا المعني بالتلميح دون التصريح فقد عبر عن الشيء بلازمه . فكيف يليق بالإله أن يكون هذا وصفه [2].

ثالثا . الاستدلال بالترغيب و الترهيب :

ذكرنا سابقا أن من منهج القرآن في دعوة الناس إلى الإيمان إنذارهم وترغيبهم من مغبة الكفر، والإشراك بالله بما أعده للكافرين من عذاب شديد يوم القيامة ، كما أن من منهجه أيضا الترغيب بما في الإيمان من طمأنينة ورغد في الدنيا ونعيم، و جنات في الآخرة .و إذا تأملنا الآيات التي خاطب بها القرآن النصارى ودعاهم فيها إلى الإيمان بالله الواحد ودحض مقولاتهم الباطلة، فإننا نلحظ هذا الأسلوب بوضوح .

أ- **أسلوب الإنذار (الترهيب) :**

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾[3] .قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4]

---

[1] المائدة : الآية 74

2انظر تفصيلا لذلك : ابن قيم الجوزية : **مختصر الصواعق المرسلة** – اختصره محمد بن الموصلي ، ط1 ، بيروت ، دار الندوة الجديدة 1984 . ص 69 ، وينظر أيضا : محمد بورورايح ، منهج القرآن في نقد الأديان ، ص209

[3] المائدة : الآية 72

[4] المائدة : الآيات 118- 120

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1] ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿ قَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[2].

إننا حينما نتأمل هذه الآيات وأمثالها نرى فيها الإنذار وإثارة الخوف في النفوس بعذاب الله للكافرين وصعوبة وشدة وحرج الوقوف بين يدي الله للمحاكمة يوم الحساب وتخلي الشركاء عن شركائهم ولا يجدون لهم نصيرا يقومون فرادى أمام الحق سبحانه ولا يجدون جوابا .

إن هذه الآيات وأمثالها حينما تقع على مسامع المعنيين بها لابد أن يقفوا مع أنفسهم، ويتأملوا خطورة الموقف وبشاعة المصير ، ذلك ما يدفعهم إلى مراجعة عقائدهم والبحث عن الحق واتباعه .

ب- أسلوب الترغيب : و أمثلته قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[3] ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[4]

إننا حين نتأمل هذه المجموعة من الآيات نرى الخطاب الودي الحنون الذي يدعو فيه القرآن أهل الكتاب إلى التوحيد ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ﴾ و يفتح أمامهم أبواب القبول، ويعرفهم بالله الغفور الرحيم .نرى الترغيب في الإيمان بذكر مآل المؤمنين وكيف يرتادون الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، وهم خالدون فيها منعمون .

إننا حينما نقارن المآلين والمصيرين لا شك أن العاقل يختار لنفسه النعيم والسعادة والجنان ويفر من العذاب والجحيم باختيار الإيمان الصحيح والعمل الصالح .

1النساء : 173
2مريم : الآيات : 89- 96
3المائدة : الآية 76
4- المائدة : الآية 85

رابعا . الاستدلال بالمباهلة :

وهو أسلوب نفسي أيضا يهدف إلى قطع الجدال بعد إقامة كافة الحجج والبراهين حينما يكون العناد والمكابرة هما الهدف بدل الوصول إلى الحق .

ومعنى المباهلة الدعاء، والابتهال إلى الله بإحلال اللعنة على الكاذب من الفريقين، وهو أسلوب مفاده التخويف بعذاب الله ، وانتقامه من المكذبين إن استمروا على عنادهم .

قال تعالى :﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[1] .

ثم إن ادعاء النصارى بأن الله واحد وثلاثة في ذات الوقت باطل من وجوه قال تعالى ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[2]

الوجه الاول : لما كان التوحيد و التثليث حقيقين عند المسيحيين نقول : لابد من ثبوت الكثرة الحقيقية ، و لا يمكن بعدها ثبوت التوحيد الحقيقي وإلا لزم اجتماع الضدين الحقيقيين وهو محال . إن القائل بالتثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله تعالى توحيدا حقيقيا لأنهما ضدان حقيقيان.[3]

3.2.2 ابطال القول بالتثليث :

الوجه الثاني : لو وجد في ذات الله ثلاثة أقانيم مميزة بامتياز حقيقي، لزم أن يكون لله حقيقة محصلة، بل مركبا اعتباريا، فإن التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء فكل جزء يحتاج إلى الآخر، والأجزاء مجتمعة تحتاج إلى مركب .

الوجه الثالث :"إذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الأقانيم فالأمر الذي حصل به الامتياز إما أن يكون من صفات الكمال أو لا يكون .

---

[1] آل عمران الآية: 61

[2] النساء الآية: 171

[3] رحمة الله الهندي ، **اظهار الحق** ، طبعة بيروت : المكتبة العصرية ، ،(د ت) ص583

فعلى الشق الاول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه بينهم، وهو خلاف ماتقرر عندهم، أن كل أقنوم من هذه الأقانيم متصف بجميع صفات الكمال، وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال، وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه"[1]

وإلى هذه المعاني تشير سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[2]

فقوله﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أدق من لفظ واحد لأنه يضيف إلى "واحد" أن لا شيء غيره معه .

يقول سيد رحمه الله :" إنها أحدية الوجود فليس هناك حقيقة إلا حقيقته ، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية "[3] (4)

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ الذي يصمد و يتوجه إليه كل مخلوق لقضاء حاجته، وهو الغني عنهم، والمسيح والملائكة و الخلق كلهم محتاجون اليه.

﴿ لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾[4] ولم يولد لان كل مولود محدث و هو قديم لا أول لوجوده

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ فلا يوجد له مماثل، أو مكافيء لا في حقيقة الوجود، ولا في أي صفة من الصفات الذاتية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

1- المرجع نفسه ،ص : 585
2- الإخلاص الآيات : 1-3
3- سيد قطب ، في ظلال القرآن ج :6،ص:4002
4- الأنعام ، الآية :101

الفصل الخامس

خصائص منهج القرآن

خصائص منهج القرآن

* التكامل
* اليسر والوضوح
* الواقعية
* التربوية
* اليقين
* النقدية

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــد

يتميز منهج القرآن في الاستدلال بالتكامل و الشمول، فنجده يستوعب العقل و النص بحيث يتمازجان و لا يتناقضان، وتلحظ في خطابه تكاملا بين طوائف البشر من خاصة الناس وعامتهم، كما أنه لا يخاطب في الإنسان عقله وحده، و لا حواسه وحدها، و يهمل عاطفته، بل تجد في توجيهاته مزيجا بين هذه و تلك، هذه نظرة مجملة و الآن نأتي للتفصيل.

1. التكامـل:

1.1. التكامل بين العقل و النص

أعطى القرآن العقل دورا هاما، و مجالا واسعا، و يتمثل ذلك في إفساح الطريق أمامه ليستدل على وجود الخالق، و وحدانيته حين أقام أدلته من الآفاق، و الأنفس، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] و قوله جل شأنه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[2]

و قد استطاع العقل أن يتوصل إلى وجود الخالق بالتأمل في الدلالتين معا، و حرر عشرات الأدلة القاطعة التي لا تبقي شبه لمنكر أو جاحد، و قد ذكرنا جانبا منها في هذا البحث.

كما أقام القرآن الكريم براهين أخرى، عقلية صرفة، اعتماد على قدرة العقل في فهمها و الاستدلال بها على الخالق سبحانه، مثل قوله عز و جل: ﴿خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[3] و قوله جل شانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4]

---

[1] آل عمران، الآية: 190

[2] الواقعة، الآية: 58-59

[3] الطور، الآيتان 35-36

[4] الأنبياء، الآية: 22

و استطاع العقل فعلا بهذه الدلالة التأكد من وحدانية الخالق سبحانه. و ليس هذا فحسب، بل إن العقل يمكنه معرفة جانب من صفات الله تعالى بالتأمل في الكون والنفس البشرية[1]، فيدرك من النظام الموجود في هذا الكون، والاتساق بين الموجودات أن الخالق الحكيم، قادر، عالم، مريد، إذ نفي هذه الصفات عنه يستلزم عدم وجود الكون وعدم انتظامه، فلما ثبت الوجود و الصلاح ثبت وصفه بالقدرة، و العلم، و الإرادة و غيرها من صفات الكمال.

إلا أن العقل من وجهة نظر القرآن – و الواقع أيضا – لا يستطيع أن يستقل بمعرفة الله تعالى، فقصاراه كما ذكرنا أن يدرك وجود الخالق، و معرفة بعض صفاته، و لا شك أن هذه المعرفة مهمة، لكنها غير كافية، وهنا يأتي دور النص أو الخبر الصحيح الذي يكمل بقية جوانب المعرفة، فيحدثنا عن أسماء الله تعالى و كل صفاته، و كيفية الخضوع له، و العلاقة معه جل شأنه إلى غير ذلك من المسائل التي يستطيع العقل أن يستجليها بنفسه أو يقف عليها بذاته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

و هذه الفكرة على درجة عالية من الأهمية، لأنها تعصم العقل من الزلل في مجال ليس متاحا معرفته بذاته، مثل صفات الخالق كما ذكرنا مما يجب له على وجه التحديد، و ما يجوز إطلاقه عليه من أسماء[2].

لذلك قرر علماؤنا عدم جواز إطلاق أسماء أو صفات على الله تعالى لم يرد بها النص[3]. فأسماء الله لا دخل للإنسان فيها: وليس للمسلم أن يناجي ربه باسم أو صفة، لم يصف الله بها نفسه، فهو أعلم بما يدل على ذاته و آثاره و صفاته، و لا يتلقى ذلك إلا عنه. سبحانه عن طرق قرآنه، أو عن طريق إخبار الرسول القطعي: ﴿وَلِلَّهِ

---

[1] أنظر: سعيد حوى، **الله جل جلاله**، ط3، القاهرة: دار السلام، 1995، ص 129.

[2] طه الدسوقي، **عقيدتنا وصلتها بالكون والإنسان والحياة**، طبعة القاهرة: دار الهدى، 1984، ص 124 و ما بعدها.

[3] أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد.ص

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[1]

ولا يعني هذا المنع أن العقل لا مجال له في هذا الميدان، بل له أن يدرك ما فيه من المعاني ما يقتنع بها كل ذي عقل سليم، وفكر سوي، فالله تعالى سمى نفسه في كتابه بالواحد، الأحد، الصمد، الخالق، البديع، الرزاق، . . . وغيرها من الأسماء التي عبر بها عن سمو ذاته و تعاليه عن خلقه و كمال جماله. والواقع أن هذه الأسماء والصفات تطابق النظر العقلي السليم، الذي يشاهد في هذا الكون تلك الأسماء والصفات بادية للعيان.

وإذا أردنا أن نقف على أهمية هذه القاعدة نقول: إن أرسطو صاحب العقل الجبار لم يسعفه هذا العقل حين أراد أن يصف الله تعالى فجعله أقرب إلى العدم. يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "فالله عند أرسطو يعلم ذاته، ولا يعقل ما دورها و ينزه عن الإرادة لأن الإرادة طلب في رأيه، والله كمال لا يطلب شيئا غير ذاته. ويجل عن علم الكليات والجزئيات لأنه يحسبها من علم العقول البشرية، ولا يعني بالخلق رحمة ولا قسوة. . . لأن الخلق أحرى أن يطلب الكمال بالسعي إليه"[2].

يقول العقاد: "ومن ذلك فإنه ينكر صفة الوحدانية ليقول بصفة الأحادية ويقول: إن الواحد غير الأحد، لأن الواحد قد يدخل في عداد الاثنين والثلاثة . . . . ولا يكون الأحد إلا مفردا بغير تكرار. ومن ذلك أنه ينكر صفة الوجود ليقول إن الله لا يوصف بأنه موجود تنزيها له عن الصفة التي يقابلها العدم، و تشترك فيها الموجودات"[3].

فأي إله هذا الذي لا يوصف بالوجود والوحدانية والإرادة ولا يعلم الكليات والجزئيات، إن هذا التصور هو النتيجة الحتمية للعقل غير المسدد بالوحي[1].

---

[1] الأعراف، الآية : 180

[2] عباس محمود العقاد، **حقائق الإسلام و أباطيل خصومه** طبعة بيروت: المكتبة العصرية، ، د.ت ص 37

[3] المرجع نفسه، ص 33

2.1. التكامل في مراعاة مقامات وأحوال المخاطبين.

لا يختلف اثنان في أن مدارك البشر مختلفة، فمنهم العقلاني الموغل في التجريد الذي لا يرى صحة لمعلومة أو فكرة إلا إذا كانت برهانية، ومنهم العالم الطبيعي الذي يرى صحة المعلومة في التجريد، ومنهم الإنسان العادي الذي يقنعه الكلام الجميل، لمثير للعواطف الإنسانية.

وبناءا على هذه الخبرة في النفس البشرية جاء خطابا متكاملا يشمل الأصناف كافة، لأن من حق الجميع أن يعرفوا ربهم معرفة كاملة ويقيموا معه علاقة أساسها العبودية له وطلب مرضاته. وهذا ما يلاحظه المتدبر لكلام الله تعالى.

إن طالب الأدلة البرهانية يقرؤها في مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3]

وطالب الأدلة التجريبية يجدها في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[4]. وفي قوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[5] وفي قوله سبحانه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[6]

---

[1] أنظر تفصيلا للموضوع: محمود قاسم، **دراسات في الفلسفة الإسلامية**، القاهرة ط3، دار المعارف، 1970، ص 79

[2] الانبياء، الآية: 22

[3] المؤمنون، الآية: 91

[4] المؤمنون، الآيتان: 12-14

[5] الأنبياء، الآية 30

[6] الرحمان: الآيتان: 19-20

و طالب الأدلة الخطابية يجدها في مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [1] .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : "إن القرآن خاطب الناس جميعا في أجيال مختلفة و أقوام تباينت مشاربهم . . . إن طبائع الناس متفاوتة و مشاربهم مختلفة و أهوائهم متنازعة و مسالكهم في طلب الحق متعددة . فمنهم من يصدق بالبرهان ولا يرضيه إلا قياس تام أو ما يجري مجراه وهؤلاء من غلبت عليهم الدراسات العقلية والنزاعات الفلسفية . و من الناس من غلب عليه مذهب ديني أو غير ديني قد استأثر بلبه سد مسام الإدراك إذ استولت عليه نحلة مذهبية فتعصب لها . . . وهؤلاء لا بد لهم من طريق جدلية تزيل ما لبس الحق عليهم . . . أما الجمهور الأعظم من الناس فليسوا من هؤلاء و لا أولئك بل هو في تفكيره أقرب إلى الفطرة، فيه سلامتها و فيه سذاجتها ، و فيه إخلاصها و براءتها و هو لا يخاطب بتفكير الفلاسفة، و لا يخاطب بما يخاطب به المتفكرون تفكيرا علميا بل يليق به ما التقى فيه الحق مع مخاطبة الوجدان وما اختلفت فيه الحقائق اليقينية بما يجعل الأهواء تابعة لها، والميول خاضعة لمناهجها . . . "[2] .

ثم يبين رحمه الله اهتمام منهج القرآن بالطوائف معا فيقول : "و القرآن الكريم نزل بتلك الشريعة الشريفة الأبدية التي جاءت للكافة و بعث بها النبي صلى الله عليه و سلم للناس جميعا و بشيرا، و نذيرا فلا تقتصر دعوته

---

[1] محمد، الآيات 12-15

[2] محمد أبو زهرة، **المعجزة الكبرى**، طبعةالقاهرة: دار الفكر العربي، د.ت ص 369

على قبيل ولا على جيل، بل هي لكل الأجيال والقبائل، والأقوام والألوان"[1]. ثم يزيد الأمر بيانا وتوضيحا فيقول: "لذلك وجب أن يكون القرآن وهو الحجة الكبرى، فيه من الأدلة والمناهج ما يقنع الناس جميعا على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم وتفاوت مداركهم... ويجد فيه العلماء غذاء نفسيا واعتقاديا، وخلقيا، ويجد المثقف بغيته، والفيلسوف طلبته والعامة من الشعوب دواء نفوسهم وشفاء قلوبهم"[2].

ولابن رشد كلام في فصل مقال يؤكد هذا المعنى يقول: "ولما كانت طرق التصديق منها ما هي عامة لأكثر الناس –أعني وقوع الجدلية، ومنها ما هي خاصة لأقل الناس وهي البرهانية، وكان الشرع مقصوده الأول: العناية بالأكثر من غير إغفال تنبيه الخواص. كانت أكثر الطرق المصرح بها في الشريعة هي الطرق المشتركة للأكثر في وقوع التصور والتصديق"[3].

ولأبي حامد الغزالي رأي قريب من هذا يقول: "فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع بها آحاد الناس وتستضر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا"[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

أما التكامل في مراعاة أحوال المخاطبين فنقصد به أن منهج القرآن يستجيب لحاجات الناس المختلفة، فالمؤمن الذي يسعى لزيادة إيمانه والترقي في مدارج اليقين يلبي له حاجته بما وضع من عبادات مختلفة كالصلوات والصوم وتلاوة القرآن بتدبر، وذكر الله كثيرا وهذا ما أرشدت إليه الآية قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

---

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 370.

[2] المرجع نفسه ص 370-372

[3] أبو الوليد بن أحمد بن رشد، **فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكمة من الاتصال** ، بيروت: ط2، دار المشرق، 1968، ص 5-51.

[4] أبو حامد الغزالي، **إلجام العوام عن علم الكلام** : ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، طبعة بيروت،دار الفكر، 2000، ص 315.

قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1] .

ولا شك أن الاطمئنان الوارد في الآية هو أعلى درجات اليقين، الذي طلبه إبراهيم الخليل عليه السلام عندما سأل رؤية كيفية إحياء الموتى : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[2] .

كما أنه يستجيب لحاجة المؤمن الغافل حينما ينبهه من غفلته و تقرع آيات القرآن سمعه، فيخرج من إلفه وعادته وربما كانت الدعوة إلى حضور صلاة الجمعة وصلاة الجماعة لهذا السبب، أعني التذكير المستمر لإزالة الغفلة .

كما أنه يستجيب لحاجة الشاك المتردد، والمنكر الجاحد حينما يدعوهما إلى التخلص من الموروث ، واستصحاب فكرهما الحر فيقدم لهما من الدلائل ما يزيل به حيرة وشك هذا، وإنكار ذاك ويوصلهما إلى برد اليقين .

3.1. التكامل في مخاطبة مدارك الإنسان :

تنوعت دلائل الإيمان في الكتاب العزيز بتنوع مدارك البشر و منافذ المعرفة لديه .

أ . فمن جهة نجد الخطاب القرآني يتجه نحو الوجدان ، فيثير المشاعر في أعماق الإنسان، و هو يحدوها إلى رب العالمين بذكرها بآلاء الله و أفضاله المتتالية نحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[3]

و اسمع الآيات و هي تثير في نفوسنا الإحساس بما قد ننساه من نعم قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾[4] ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

---

[1] الرعد، الآية : 28

[2] البقرة، الآية 260.

[3] الانفطار، الآيات : 6-8

[4] البقرة، الآية : 231

بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1] ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2]

واسمع الآيات وهي تثير في نفوسنا الإحساس بالجمال في هذا الكون وما أحلى الجمال والتمتع به وما أيسر نفاده إلى القلوب قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[3] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[4] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[5] ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[6]

قال تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[7].

يقول سيد قطب: "هذه الصورة تمثل حملة عميقة التأثير في القلب البشري ومطاردة عنيفة للشكوك والشبهات... حملة لا يصمد لها قلب يتلقاها وهي تلاحقه حتى تلجئه إلى الإذعان والاستسلام"[8].

---

[1] آل عمران، الآية: 103.

[2] الأنفال، الآية: 26

[3] النمل، الآية: 60

[4] الحجر، الآية: 16

[5] التين، الآية: 4

[6] غافر، الآية: 64

[7] الطور، الآيات 1-20

[8] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج6، ص 339

ويبين سيد رحمه الله تأثير الآيات بما نقله من أثرها في عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سيد : "خرج عمر يعس بالمدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ : " و الطور . . . حتى بلغ : إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع" قال قسم و رب الكعبة حق، فنزل عمر عن حماره واستند إلى حائط فمكث مليا، ثم رجع إلى منزله فمكث شهرا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه"[1] .

إننا حينما نقرأ القرآن و هو يحدثنا عن الله نشعر بوجوده ، وهيمنته سبحانه كما نشعر بوجود الروح فينا وكما نشعر بعواطف الحب، و البغض و الرغبة ، والنفور دون أن نستطيع إقامة الدليل على وجودها فينا مع أنها متغلغلة في داخلنا ، و دليلنا عليها ليس أكثر من شعورنا بها هي حق لا ننكرها و لو أنكرها العالم كله[2] .

نحس بذلك كله و نحن نقرأ كلام الله تعالى، إنه إحساس منبعث من تصديق الفطرة فينا بكلام الله ربها الذي أخذ عليها عهدا و ميثاقا، لكن بعض الناس قد تخدر بعوارض الأهواء و الشهوات، و حجب بكثرة الغفلات، ولكن هذا الشعور قد تبعث رفاته عند الشدائد القاسيات، و حينما تتقطع سبل النجاة و لا يبقى أمام الإنسان إلا أن يلتجأ إلى الله مولاه .

و ما كان قول فرعون حين أحاط به الموت من كل مكان ، و أدركه الغرق ﴿ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3] .

و من حكمة الله ورحمته أنه لم يترك أمر الإيمان به والإقبال عليه رهينا لعوادي الأيام التي تزيل عوارض الشهوات والغفلات ، بل أقام أدلة من نوع آخر .

إنها براهين تعتمد المشاهد الحسية لما هو أمامنا وما خلفنا من المخلوقات الدالة عليه، من أحقر شيء إلى أعظمه من الذبابة و البعوضة إلى السماوات العلى . قال تعالى :﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ

---

[1] المرجع نفسه : ج6، ص 3394.

[2] عبد الرحمان حسن حبنكةالميداني، **براهين و أدلة إيمانية**، ط1، دمشق دار القلم 1987، ص 141 و ما بعدها.

[3] يونس الآية : 90.

شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[1] .

إنها دعوة واضحة لينظر الإنسان إلى طعامه لينظر إلى ألصق شيء به ،وألزم شيء له لينظر في هذا الأمر الحاضر المتكرر كل يوم، لينظر فيها معجزة كمعجزة خلقه و نشأته . انظر إلى الماء الذي جاءت به المطر، و هذه درجة من المعرفة يدركها كل إنسان و لا يزعم أحد أنه أنشأ هذا الماء . ثم انظر مليا في النبت الصغير النحيل كيف يشق الأرض و يرفع التراب الثقيل إنها يد القدرة التي تشق له الأرض شقا وهي معجزة يراها كل من يتأمل انبثاق النبتة من التربة .

ثم انظر بفكر يقظ، كيف تخرج الأرض الحبوب والأعناب ، و الخضر و الزيتون ، و النخيل وسائر الفواكه كل له شكله ، و له لونه و رائحته، كل صمم بطريقة تختلف عن الأخرى تتمتع بالحامض منه و الحلو، و تسر أعيننا بألوانه الزاهية البديعة ، و نرى الإبداع في تنضيد الحب و لفه في أغلفته . إن التربة واحدة، و الماء واحد ، و لكن اليد المبدعة تنوع الزروع و الثمار، و تحفظ في البذرة الصغيرة خصائص أمها ، يقع كل هذا خفية عن الإنسان لا يعلم سرها و لا يستشار في شأن من شؤونها ، و إنما توضع أمامه ليأكلها بسم الله و يحمده عليها[2] .

لقد طلب القرآن من الإنسان أن يستعمل كل حواسه و يفحص ما أمامه

فلينظر الإنسان مم خلق

لينظر إلى السماء فوقه كيف بنيت

لينظر إلى الإبل كيف خلقت

لينظر إلى الجبال كيف نصبت

لينظر إلى الأرض كيف سطحت

لينظر إلى كل شيء فإن كل شيء له آية تدل على أنه واحد .

---

[1] عبس، الآيات : 24-31.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن : ج6، ص 3831

طلب القرآن من الإنسان أن ينظر و يسمع و يعقل، قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[2] فهذه الآيات و غيرها تدعو الإنسان إلى إعمال حواسه فيما حوله من مخلوقات لتدله على الخالق الحكيم سبحانه.

و قد استطاع الإنسان بالنظر، و الملاحظة الوصول إلى معارف هامة عن الإنسان و الكون من حوله.

ج- كما أن أرباب العقول و النظر المجرد يجدون في آيات القرآن الكريم ضالتهم و ما يروي ظمأهم، فعدد كبير من هذه الآيات التي تتحدث عن الخالق تشير إلى مبدأ العلية، و هو مبدأ عقلي فطر عليه الإنسان.

كما أن هناك جملة من الأدلة تقوم على الأقيسة العقلية و التي ينظر من خلالها في أحداث مشهودة للاستدلال بها على إمكان حدوث أمثالها مما هو مشهود. و من دلالة العقول أيضا ، دلالة الترجيح[3] لأن الممكن يتساوى وجوده و عدمه فمن الذي رجح هذا عن ذاك.

و من أمثلة هذه الأدلة في القرآن : قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ و قوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[4] و قوله تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[5]. و كذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[6].

---

[1] ق، الآية 37

[2] الأحقاف، الآية : 26.

[3] عبد المجيد النجار، **الإيمان بالله و أثره في الحياة**. ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي1987، ص 6163.

[4] المؤمنون، الآية : 91

[5] الطور، الآية : 35 .36

[6] يونس، الآيتان، 31-32

و كذلك قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي أوردها القرآن و عول على العقل في فهمها و الاستدلال بها على الخالق ووحدانيته سبحانه .

4.1 . التكامل الموضوعي و السلوكي :

لم يعرض القرآن الكريم موضوعات العقيدة معزولة عن الأحكام التشريعية و النظام الأخلاقي ، كما فصلت الدراسات الإسلامية بين الأحكام التشريعية التي اختص بها الفقهاء و النظام الأخلاقي الذي أهتم به الصوفية، والجوانب العقدية التي عني بها المتكلمون، بل تناولها جميعا في لحمة واحدة، أساسها العقيدة التي هي الركيزة في بنيان النظام الإسلامي كله .

أ . لقد ربط القرآن الجوانب العقدية بالعبادات..

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[2]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3]

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[1]

---

[1] النمل : الآيات : 60-64.

[2] المائدة، الآية : 55

[3] البقرة، الآية : 183

ب. و ربط الجوانب العقدية بالأحكام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[3]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[4]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[5].

وكذلك الأحكام المتعلقة بالزواج و الطلاق و أحكام و الحرب و العلاقة بين الحاكم والمحكوم ... الخ.

ت- و ربط الجوانب العقيدية بالأخلاق:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[6]

و قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[7]

و قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[8]

و قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[9]

كما يلاحظ هذا التكامل في الربط بين موضوعات العقيدة و السلوك ، فليست حقائق الأيمان معلومات نظرية تعرف، ثم تخزن في الذاكرة كمن يحفظ متنا في التوحيد يستدعي منه أبياتا عند الحاجة، كلا إنها حقائق يقتنع

---

[1] آل عمران الآية :97

[2] البقرة الآية : 278

[3] البقرة، الآية : 282.

[4] البقرة، الآية : 178

[5] النساء الآية 29

[6] النحل، الآية : 105

[7] التوبة، الآية : 119

[8] الإسراء، الآية : 23

[9] الأنفال، الآية : 27

بها العقل و ينفعل بها القلب فتتجلى في الإرادة و الجوارح أعمالا صالحة حية، بل إنه جعل الأعمال والأخلاق علامة الإيمان كما في الحديث الشريف. "وإذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان".

و من الأمثلة التي يعرض فيها القرآن الارتباط بين الإيمان و السلوك قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1]. و قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

و في سنة النبي صلى الله عليه و سلم قدر غير قليل من الأحاديث التي تربط الإيمان بالسلوك مثل قوله: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[3]. و كقوله: "من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه..."[4].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

4.1. التكامل بين مصادر الأدلة

يتميز نهج القرآن بجمعه بين ذات الإنسان باعتباره موضوع للدلالة على الله تعالى لأنه حينما يتعرف على نفسه من كل الجوانب فإنه سيقف على عدد كبير جدا من أدلة وجود و وحدانية خالقه سبحانه.

و بين الكون هذا الكتاب المنظور المشحون بالأدلة على الخالق و الذي ما تزال الكشوف العلمية تتوالى فيه مبرهنة على كمال الخالق و قدرته و عظمته بما يملأ النفوس إجلالا له خشية فيه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

---

[1] المؤمنون، الآيات: 1-11.

[2] التوبة، الآية: 72.

[3] رواه البخاري في صحيحه، (طبعة الأستانة)، ج1ص09

[4] المرجع نفسه، ج7، ص104

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1]

و بين آيات الوحي التي تنير الدروب أمام العقول و القلوب الباحثة عن الحق بإزالة كل الموانع و الحجب التي تمنعها و تعيقها عن الوصول إلى هدفها، و بإثارة كل ما من شانه أن يلهم معرفة الله، من المصادر المختلفة. والرائد في ذلك قوله سبحانه: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[2]. يقول الشيخ سعيد النورسي: ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل الفنون المدنية، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة و بافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا التعصب الذميم في ذاك". [3]

2. اليسر و الوضوح:

و الخاصية الثانية لمنهج القرآن في الاستدلال هي تميزه باليسر و الوضوح و الابتعاد عن الغموض و التعقيد وهذه ميزة ظاهرة يدركها كل من طالع مدونات علم الكلام و قلب نظرة في دلائل المتكلمين ويدركها أيضا كل من قلب صفحات الكتاب العزيز بقلب متأمل قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾[4].

و لقد تكررت هذه الآية أربع مرات في سورة القمر لحث العقول على التذكير و التدبر فهو ميسر لذلك. وسنحاول أن نجلي مكانا من الوضوح في منهج القرآن.

1.2. استعمال أسلوب ضرب الأمثال:

إن الكثير من المعاني المجردة و الحقائق الغيبية يعسر على الإنسان معرفتها أو التصدق بها فإذا سيقت في صورة مثل يشبه المعنى المجرد أو الغائب بشيء محسوس لعلاقة بينهما سهل فهمها و التصديق بها.

---

[1] فاطر، الآية : 28

[2] فصلت، الآية : 53.

[3] محمد سعيد النورسي، **صيقل الإسلام**، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي ط3 ، القاهرة : شركة سوزلر، 2002 ، ص 418

[4] القمر، الآية : 17

ومن أمثلة ذلك ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

أراد القرآن بيان فساد الإشراك بالله فقدمه في صورة مثل تصويري، لأن الإنسان بإمكانه تخيل صورة عبد مملوك لمجموعة من الناس تتجاذبه إيرادات مختلفة فهو ضائع بين أسياد مختلفين لا يدري لمن يستجيب أما المؤمن الموحد فهو بتلك سيد واحد يشعر بالطمأنينة معه لا يشعر بتشوش في ذهنه لاختلاف الأوامر و تعدد مصادرها.

ولا شك أن العاقل يختار أن يكون عبد الإله واحد لا أن تتجاذبه إرادات آلهة متصارعة.

2.2. استعمال القصص:

لا يخفى على أحد ما للقصة من دور في التأثير، و التغلغل في أعماق النفس، وهز المشاعر و العواطف وتحريك الضمائر، و تسكين القلوب، ولقد قص الله تعالى على رسوله قصص إخوانه الأنبياء ليثبت به فؤاده.

و لما كان للقصص هذا الدور وجدنا القرآن الكريم استعمله بشكل كبير، وضمنه حقائق الإيمان، وقيم الإسلام، و ما قصص الرسل و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام إلا أبلغ دليل على ذلك كقصة أم موسى، و ما فعلته به حتى ينجو من القتل، و قصة موسى مع فرعون، و قصته مع قومه بعد أن نجاهم الله تعالى، وكقصة يوسف عليه السلام وغيرهم. وسنضرب مثلا بقصة إبراهيم الخليل على نبينا و عليه الصلاة و السلام يقول الحق تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

إن هذه القصة مع قصرها إلا أنها استطاعت أن توصل إلى عقولنا بطلان الشرك، وبينت حمق الملك الجهول وقوة حجة إبراهيم عليه السلام كل ذلك بأيسر أسلوب و أبلغ عبارة يدركها العام و الخاص.

---

[1] الزمر، الآية: 29.

[2] البقرة، الآية 260.

وكل القصص القرآني ينضح دلالة على الله، وعبرا بمصائر المؤمنين الذين أيدهم الله ونجاهم، وكتب لهم السعادة الأبدية وبمصاير الكافرين الذين أهلكهم وكتب لهم الشقاوة الأبدية كذلك.

3.2. اعتماد أدلة القرآن على أمور بديهية:

حينما أراد الحق تبارك وتعالى إبطال زعم النصارى أن الله دعاهم إلى النظر، والتأمل في فريتهم فقال لهم: إن المعروف والمألوف والبديهي أن الأولاد يكونون من إجتماع الزوج بالزوجة، وأنتم قلتم إن المسيح ابن الله فأين زوجته وهو سبحانه ليست له زوجة، ولم يدع أحد ذلك فبطل قولهم تعالى الله عما يقولون علوا عظيما قال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1]. وكثيرا من أدلة القرآن تقوم على بداهة العقول.

4.2. اعتماد أدلة القرآن على المحسوس:

يحرر القرآن أدلته على المخلوقات المحيطة بالإنسان، بل ومن الإنسان نفسه، ولا يجنح به في أجواز الفضاء كما يفعل الفلاسفة والمتكلمون. فالدلائل والبراهين أغلبها مستمدة مما يتعامل الإنسان معه يوميا من ذلك قوله الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[2].

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾[3].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ...﴾[4].

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[5].

---

[1] الأنعام، الآية: 101

[2] الواقعة، الآيتان: 72-73

[3] الواقعة، الآيتان: 74-75

[4] عبس، الآية: 24

[5] النحل، الآية: 66.

5.2. قوة التحدي

ومن وضوح منهج القرآن و يسره أنه يلجأ إلى إسكات المعاند بأقوى برهان ، و من أقصر طريق تجنبا لكثرة الجدال الذي يورث التعصب و العناد ، من ذلك مثلا قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾[1] .

فأي تحد لهذه الآلهة المزعومة أقوى من هذا ، هل تستطيع خلق ذبابة مع صغرها و حقارتها بل إن هذه الآلهة أعجز عن استنقاذ واسترداد ما تأخذه هذه الذبابة منها أو ممن يعبدونها ، فأي ضعف مزر هي فيه فكيف يدعى أنها آلهة تعبد من دون الله .

و من التحدي القوي المعجز للخصام ما طلبه القرآن من مشركي العرب و من كل منكر حاجد معهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن . قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] .

و قوله تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3] . و قوله عز و جل : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[4] .

إن لهذه الآيات من التحدي ما يدفع المنكرين لبذل أقصى ما يستطيعون ولكنهم لن يفلحوا أبدا ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[5] .

---

[1] الحج، الآية : 73

[2] البقرة، الآية : 21-22

[3] الإسراء : الآية 88

[4] هود، الآيتان : 13-14 .

[5] الإسراء، الآية : 88 .

6.2. تقديم الأدلة في أسلوب بياني رفيع:

إن أسلوب القرآن يختلف تمام عن أسلوب الفلاسفة و المتكلمين- و نحن لا نقارن بين كلام الخالق و المخلوق. ولكن نريد بيان سمو أسلوب القرآن.

إن الفلاسفة و المتكلمين يقدمون أدلتهم في أشكال منطقية جافة معقدة لا يفهمها إلا الخاصة من الناس، بينما أسلوب القرآن فيصرف القول في إيجاز غير مخل مع غزارة و وضوح في المعاني.

يقول الشيخ أبو زهرة: "و في مناهجه البيانية المثل الأعلى للكلام النافذ إلى القلوب و الحجج الدامغة. . . حتى أن كل من كان يسمعه من المشركين يناله منه قبس. . . و نال أثره و جدانه، حتى لقد تناهى زعماؤهم عن سماعه لما رأوا من أثره في قلب كل من سمعه"[1].

و يقول القاضي عبد الجبار في كتابه المحيط في ذكر إعجاز القرآن ما لفظه: " و اتفق فيه أيضا استنباط الأدلة التي توافق العقول و موافقته ما تضمنته لأحكام العقل على وجه يبهر ذوي العقول و يحيرهم، فإن الله سبحانه بينه على المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعاناة و جهد بألفاظ سهلة تحتوي على معان كثيرة"[2].

و قال القاضي عياض في الشفاء في ذكر إعجاز القرآن: "و منها جمعه لعلوم و معارف لم تعهد العرب عامة و لا محمد صلى الله عليه و سلم قبل بنبوته خاصة بمعرفتها، و لا القيام بها، و لا يحيط بها أحد من علماء الأمم، ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع و التنبيه على طرق الحجج العقلية و الرد على فرق الأمم ببراهين قوية، و أدلة بينة سهلة الألفاظ، موجزة المقاصد رام المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها.

فلم يقدروا عليها كقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى[3] و ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[4]

---

1 محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى: ص 388

2 نقلا عن: محمد بن إبراهيم الوزير، ترجيح أساليب القرآن عن أساليب اليونان، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية 1984، ص 19.

3 يس، الآية: 81

4 يس، الآية: 79

و قوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]"[2] و يقول الزركشي :" أعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين و الأدلة و ما من برهان و دلالة و تقسيم و تحديد شيء من كليات المعلومات العقلية و السمعية ألا و كتاب الله تعالى قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين :

أحدهما بسبب ما قاله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[3]

الثاني أن المائل إلى دقيق المحاجّة هو العاجز عن إقامة الحجّة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الإغماض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، و لم يكن ملغزا فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجل صورة تشمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم و يلزمهم الحجة، و تفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطباء .

و يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "ولو أن المتكلمون الذين عانوا بإثبات العقائد، والجدل فيها سلكوا ملك القرآن، وساروا في سمته لكان علمهم أكثر فائدة وأدنى جني، وأينع ثمار و لكنهم سلكوا مسلك المنطق و يورده، والبرهان و أشكاله، فكان علمهم للخاصة من غير أن يفيد العامة، فإن العامة يدركون دقائق القرآن على عقولهم ولا يدركون شيئا من أشكال الأقيسة"[4] .

و سنضرب مثلا نقارن فيه بين دليل القرآن الكريم و دليل المتكلمين في موضوع الوحدانية . يقول ابن رشد وهو يشرح دليل التمانع عند الأشاعرة: "قالوا لو كانا إلهين اثنين فأكثر لجاز أن يختلف و إذا اختلف لم يخل من ذلك من ثلاثة أقسام لا رابع لها : إما أن يتم مرادهما جميعا و إما ألا يتم مراد واحد منهما و إما أن يتم مراد أحدهما و لا يتم مراد الآخر قالوا: و يستحيل ألا يتم مراد واحد منهما لأنه لو كان الأمر كذلك لكان العالم لا موجود و لا معلوما ،

---

1 الأنبياء، الآية: 22

2 محمد بن إبراهيم الوزير، ترجيح أساليب القرآن، ص20

3 إبراهيم، الآية: 4

4 محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 387 .

ويستحيل أن يتم مرادهما معا، لأنه كان يكون العالم موجودا معدوما، فلم يبق إلا أن يتم مراد الواحد و يبطل مراد الآخر، فالذي بطلت أرادته عاجز و العاجز ليس إلاه"[1].

و لا يخفى على أحد ما في هذا الدليل من غموض و صعوبة و لا يستطيع فهمه إلا الخاصة، يعلق ابن رشد على هذا الدليل بقوله: "و أما ما تتكلفه الأشعرية من الدليل الذي يستنبطونه من هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2] وهو الذي يسمونه الدليل الذي يسمونه دليل الممانعة فشيء ليس يجري مجرى الأدلة الطبيعية و الشرعية.

أما كونه ليس يجري مجرى الطبع فلأن ما يقولون في ذلك ليس برهانا و أما كونه لا يجري مجرى الشرع فلأن الجمهور لا يقدرون على فهم ما يقولون من ذلك فضلا عن أن يقع لهم به إقناع"[3]. هذا دليل طائفة من المتكلمين في إثبات الوحدانية لله تعالى و هو كما قال عنه ابن رشد: لا يفهمه العموم فضلا علة أن يقنعهم.

أما دليل القرآن في نفس الموضوع فغاية في الوضوح و اليسر، يأخذ كل شخص منه بنصيب قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4].

و فضل كلام إله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

3- الواقعية:

و المقصود بالواقعية هنا ما لهذا المنهج في موضوعه و أسلوبه من صلة بواقع المسلمين.

1.3. واقعية المضمون:

إن الناظر للحقائق الإيمانية التي يبشر بها القرآن و يقيم الأدلة عليها يراها بعيدة عن كل تجريد و غموض، يدركها كل من سمعها، فهي تتميز بتفاعلها السريع مع واقع المخاطبين بها لتوافقها مع الفطرة الإنسانية التي أوجد الله

---

[1] ابن رشد، مناهج الأدلة، ص 158

[2] الأنبياء، الآية: 22

[3] المرجع السابق. ص 158

[4] الأنبياء، الآية: 22

تعالى كل مخلوق عليها .

2.3 . واقعية الأدلة :

إن الأدلة التي يسوقها القرآن للدلالة على وحدانية الله، و سائر صفاته مستمدة من واقع المخاطبين، فعندما نفى الشريك عنه قال سبحانه و تعالى : ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[1] .

و قد كان من عادة العرب امتلاك العبيد ، فقال لهم : هل يرضى أحدكم أن يشاركه مملوكه فيما يملك ؟ و لا شك أنهم لا يقبلون فكذلك الله تعالى لا يرضى أن يشاركه غيره في عباده، فكان دليله من واقع حالهم .

و هكذا فعل إبراهيم الخليل عليه السلام عندما علق الفأس على كبير الآلهة المزعومة، و قال لهم : فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون، إنه أراد منهم أن يقفوا على عجز آلهتهم بالمشاهدة العيانية من الواقع المحسوس، هذا من جهة .

و من جهة أخرى فإن القرآن وجه أنظار قارئيه و بشكل ملفت إلى أنفسهم و العالم الرحب من حولهم لقراءة السنن التي يسيران عليها ، و استمداد الأدلة منهما بما يملأ القلوب يقينا .

يقول الأستاذ عبد المجيد النجار : "و ليس هذا المنهج بدعا في الثقافة الإسلامية بل هو منهج قديم فيها فالقرآن الكريم قد بني خطابه على أصول الواقع الكوني و الإنساني، و هو ما يبدو في استخدام الآيات الكونية مقدمات في الاستدلال على حقائق العقيدة و استخدام العبر التاريخية باعتبارها وقائع إنسانية في الإقناع بما يشير من تعاليم تتعلق بمصير الإنسان و غاية وجوده، والانطلاق من المصلحة العلمية للإنسان على التسليم بأسس العقيدة"[2]

---

[1] الروم : الآية : 28

[2] عبد المجيد النجار ، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 158

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

3.3. واقعية الهدف:

توجه القرآن منذ الأيام الأولى لنزوله إلى الواقع المخالف للتوحيد قاصدا تغييره. و قد سجل في موضوعية عالية مقولات الأدباء و المذاهب المخالفة له ثم كر عليها مبينا خطأها.

إن المنهج القرآني لم ينكر هذا الواقع مع شدة انحرافه، بل سعى إلى تصحيحه و الارتفاع بالإنسان فيه إلى مستوى الإنسانية الحقة حين دعاه ليمارس أخص منحة إلهية لديه و هي التفكير كي يؤسس بها معارفه على أسس صحيحة و سليمة.

إن القرآن الكريم يزود قارئيه و المؤمنين به بطرق من الحجاج لمواجهة ما يستجد من شبهات تثار أمام قضايا العقيدة يستطيع العقل استنباطها منه، يقول الأستاذ عبد المجيد النجار: "و ليس ما ورد من تنجيم في النزول إلا إرشادا إليها يتجاوز الحالة الخاصة المتمثلة في تحويل الجاهلية من واقع جاهليتهم الباطلة إلى واقع الحقيقة الإسلامية ليكون مبدأ عاما فبمنهجية الصراع مع الواقع الباطل يقوم على جعل ذلك الواقع – بتدبره و استيعاب ملابساته وعلله- عنصرا أساسيا في خطة رفعه و إحلال الحق محله"[1].

4. منهج تربوي:

إن هدف القرآن الكريم هو صياغة النفس البشرية على أساس خلقتها الأولى التي يمكن أن تكون قد تعرضت للانحراف.

و لتحقيق هذه المهمة سلك منهجا تربويا فريدا كان له أبلغ الأثر و فيما يلي بعض معالمه:

1.4. اعتماد أسلوب المحاورة:

و هو أسلوب تربوي معروف يقوم على الأخذ و العطاء بين طرفين لحل خلاف أو معالجة مشكلة أو إيصال فكرة باعتباره نافذة يطل منها الإنسان على ما في داخل الآخر.

---

[1] المرجع نفسه، ص: 166

و لما كان القرآن خاتم الكتب السماوية فقد جاء يعلم الإنسان كيف تكون المحاورة طريقا للفكر الصحيح والعقيدة القويمة بالقناعة الذاتية القائمة على الحجة و البرهان، فطرح فكرته في ميدان الصراع ليثير تساؤلات ،ويقوم إجابات و يطرح بدوره أسئلة يطلب لها جوابا، كل ذلك من أجل أن تدخله فكرته في وعي الإنسان بعمق و تقتحم أفكاره بقوة حتى يحصل التفاعل معها .

و قد سجل القرآن الكريم مفردات هذا الحوار حول العقيدة بأحسن بيان و أبلغ عبارة مع الملحدين و مع المنكرين للمعاد و النبوة و مع أهل الكتاب .

سجل القرآن حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم بدءا بنوح و قومه إلى نوح و عاد و صالح و ثمود و إبراهيم و قومه ،و موسى و قومه، انتهاء بخاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و سنورد مثالا من محاورة نوح مع قومه .

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[1]

إنه يفتح أمامهم باب الحوار من أجل أن يقودهم إلى الإيمان و ينذرهم من عذاب الله و لكنهم عوض مناقشة الفكرة نظروا إلى الموضوع من زاوية أخرى، فقالوا ما الذي يميزه علينا و هو بشر مثلنا، ثم لماذا نتبعه و كل أتباعه من أراذل القوم فلا يتشرف الإنسان بصحبتهم .

لقد كانت هذه كافية ليحكموا على نوح عليه السلام فقالوا له "بل نظنكم كاذبين" حكموا بكذبه دون مراعاة للعقل و أحكامه .

و بدأ نوح الحوار من جديد للإجابة على إشكالاتهم من بشرية الرسول و المستوى الاجتماعي لأتباعه فقال:

---

[1] هود، الآيات : 25-27.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

هاهو نوح يجيب على اعتراضاتهم السابقة بالإقرار بأنه بشر لا يملك خزائن الأرض فيطمع أحدا و لا يعلم الغيب فيطلع على مستقبل أحد فيغريه بالإتباع، و لا يرتفع إلى مستوى الملائكية فيخيف أحدا، بل هو بشر خصه الله بالرسالة و أيده بالمعجزات فما عليهم إلا تفتيح عقولهم ليقتنعوا و لن يجبرهم أحد على الإيمان.

و تستمر المحاورة فيقول لهم إن كان إنكاركم ، و إعراضكم هو خوفكم على أموالكم منا فعليكم أن تطمئنوا فإني لا أطلب أجرا على دعوتكم "إن أجري إلا على الله".

أما ضعاف الناس الذين اتبعوني فإني لن أطردهم و ما ذنبهم ؟ و هم المؤمنون الذين سيلاقون ربهم فماذا أقول لربي إذا لقيته و من يملك أن يوفر لي الحماية و الأمن إن أراد الله أن يعذبني بإبعادهم. فلما لم يجدوا حجة واحدة لجئوا إلى التحدي. ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2].

فما كان منه بعد رفضهم دعوته و إنكارهم للحجج التي جاء بها إلا أن رد على طلبهم السابق فقال : ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[3]. فالله هو الذي يملك أمر العذاب و ليس أحد غيره و لا تملكون مقاومته إن وقع. ثم يعلم الله تعالى رسوله نوح بأنه لن يؤمن أحد فيقول: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ

---

[1] هود، الآيات : 28-31.

[2] هو، الآية : 32

[3] هود، الآية : 33.

﴿إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1]. وهكذا تنتهي المحاورة التي عرضت فيها قضية الإيمان و دلائلها مبرزة اعتراضات القوم و الإجابة عليها، و المحاولة المستمرة لهدايتهم و لكن استحكام الأهواء منعهم من إبصار نور الحقيقة فاستحقوا الجزء الإلهي العادل.

2.4. اعتماد أسلوب القصص.

و هو أسلوب تربوي يعتمد على سرد الأحداث التاريخية محملة بجملة من الأفكار و القيم من شأنها أن تثير العواطف، و تحرك الأذهان و تمتاز القصص بسهولة تغلغله في النفوس، و تأثيره عليها و إحداث الاقتناع بمضامينها والاعتبار بنتائجها، و هذا نلمسه في القصص القرآني. و لأهمية القصة من الناحية التربوية وجدنا القرآن الكريم يورد عددا هائلا منها.

لقد حكى القرآن عن الأنبياء الكرام، و قصة قابيل و هابيل و قصة قارون، و صاحب الجنة، و قصة مؤمن آل فرعون و غير ذلك. و لقد كان لهذا القصص مع الأسلوب البياني المشرق للقرآن الكريم أبلغ الأثر في نفوس القارئين و المستمعين، و استطاع أن يوصل حقائق الإيمان و دقائقه إلى قلوب و عقول الناس بلا عناء. لقد ذكرنا مثالا لذلك لقصة يوسف في فصل سابق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

يقو الإمام أبو زهرة: "إنما قصص القرآن هو قصص لأمور واقعة يساق للعبر و إعطاء المثلات و بيان مكان الضالين و منزلة المهتدين. فهو قصص للعبرة بين الواقعات لا لمجرد المتعة من الاستماع و القراءة و لذلك قال الله تعالى في آخر قصة يوسف عليه السلام: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾[2][3]

3.4. اعتماد أسلوب التكرار:

لما كانت حقائق العقيدة هي الأساس الذي يبنى عليه الدين فقد كرر القرآن الكريم الحديث عنها و الاستدلال عليها

---

[1] هود، الآية: 36

[2] يوسف، الآية: 111.

[3] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص162

حتى إنك لا تكاد تطوي صفحة من المصحف الشريف إلا و الحديث عن الله تبارك و تعالى جزء مهم منها .

يقول سعيد النورسي متحدثا عن التكرار في القرآن : " حتى نرى إنه يعبر أكثر من عشرين مرة عن حقيقة التوحيد صراحة أو ضمنا في صحيفة واحدة من المصحف و ذلك حسب اقتضاء المقام و لوازم الحاجة إلى الإفهام "[1] .

و التكرار عملية تربوية هامة هدفها الأساسي ترسيخ المعاني في العقول و القلوب و أي معنى أعظم من الإيمان بالله يحتاج أن يرسخ في قلوبنا ؟ . إن التكرار الوارد في القرآن الكريم لآيات التوحيد هدفه تذكيرنا الدائم بنعم الله علينا و فضله على الناس أجمعين خلقا و تدبيرا . ثم إن الإنسان قد يتبلد إحساسه لأنه مشغول بمعاشه و شهواته أو بمرض في نفسه كشعور بالاستكبار و الاستغناء أو بإلفه لما يحدث أمامه من أفعال معجزة، من أجل ذلك جاء التكرار لآيات التوحيد و دلائله في القرآن تنبيها لهذا الإحساس المتبلد و إيقاضا له .[2]

و من فوائد التكرار لصفات الله تعالى في القرآن أنها تغرس محبته عز و جل يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : "فإن الصفات هي التي تثير الحب و تبعث الحنان و توجد الأشواق ، و ذلك سر تفصيل القرآن الذي يعبر عنه بعض علماء الكلام و أئمة الإسلام (**بالنفي المجمل و الإثبات المفصل**) فإن الإثبات هو الذي ينبع منه الحب و يفيض منه الحنان و تنبعث به الأشواق و تتغذى به العاطفة، فإذا كان النفي رائد العقل كان الإثبات رائد القلب و لولا هذه الصفات العليا و أسماء الله الحسنى التي نطق بها القرآن و وردت بها السنة . . . لكان هذا الدين خشيبا جامدا لا يملك على أتباعه قلبا و لا يثير فيهم عاطفة"[3] .

4.4 . اعتماد أسلوب المثل:

لما كان هدف القرآن إفهام المخاطبين و إقناعهم بحقائق الإيمان، و كان بعضها خفيا على بعض الإفهام فإن القرآن الكريم استعمل أسلوب ضرب الأمثال و حقيقتها تشبيه أمر خفي بأمر جلي حتى يصير الحس مطابقا للعقل

---

[1] بديع الومان سعيد النورسي، **الكلمات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ط2، القاهرة، مطبعة المدني، ص 530.

[2] محمد قطب، **ركائز الإيمان**، ط1، الرياض، مركز الدراسات و الإعلام، 1997، ص11 و **ما بعدها**.

[3] أبو الحسن علي الحسني الندوي، **الأركان الأربعة**، ط1 ، دمشق، دار القلم، 1999، ص22.

وذلك النهاية في الإيضاح[1] فهي وسيلة تساعد على توضيح المعاني بأبلغ عبارة و أقصرها و تتميز بثبوتها في الأذهان و تأثيرها على النفوس. يقول الأستاذ محمد جابر الفياض : "الأمثال طرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها و تكشف عنها و تصورها للإفهام"[2]. ويقول الحكيم الترمذي :" فالأمثال من معدن الحكمة، ضربها الله للمؤمنين ليعاينوا بها ما غاب عنهم. . . ضربت مما يشاهده الناس فإدراك هذه الصورة المشاهدة إنما يعين على إدراك ما غاب فيجعله حاضرا معاينا"[3].

و لما كانت للأمثال كل هذه الأهمية في التوضيح و جدنا القرآن قد استعملها و نبه عليها ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾[4] و من أمثلة الأمثال المضروبة في القرآن قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[5]

و مفاد المثل : كيف يسوى بين العبد المملوك الذي لا قدرة له على التصرف و سيده المطلق التصرف ؟ وكيف يسوى بين الأبكم العاجز الذي هو عبء على مولاه و سيده ، و بين رجل قادر آمر بالعدل و هو على صراط مستقيم، و هذا مثل للإله الواحد القادر الرزاق، الموصوف بكل صفات الكمال، كيف يسوى بآلهة مزعومة هي ذاتها مملوكة لا تقدر على شيء لا خلقا و لا رزقا، بل هي عبء على أصحابها .

5.4. منهج لا يقوم على الإكراه:

يأبى القرآن الكريم أن يأسس العقيدة في النفوس على أساس الإكراه أو الضغط بل أراد أن تكون عن تأمل هادئ

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط بيروت: دار الفكر ، 1990، ج1، ص 293.

[2] محمد جابر الفياض، **الأمثال في القرآن**، ط2. الرياض، الدار العالية للكتاب الإسلامي،1995، ص86.

[3] نقلا عن عبد المحسن الحسيني، **المعرفة عند الحكيم الترمذي**، القاهرة طبعة دار الكتاب العربي، ، د ت، ص147.

[4] الروم، الآية :58..

[5] النحل، الآية : 75-76.

واقتناع تام وأعلنها صراحة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1]. كما في قوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه و سلم :﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2]. يقول الزمخشري عند تفسيره للآية :"أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار و القسر و لكن على التمكين و الاختيار"[3].

و هذه الفكرة تنسجم مع فطرة الإنسان لأن الإيمان من نشاطات الجانب المعنوي في الإنسان و هو عمل من أعمال القلوب التي لا سلطان لأحد عليها إلا الله. كذلك لا يصلح أبدا حمل الناس على شيء من العقائد بالإكراه.

وكما رفض القرآن الإكراه المادي، فإنه رفض الإكراه المعنوي إذ لم يشأ أن يؤسس الإيمان بواسطة الخوارق التي تدهش العقول، و تأخذ بالألباب في لحظة خاطفة بعيدة عن التأمل قال تعالى : ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[4].

و المقصود من الآية أن الله لم يرد أن يؤمن الناس تحت تأثير الدهشة لأنها لا تدوم طويلا، فإذا زال سببها زالت، و حتى إن لم يزل تحول إلى شيء مألوف بحكم التعود كغيره من مئات الظواهر الكونية التي هي في حقيقتها معجزة و لكن ألفتنا لرؤيتها جعلتها أمرا عاديا لا يثير دهشة و لا تعجبا[5].

5. منهج يورث اليقين:

يهدف منهج القرآن إلى إثبات العقائد الإيمانية بشكل يقيني في النفوس بعيدة عن كل الشكوك، والأوهام والخرافات و يظهر ذلك في :

---

[1] البقرة، الآية :265.

[2] يونس، الآية : 99.

[3] الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 115.

[4] الشعراء، الآية : 4.

[5] أنظر تفصيلا لذلك : طه الدسوقي، **عقيدتنا و صلتها بالكون و الإنسان و الحياة**، ص 104 و ما بعدها.

1.5 . رفضه للظن :

لأن الظن لا يغني من الحق شيئا ، و لا يؤسس عليه حكم صحيح، بل يبقى صاحبه متخبطا أمام كل شبهة ويندم في مستقبل الأيام و يتمنى لو تبين الأمر مليا قال تعالى :﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[1] .

و حدثنا القرآن عن معتقد مشركي العرب في اتخاذ آلهة من دون الله فقال جل شأنه :﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾[2] .و بعدها بقليل يزيد الأمر تأكيدا فيقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[3] .

وفي كلمة واضحة يحذر القرآن من اتباع الظن و يعلم أنه شأن أكثر الناس يقول تعالى :﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[4] .

2.5 . رفضه للاعتقاد والقول بغير علم :

نص القرآن الكريم قارئيه عن قول و اعتقاد مالا يعلمون لأن ذلك لا يورث معرفة صحيحة و إنما يساهم في نشر معلومات قد تكون خاطئة قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

---

[1] الجاثية، الآيتان 31،30.

[2] النجم، الآيات : 19-22.

[3] النجم، الآيتان : 28،27.

[4] الأنعام، الآية: 116.

عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[1] .و بعد هذه الآية بكلمات قليلة يقول الحق تبارك و تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾[2]

لقد بينت الآية الكريمة أن القول بغير علم يمكن أن يؤدي إلى نتائج كارثية كادعاء أن مع الله إلها آخر الذي يستتبع الخلود بنار جهنم .وقد رد الله تعالى قول الدهريين الذين أنكروا الإله و اليوم الآخر فقال : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[3].

إن القرآن الكريم يرد كل لا يبنى على معرفة صحيحة و دليل مقبول لأن الهدف هو الحصول على اليقين الذي يمنع صاحبه من كل انحراف و كل نتيجة خاطئة، قال تعالى : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

ويطلب القرآن الكريم صراحة من المشركين أن يبينوا مصدر دعاويهم فيقول :﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[5]

5.3 – طلب الحجة و البرهان:

وفي رحلته إلى اليقين و المعرفة الحقة يرد القرآن، كل قول غير مدعم بالدليل و قد قدم لنا هذا الأصل المهم في شكل عملي حينما رد على أهل الكتاب دعواهم ، قال تعالى :﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1]

---

[1] الإسراء،الآية : 36.

[2] الإسراء الآية : 39 .

[3] الجاثية ، الآية : 23 .

[4] النحل ، الآية :101 .

[5] الأنعام ، الآية : 148 .

و يحدثنا القرآن الكريم عن دعاوى خطيرة قالها أصحابها و هي خالية من كل دليل فردها عليهم و طلب البرهان و الدليل : قال تعالى : ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. لذلك شدد القرآن الكريم و كرر التحذير من إلقاء الكلام على عواهنه و عدم البرهنة عليه نقرأ ذلك في مثل قوله سبحانه : ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[3].

و قوله جل شأنه : ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[4].

و في مثال حي قدم القرآن الحجج و البراهين على وحدانية الله و في الوقت نفسه طالب المشركين أن يبرهنوا على دعواهم كذلك قال تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[5]. ما أجملها و ما أقواها من آيات قدم فيها أكثر من عشرة أدلة على صدقه ثم ختمها بتحد صريح " هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " فإن لم يأتوا بالبرهان فهم الكاذبون فعلا .

---

[1] البقرة ، الآية : 110 .

[2] يونس ، الآية : 68 .

[3] الأنبياء ، الآيات : 21 ، 24 .

[4] المؤمنون، الآية : 118.

[5] النمل، الآيات : 62-66.

ويدخل ضمن طلب الحجة والبرهان رد كل المقولات الموروثة عن الآباء واتباع الأهواء، واتباع السادة والكبراء. فلا سلطان لأحد إلا سلطان الحجة والبرهان. يقول الشيخ محمد حسين فضل الله: "وكان من أوليات هذا المنهج أن يطلب الإسلام من الناس الإيمان به على أساس القناعة الذاتية من خلال ما يقدمه لهم من أدلة وبراهين على الحق في دعوته معتبرا أن ذلك هو السبيل الصحيح للعقيدة الحقة رافضا التقليد في العقيدة سواء في ذلك عقيدته وعقيدة الآخرين لأن في التقليد ابتعادا عن الخط السليم للتفكير وإبقاء للخطأ والضلال"[1].

6. منهج نقدي:

أحدث القرآن بنزوله ثورة على المفاهيم السائدة، وعلى العقليات المكبلة بمسلمات المألوف والموروث عن الآباء متمثلا في الكثير من الأوهام والخرافات والأساطير.

ولم يكن من السهل أن يتخلى المجتمع الجاهلي أو أي مجتمع آخر عن عقائده ونظمه – باعتبارها مقومات كيانه– خاصة أنه أمام دعوة جديدة تشعر بعزمها على تغيير كل موجود وصبغ الحياة بصبغتها الخاصة لذلك وجد القرآن معارضة عنيفة، ورد فعل قوي، قوة التوتر الذي يحدث بسبب عدم الانسجام بين مضمون القديم وبرنامج الدعوة الجديدة.

من أجل ذلك، احتوى القرآن الكريم على الأساليب الكفأة والفعالة، والوسائل الموصلة لتحقيق ما يهدف إليه من تغيير. ولما كان القرآن قد نزل ليؤسس عقيدة أساسها التوحيد والتنزيه لخالق الكون ومدبره وإفراده بالعبادة، كان من الضروري البدء أولا بتنظيف العقول والقلوب بإيقاضها من نوم طويل، تحريك كل مدارك الإنسان كي تفحص وتحلل وتلاحظ ما يوجد في معتقدها القديم فتطرحه وراءها ظهريا، ثم تقبل على العقيدة الجديدة بالمنهج ذاته. ولا نحتاج إلى كثير عناء لندرك المنهج النقدي للقرآن الكريم فكل المخاطبات التي توجهت إلى بني البشر على لسان رسلهم بدءا بالنبي نوح عليه السلام، وانتهاء بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام تتضمن ذلك.

---

[1] محمد حسين فضل الله، **الحوار في القرآن**، ط3، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات 1985، ص30.

لقد حكى القرآن أسباب كفر قوم نوح عليه السلام و بين فساد مسلكهم، و تهافت اعتراضاتهم على دعوة نبيهم فقال جل شأنه : ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[1] . فمرتكزاتهم في رد دعوة نبيهم هي :

1- أنه بشر مثلهم فما الذي يميزه حتى يكون له هذا المركز المهم وهو البلاغ عن الله .

2- ما الذي يغري في اتباع دعوة ، وأنصارها و رجالها من أراذال القوم الذين لا يتشرف الإنسان بأن يكون معهم في صف واحد ، فإما أن يطردهم نوح و إلا فإنهم لن يتبعوه .

3- ما هي الميزة الاجتماعية و المالية لنوح و أتباعه حتى يكونوا متبوعين .

و بالتالي فإن الرد المنطقي سيكون "بل ظنكم كاذبين" لأن مقاييس الصدق و الكذب ليست المحاكمة العقلية و النظر في الحجج لدعوة نوح وإنما هي مقاييس المال و المكانة الاجتماعية . . .الخ .

و بعد ذلك يقوم النص القرآني بتصحيح تلك المقاييس الخاطئة التي على أساسها ردت الدعوة . ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ(28) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ(29) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2] .

أما موضوع البشرية فإن نوح عليه السلام يؤكده ولا ينفيه و لكنه ينبه على ما آتاه من رحمة الرسالة و ما زوده بالأدلة عليها ، فما عليهم إلا فتح عقولهم ليهتدوا دون أن يكرههم أحد ، و دلل على بشريته بأنه لا يملك خزائن الأرض

---

[1] هود، الآية : 27.

[2] هود، الآيات : 28-31.

ليغري الناس فيتبعوه طمعا، و لا يعلم الغيب ليغري الناس فيتبعوه لإطلاعه على المستقبل، و أنه ليس بملك يخافه الناس و يخضعون له.

ثم يمضي القرآن على لسان نوح ليقوض الأساس الثاني فيقول: إن كان إعراضكم بسبب ما ترون من قلة المال و المكانة وتميزكم بها علينا فاطمأنوا فلسنا طلاب أجر إن أجري إلا على الله.

أما أساسهم الثالث و هو أن أتباعه من أراذل الناس، فيعلمهم أنه لن يطردهم، و كيف يطردهم و قد آمنوا بالله و سيلاقونه فما تكون حجته يومئذ، و من يستطيع منهم أن يؤمنه من عذاب الله إن فعل ذلك، و أضاف بأن الله لا يزدري الناس لأشكالهم أو مالهم أو مركزهم بل لما في أنفسهم فإن كان خيرا فإنه سيجزيهم على نياتهم و أعمالهم.

و لما لم تكن لهم حجة لجئوا إلى التحدي فقالوا: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[1].

- و هكذا عرض القرآن دعوة نوح عليه السلام لقومه و بين موانع قبولها عندهم ورد عليهم جميعا على لسان نبي الله نوح عليه السلام و بذلك قامت عليهم الحجة و استحقوا الجزاء الإلهي العادل.

و هكذا نلمس المنهج النقدي للقرآن في حكايته ما كان من إبراهيم عليه السلام مع قومه، وما كان من موسى مع فرعون مرورا بجميع الأنبياء، حتى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي سنورد مشهدا له مع قومه و نبين نقد القرآن الكريم لأسباب كفرهم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2].

---

[1] هو، الآية : 32

[2] الأحقاف، الآية : 3.

لقد طرح الموضوع أمامهم بشكل بسيط يدركه كل من له ذرة عقل يقول لهم : إذا كانت هذه الآلهة المزعومة آلهة حقا ، فلا بد أن تقوم بعملية الخلق و إلا ما كانت آلهة، فإن لم تخلق بطلت دعواكم و لم تعتبر آلهة . و إن كانت قد خلقت فأين الدليل ؟ أين مخلوقاتها في الأرض، و أين مخلوقاتها في السماء ؟إيتنا الدليل من كتاب نقرؤه أو من علم سابق ننظر فيه ؟ و لكن الواقع أثبت عجزهم، فلم يستطيعوا أن يقدموا خلقا أو كتابا أو إشارة من علم، فلم يبق إلا أنهم غير صادقين في دعواهم .

يقول الزمخشري معلقا على الآية "ايتوني بكتاب من قبل هذا " يقول : "أي من قبل هذا الكتاب و هو القرآن يعني أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد ، و إبطال الشرك و ما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا و هو ناطق بمثل ذلك . فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله . " أو أثارة من علم" أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين"[1] .

– و هكذا حينما نتأمل سائر الآيات التي تثبت الوحدانية لله و سائر صفاته تعالى نلمس نهج القرآن النقدي لكل ما يخالف ذلك بدءا بالملحدين الدهريين الذين يقولون ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا و ما يهلكنا إلا الدهر مرورا بالمشركين ،و الكافرين من قوم نوح و قوم عاد و قوم صالح و قوم إبراهيم، و ما كان من فرعون مع موسى وما كان من اليهود في ادعائهم أنهم أبناء الله، و ما كان من النصارى من ادعائهم أن المسيح عليه السلام هو الله و ابن الله وأن الله ثالث ثلاثة تعالى عن ذلك . و ما كان من مشركي العرب الذين اتخذوا أصناما آلهة .

فقد بين القرآن في وضوح تام مرتكزات هؤلاء جميعا التي أقاموا عليها كفرهم وإشراكهم ثم هدمها جميعا بالبرهان الساطع والدليل القاطع . ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[2]

---

[1] الزمخشري، الكاشف، ج3، ص : 441.

[2] الأنعام، الآية : 149.

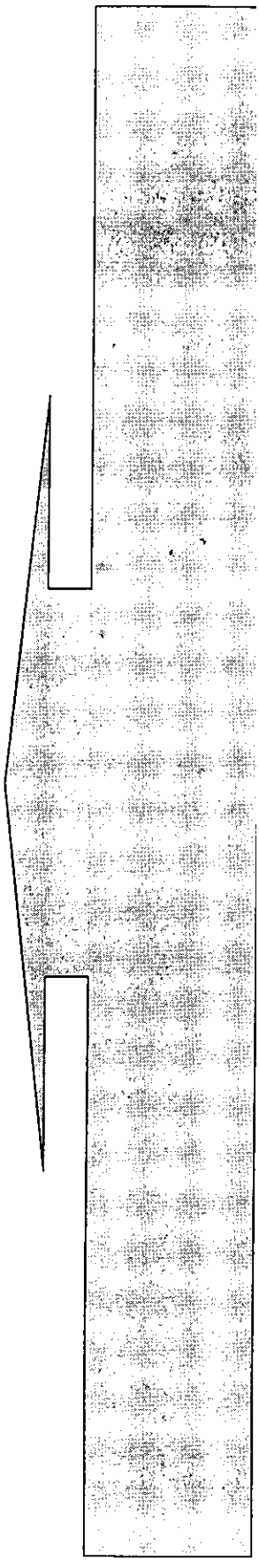

الخاتمة

و أخيرا و بعد هذه السياحة الطويلة مع القرآن الكريم في الآفاق و الأنفس، و محاولة الوقوف على منهجه في الاستدلال، فإنه يمكن تلخيص نتائج البحث فيما يلي:

أولا: إن منهج القرآن الكريم في الاستدلال لا يخص قوة إدراكية بعينها في الإنسان يقتصر عليها دون سواها، بل يخاطب الإنسان بكليته، و يستنفر فيه كل قواه الإدراكية من مبادئ عقلية، وأدوات حسية، و وجدان باطني و غرائز فطرية، فتتفاعل جميعها و يقوم كل منها بدوره لإحداث الاقتناع بالعقيدة الإيمانية.

ثانيا: إن منهج القرآن في الاستدلال على وجود الله،و صفاته يعتمد النظر في الكون آفاقا وأنفسا ذلك ما يسمح بإثراء الأدلة باستمرار، فكلماإكتشف الإنسان من العلوم الكونية ،أو الإنسانية يصبح رصيدا استدلاليا في صالح الإيمان بالله ،وكلما زادت معرفتنا بالكون و قوانينه زادت معرفتنا يقينية.

ثالثا: يتميز منهج القرآن في الاستدلال بمناسبته للناس كافة، فهو لا يخاطب فئة دون أخرى، بل يجد فيه الجميع بغيتهم فهو يلبي حاجه المنكر الجاحد، و حاجة الشاك الحائر، و حاجة المقلد الغافل فهي أدلة تناسب الجميع و تبلغهم المقصود.

رابعا: إن منهج القرآن يدعو الإنسان إلى الإيمان، فإنه يحرره من كل العوائق، كالتقليد، و الظن، و إتباع الهوى و يزوده بالقيم، والوسائل التي توصله إلى النتائج الصحيحة، و على رأسها الإيمان بالله الواحد المتصف بكل كمال.

خامسا: إن منهج القرآن في الاستدلال على الحقائق الإيمانية لا يبرهن عليها، كحقائق نظرية مجردة، بل يعرضها وفق نظرة شاملة تجمع العقيدة بالعبادة، وبالمعاملات، و الأخلاق لا تنفك إحداها عن الأخرى. حتى تصير حقائق الإيمان صبغة للحياة كلها، و يشارك الإنسان بقية الموجودات الكونية تسبيحها لله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

سادسا: إن من القواعد الذهبية في منهج القرآن الاستدلالي في مجال العقائد، إفساحه المجال أمام العقل ليبرهن على وجود الله تعالى و بعض صفاته، لكنه يسعفه في المواطن التي ليست من اختصاصه حتى لا يكون عرضة للزلل و الاضطراب. و هذا ما يثبته تاريخ الملل و الديانات.

سابعا: إن منهج القرآن ليس منهجا تقريريا خطابيا يعرض حقائق الإيمان فحسب، بل هو منهج حواري جدلي مع المنكرين و المشركين

و أهل الكتاب يبين لهم بالحجة و البرهان خطأ مسالكهم و يقودهم إلى الإيمان عن اقتناع.

هذا مبلغ جهدي في دراسة منهج القرآن في الاستدلال و يعلم الله أنني لم آل جهدا في سبيل إضافة جادة أخدم بها كتاب ربنا و إني لأرجو أن أكون بهذا الجهد قد أمطت اللثام عن بعض صوى منهج القرآن في الاستدلال فإن أك قد وفقت فمن الله وحده و إن كانت الأخرى فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

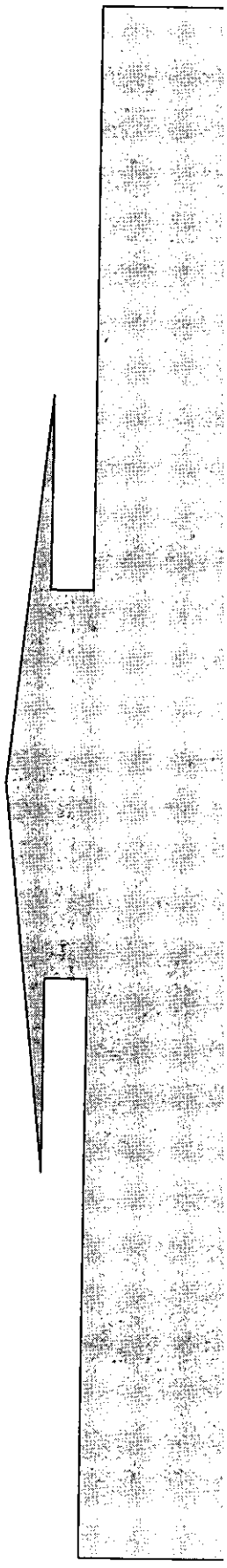

الفهارس العامة

المكتبة الرقمية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر و المراجع

القرآن الكريم برواية حفص

أ ولا : الكتب المقدسة

1 . العهد القديم

إبراهيم (زكريا)

2-مشكلة الإنسان، طبعة القاهرة: مكتبة مصر (د ت)

إسماعيل (فاطمة)

3-القرآن و النظر العقلي، ط1 . فرجينيا: العهد العالمي للفكر الاسلامي، 1993

الاشعري (ابو الحسن ت 324 هـ)

4-اللمع، طبعة القاهرة: المكتبة الازهرية للتراث، 1981

الاطير (حسين يوسف)

5-المذهب الدهري عبد العرب، ط1، القاهرة : دار البيان 1984

الالمعي (زاهر عواض)

6-دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ط1 . الرياض : مطابع الفرزدق التجارية

7 -مناهج الجدل في القرآن الكريم، ط3، الرياض مطابع الفرزدق التجارية 1984

آل ياسين(محمد حسن)

8-الله بين الفطرة و الدليل، ط6، بيروت: المكتب العالمي للطباعة و النشر 1979

اقبال (محمد ت 1938)

9-ديوان محمد إقبال، الأعمال الكاملة، اعداد: عبد المجيد ألغوري، ط1، دمشق: دار ابن كثير2003

أمين (بكري شيخ)

10-أدب الحديث النبوي،ط5 ، القاهرة :الدار الشرقية 1990

البخاري (محمد بن اسماعيل ت 256هـ)

11-الجامع الصحيح، طبعة القاهرة ن دار الفكر العربي (دت)

12 - الجامع الصحيح، طبعة ألأستانة، دون تحديد تاريخ الطبع.

بلتاجي (محمد)

13-مدخل إلى الدراسات الإسلامية، ط1، القاهرة مكتبة الشباب 1982

البوطي (محمد سعيد رمضان)

14-السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب اسلامي، ط3، دمشق: دار الفكر 1998

15-كبرى اليقينيات الكونية، ط8. دمشق: دار الفكر 1986

16-. فقه السيرة ، طبعة بيروت :دار الفكر (دت)

التهانوي (محمد بن علي ت 1158 هـ)

17-كشاف اصطلاحات الفنون، تح: احمد حسن بسيج، ط1، بيروت:دار الكتب العلمية 1998

توفيق (محمد عز الدين)

18-دليل الأنفس بين القرآن الكريم و العلم الحديث، ط2. القاهرة دار السلام 1998

التومي (محمد)

19-الجدل في القرآن، طبعة الجزائر: شركة الشهاب للنشر و التوزيع (دت)

ابن تيمية (تقي الدين احمد ت 728هـ)

20-الرد على المنطقيين، طبعة بيروت: دار المعرفة (دت)

جعفر (محمد كمال إبراهيم)

21-في الفلسفة دراسة و نصوص ط1 القاهرة: دار المعارف 1973

22-الإسلام بين الأديان، ط1 القاهرة:مكتبة دار العلوم (دت)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

الجوزية (ابن قيم ت 748هـ)

23- الصواعق المرسلة، اختصره: محمد بن الموصلي، ط1 بيروت: دار الندوة الجديدة 1984

جوهري (محمد ربيع)

24- عقيدتنا، ط2 القاهرة: دار مكة للطباعة 1995

الحجر (سيد رزق)

25-مسائل العقيدة و دلائلها، طبعة القاهرة: دار الثقافة 1990

الحسيني(عبد المحسن)

26 -المعرفة عند الحكيم الترمزي، ط1 القاهرة: دار الكتاب العربي (دت)

الحفني (عبد المنعم)

27 - البراهين العقلية على وجود الله، ط1 القاهرة: الدار الشرقية 1990

ابن حنبل (احمد، ت 241 ه)

28 - المسند، ط1 بيروت: دار صادر 1969

خان(وحيد الدين)

29- الإسلام يتحدى، تر: ظفر الاسلام، ط6 القاهرة.المختار الإسلامي 1976

ابن خلدون (عبد الرحمن، ت808ه)

30-المقدمة، تح، عبد الواحد وافي ، ط2 بيروت لجنة البيان العربي 1965

31-المقدمة، طبعة بيروت: دار الجيل (دت)

خليل (احمد)

32-دراسات في القرآن، ط1 بيروت دار النهضة العربية 1969

دراز (محمد عبد الله)

33-النبأ العظيم، ط6 الكويت: دار القلم 1984

الدسوقي (طه)

34-عقيدتنا و صلتها بالكون و الانسان و الحياة طبعة القاهرة: دار الهدى 1984

الرازي (فخر الدين 606 هـ)

35-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، طبعة دار الفكر: بيروت 1990

ابن رشد (أبو الوليد محمد 593ه)

36-مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح، محمود قاسم، ط3 القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية 1969

37-فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الحكم من الاتصال، ط2 بيروت: دار الشرق 1968

الزرقاني (محمد عبد العظيم)

38-مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3 بيروت: دار الفكر 1988

الزعبي (أنور خالد)

39-ظاهرية ابن حزم، ط1 عمان دار البشير 1996

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود ت 538هـ)

40-الكشاف، طبعة بيروت: دار المعرفة (دت)

الزنداني (عبد المجيد)

41-علم الإيمان، ط1 الجزائر: دار المتابع 2002

أبو زهرة (محمد)

41-المعجزة الكبرى طبعة القاهرة، دار الفكر العربي 1970

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سيد صالح (سعد الدين)

43-المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم، ط2. القاهرة: دار المعارف 1993

السيوطي (جلال الدين ت911ه)

44-الإتقان في علوم القرآن، طبعة بيروت: دار المعرفة (دت)

45-الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور ط1 بيروت: دار الفكر 1983

الشافعي (حسن محمود)

45-المدخل إلى دراسة علم الكلام ط2 القاهرة: مكتبة وهبة 1991

عبد الرحمن (طه)

46-العمل الديني و تجديد العقل ط2 الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي 1997

عبد الرحمن (عائشة)

47-التفسير البياني للقرآن الكريم ط5 القاهرة: دار المعارف 1977

عبد المهيمن (احمد)

48-إشكالية التأويل بين كل من الغزالي و ابن رشد ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة1985

عبود (عبد الغني)

49-الإسلام و الكون ط1 القاهرة: دار الفكر العربي 1977

عزام (عبد الوهاب)

50-محمد إقبال سيرته و فلسفته و شعره ، طبعة كراتشي : مطبوعات الباكستان 1954

العسقلاني (احمد بن حجر ت 807ه)

50-فتح الباري بشرح صحيح البخاري تح:طه عبد الرؤوف سعد و مصطفى محمد الهوا ري ط1

القاهرة مكتبة القاهرة 1978

العقاد (محمود عباس)

51-حقائق الإسلام و أباطيل خصوصه، طبعة بيروت: المكتبة العصرية (دت)

52-الله، ط2 القاهرة: نهضة مصر للطباعة 1997

الغزالي (أبو حامد ت 505هـ)

53-المنقذ من الضلال تح: جميل صليبا مع كامل عياد، طبعة بيروت: دار الاندلس 1996

54-معيار العلم ط4 بيروت: دار الاندلس 1983

55-المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، طبعة القاهرة مكتبة الكليات الازهرية (دت)

56-إلجام العوام عن علم الكلام، ضمن مجموعة رسائل الغزالي، طبعة بيروت : دار الفكر 2000

الغزالي (محمد ت 1996م)

57-المحاور الخمسة للقرآن الكريم ط3 دمشق: دار القلم 2000

فرغل (يحيى هاشم حسن)

58-الأسس المنهجية لبناء العقيدة الاسلامية طبعة القاهرة: دار الفكر العربي 1978

59-مداخل إلى العقيدة الإسلامية، دون تحديد مكان الطبع 1985

فضل الله (محمد حسين)

60-الحوار في القرآن، ط3 بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات 1985

الفياض (محمد جابر)

61-الأمثال في القرآن ط2 الرياض: الدار العالمية للكتاب الاسلامي 1995

القحطاني (سعيد بن وهف)

62-شرح أسماء الله الحسنى ط1 بيروت: دار الكتب العلمية 2001

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

القرضاوي (يوسف)

63-العقل و العلم في القرآن الكريم ط1 القاهرة: مكتبة وهبة 1996

قاسم (محمود)

64-دراسات في الفلسفة الاسلامية ط3 القاهرة: دار المعارف 1970

قطب (سيد)

65-في ظلال القرآن ط3 القاهرة: دار الشروق 1977

66-مشاهد القيامة ط7 القاهرة: دار المعارف 1981

قطب (محمد)

67-ركائز الإيمان ط1 الرياض مركز الدراسات و الاعلام 1997

ألكرمي (زين الدين مرعي)

68-أقاويل الثقات في تأويل الاسماء و الصفات ط1 بيروت: مؤسسة الرسالة 1985

لطف (سامي نصر)

69-نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين ط1 القاهرة: مكتبة سعيد رأفت 1978

مجموعة من العلماء

70-الله يتجلى في عصر العلم،تر: الدمرداش عبد المجيد سرحان،بيروت:دار احياء الكتب العربية

محمود (عبد الحليم)

71-التفكير الفلسفي في الاسلام، طبعة بيروت: دار الكتاب اللبناني 1982

مسلم(ابن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261هـ)

72-الجامع الصحيح ط1 بيروت: دار الفكر 1983

المطعني (عبد العظيم)

73-الإسلام في مواجهة الاستشراف العالمي ط2 المنصورة: دار الوفاء 1992

معوض (احمد)

74-محمد إقبال حياته و اثاره طبعة القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980

المغربي عبد الفتاح

75-الفكر الديني الشرقي في القديم ط1 القاهرة: مكتبة وهبة 1996

موريسون (كريسي)

76-العلم يدعو إلى الإيمان، تر : محمود صالح الفلكي ، طبعة بيروت : دار القلم (دت)

الميداني (عبد الرحمن حسن حنبكة)

77-ضوابط المعرفة و اصول الاستدلال و المناظرة ط3 دمشق: دار القلم 1988

78-قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ط2 دمشق دار القلم 1989

79-براهين و أدلة إيمانية ط1 دمشق: دار القلم 1987

بن نبي (مالك)

80-الظاهرة القرآنية، تر: عبد الصبور شاهين، ط6 .دمشق: دار الفكر 1986

النجار (عبد المجيد)

81-الإيمان بالله و اثره في الحياة ط1 بيروت: دار الغرب الاسلامي 1997

82-مباحث في منهجية الفكر الاسلامي، طبعة بيروت: دار الغرب الاسلامي 1992

الندوي (أبو الحسن علي الحسني ت 2000 م)

83-الأركان الأربعة ط1 دمشق: دار القلم 1999

84-قصص النبيين ط13 بيروت: مؤسسة الرسالة 1985

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

النشار (علي سامي)

85-نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ط3 القاهرة: دار المعارف (دت)

النورسي (محمد سعيد، ت1965م)

86-صيقل الإسلام، تر احسان قاسم الصالحي ط3 القاهرة شركة سوزلر للنشر 2002

87-الكلمات، تر: احسان قاسم الصالحي ط2 القاهرة: مطبعة المدني (دت)

نوفل (عبد الرزاق)

88-الله و العلم الحديث طبعة القاهرة: دار الشروق 1990

النووي (شرف الدين ت 672هـ)

89-شرح صحيح مسلم طبعة القاهرة المكتبة المصرية (دت)

ابن هشام (محمد بن اسحاق)

90-السيرة النبوية تح : محمد محي الدين عبد الحميد طبعة القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى (دت)

الهندي (رحمة الله)

91-إظهار الحق طبعة بيروت: المكتبة العصرية (دت)

هيتو (محمد حسن)

92-المعجزة القرآنية ط3 بيروت: مؤسسة الرسالة 1998

ابن الوزير (محمد بن ابراهيم)

93-ترجيح أساليب القرآن على اساليب اليونان ط1 بيروت: دار الكتب العلمية 1984

ثالثا: القواميس و المعاجم

أنيس (إبراهيم)

94-المعجم الوسيط ط1 القاهرة: دار المعارف 1996

الراغب (أبو الحسين القاسم بن محمد الاجبهاني ت 502هـ)

95-مفردات القرآن ، تح : صفوان داوراي طبعة دمشق : دار القلم 1992

ونسنك (أ .ي)

96-المعجم الفهرس للألفاظ الحديث النبوي، طبعة ليدن مكتبة بيرل 1936

عبد الباقي (محمد فؤاد)

97-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم طبعة بيروت: دار الجيل (دت)

منير (محمد الدمشقي)

98-إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين، طبعة بيروت: دار؛ مكتبة الهلال 1985

رابعا : الرسائل الجامعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

بوخلخال (عبد الوهاب)

99-بديع الزمان النور سي و منهجه في عرض العقيدة رسالة ماجيستير مقدمة بقسم العقيدة كلية الشريعة، و أصول الدين جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة (دت)

أبو الروايح (محمد)

100-منهج القرآن في نقد الاديان رسالة ماجيستير مقدمة بقسم مقارنة الاديان معهد اصول الدين جامعة الامير عبد القادر قسنطينة 1995

فرحات(عبد الحكيم)

101-منهج القاضي عبد الجبار في نقد النصرانية رسالة ماجيستير مقدمة بقسم مقارنة الأديان معهد أصول الدين جامعة الامير عبد القادر قسنطينة 1997

فهرس الآيات القرآنية

الآيــة	الصفحة
الفاتحة	
اهدنا الصراط المستقيم	75
البقرة	
ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين	15
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ	121
وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا	45، 89، 230
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا	151
هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا	88
ولا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق	73
وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك	70
فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ	195
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله	66
كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو	124
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ	75، 168،
وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو	152
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ	62
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	18
يسألونك عن المحيض قل هو أذى	22
و من الناس يعجبك قوله في الحياة	23
قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	169
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ	74، 194، 243
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ	189
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ	225
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	224
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	22، 57
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	241
وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ	206
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ	151، 158، 196
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ	228
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا	178 225
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ	282 225
آل عمران	
الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ	151
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ	164

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ	200
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ	206
وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ	199
إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ	205
فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ	209
وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا	111
وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ	224
و إذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ،	22
لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك	80
لقد سمع الله قول الذين قالوا	193
و لله ملك السماوات و الأرض	161
إن في خلق السماوات والأرض	76
ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان	133
لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل	102
النساء	
يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن	151
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ	225
فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد	26
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى	22،58، 57
مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ	195
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ	49
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ	23، 82، 59
أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا	167
فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ	206، 200
وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى	65
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ	73، 198، 209، 206،
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ	206،198
المائدة	
قد جاءكم من الله نور و كتاب	105
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	201
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا	192
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ	194
وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ	124،192
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ	203
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	207،202
لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة	208،152
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ	208
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ	207،206،198
وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا	208

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر 57
فهل أنتم منتهون 58
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله 62
وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت 203، 207
فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم 206

الأنعام

قل إني أخاف إن عصيت ربي 96
وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم 123، 134
قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون 39
وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا 134
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها 151، 196
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر 98
وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات 131
فلما جن عليه الليل رأى 182
وكيف أخاف ما أشركتم 95
وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم 181
وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك 63
وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم 100
أو من كان ميتا فأحييناه 53
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره 169
قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا 98
وكيف أخاف من أشركتم ولا تخافون 118
فالق الإصباح وجعل الليل سكنا 210
أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة 120
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون 116
وهو الذي أنزل من السماء ماء 116، 122
وهو الذي أنشأ جنات معروشات

الأعراف

كما بدأكم تعودون 83
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله 75
أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم 94
قال الملأ الذين استكبروا من 67
ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا 97
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر 191
واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم 190
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في 67
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن 191
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا 165
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي 195

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ 07، 69، 111

ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، 68، 74

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها 106

واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة 69

الأنفال

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب 98

واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض 98

يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا 100، 105

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى 44

التوبة

ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا 23

وقالت اليهود عزير ابن الله 187

عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ 44

ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد 102

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا 44

لقد جاءكم رسول من أنفسكم 29

يونس

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا 118

قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ 116

هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ 128

أَمَّنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ 192

أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة 66

قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني 187، 189

وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون 54، 68

وإن يردك الله بخير فلا راد لفضله 159

هود

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير 23، 97

فأتوا بعشر سور مثله مفتريات 45، 89

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه 94

ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه 97

ويا قومي لا يجرمنكم شقاقي 95

يوسف

إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون 24

أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار 153

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض 241

لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب 17، 92، 79

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

الرعد

اللهُ الذي رفعَ السَّماواتِ بغيرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها 117،54

قل من رب السماوات والأرض 85

الذين آمنوا و تطمئن و قلوبهم بذكر الله 105

إبراهيم

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ 124

وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ 193،152

اللهُ الذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ 192،121

الحجر

إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون 16

النحل

وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ 121،115

الذي أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لكُمْ مِنْهُ 122

وَهُوَ الذي سخَّرَ البحرَ لتأكلوا مِنْهُ 123

أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون 84

إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له 159،151

وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس 77

وقالَ اللهُ لا تتخذوا إلهين اثنين 175

والله أنزل من السماء ماء 78

وإنَّ لكمْ في الأنعامِ لعبرةً نُسقيكُمْ 115

ومن ثمرات النخيل و الأعناب تتخذون 22

وأوحى ربُّك إلى النحلِ أنِ اتخذي مِنْ 122

وما أمر الساعة إلا كلمح البصر 161

واللهُ أخرجكم مِنْ بطونِ أمهاتكمْ 114،101،74

ألمْ يروْا إلى الطيرِ مسخراتٍ في جوِّ السَّماءِ 122

وتفصيل كل شيء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون 17

إن الله يأمر بالعدل و الإحسان 33

ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة 69

لسانُ الذي يُلحدونَ إليه أعجميٌّ وهذا 46

و ضرب الله مثلا قرية كانت 102

الإسراء

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام 152

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم 15

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ 89،45

و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا 70

أو لم يروا أن الله الذي خلق السماوات و الأرض 150

وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث 21

الكهف

ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا 43
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا 151

مريم

قال كذلك قال ربك هو علي هين 126
واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها 198
قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا 206، 199، 198
ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف 177

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا 167

طه

وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى 150

إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب 95
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي 196
وما أعجلك عن قومك يا موسى 190
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما 150

فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى 100

الأنبياء

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا 232، 204، 145، 140، 80
أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا ، 170 ،73
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا 164، 07
أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون 136
أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض 51
ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل 171
وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر 129
وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا 129
فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها 198
كما بدأنا أول خلقه نعيده 83
واقترب الوعد الحق فإذا هي 69

الحج

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة 96

يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث 80
والبدن جعلناها لكم من شعائر الله 121

وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك 72
ذلك بأن الله يولج الليل في النهار 152
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء 152
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له 170
الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس 152

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

المؤمنون

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ 126، 48

وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة 74

مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ 204، 190، 145، 82، 141

النور

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور 100

لَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ 78، 54

وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ 115

وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات 98

الفرقان

تبارك الذي نزل الفرقان 16

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ 167

وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن 21

وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا 70

وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده 158

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ 180، 97

الشعراء

قال أفرأيتم ما تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون 100

وإنه لتنزيل من رب العالمين 19، 18، 16

النمل

قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله 150

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ 116، 101، 74

أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا 123

أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ 170، 74

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ 128

صنع الله الذي أتقن كل شيء 138

القصص

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا 121، 87

ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله 64

العنكبوت

ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله 152

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا 104

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ 128

أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا 98

الروم

الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم 55

يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا 70

أولم يسيروا في الأرض فينظروا 103
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي 84
اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ 178
وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ 178
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا 77، 114
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ 114
ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت 161
وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ 114
اللهُ الذِي يُرْسِلُ الرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا 123
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ التِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا 06، 111
بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم 63

لقمان

خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في 138
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة 152
ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض 84، 86
وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا 52

السجدة

الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق 137
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب 103

الأحزاب

قل من ذا الذي يعصمكم من الله 151
وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ 43

سبأ

لقد كان لسبأ في مساكنهم آية 102
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ 181
فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا 182
قل إنما أعظكم بواحدة 77

فاطر

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف 103
يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ 193
إن الله عالم غيب السماوات والأرض 151
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا 164
وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ 115
وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات 150
وَاللهُ الذِي أَرْسَلَ الرِيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا 177

يس

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ 54، 117، 118، 144

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا 115،87
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ 150
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ 167

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 159
وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ 179،177

الصافات

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا 90

ص

أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ 168
يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ 80،73،63

الزمر

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى 124
قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فَاعْبُدُوا 174،124
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ 167
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا 128
قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ 174
أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ 175
أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ عَنْ رَبِّهِ 100
اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا 77

غافر

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا 103
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ 126
هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ 158،151
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ 113

الشورى

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ 118
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ 153، 165، 152
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ 161
شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا 197

فصلت

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ 24
وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ 156
وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ 183
سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ 125،113،110

الزخرف

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ 63
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ 206

الدخان

كم تركوا من جنات وعيون و زروع 102

الجاثية

وإذا قيل إن وعد الله حق 65

وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا 07، 65، 176

الأحقاف

قل أرأيتم ما تدعون من دون 169

واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف 94

أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض 150، 179

محمد

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات 217

فاعلم أنه لا إله إلا الله 71

ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني 152

الفتح

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق 56

الحجرات

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى 194

الذاريات

وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم 90، 125

والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون 117، 52

ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون 54

ق

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم 86، 116

ولقد خلقنا السماوات والأرض 196

أفلم ينظروا إلى السماء 86

أفعيينا بالخلق الأول 83

الطور

أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا 90

أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون 132، 179

أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون 132

القمر

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر 21

إنا كل شيء خلقناه بقدر 118

الواقعة

على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين 99

أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون 114

أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه 116

أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها 116

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

الرحمن

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ 53، 118

ولمن خاف مقام ربه جنتان 99

الحديد

هو الأول والآخر والظاهر والباطن 153

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا 100

المجادلة

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها 22

الحشر

وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون 77

الجمعة

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو 47

المنافقون

وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله 67

التحريم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي 43

الملك

الذي خلق سبع سماوات طباقا ما 137

ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير 157

للذين كفروا بربهم عذاب جهنم 96

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ 115

المعارج

كلا إنا خلقناهم مما يعلمون 91

نوح

فقلت استغفروا ربكم إنه كان 97

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا 127

المزمل

فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان 96

القيامة

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ 91، 129

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ 50

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ 15، 24

الإنسان

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ 126

وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا 99

النبأ

ألم نجعل الأرض مهادا والجبال 52، 88

عبس

أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى 44

فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ 122،116

التكوير

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ 44

البروج

بل هو قرآن مجيد 18

الطارق

فَلْيَنْظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ 114

الأعلى

سبح اسم ربك الأعلى 135

سنقرئك فلا تنسى 25

الشمس

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا 129

العلق

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ 135، 71، 47

كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى 08

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ 50

القدر

إنا أنزلناه في ليلة القدر 18

الإخلاص

قل هو الله أحد الله الصمد 188،135،133

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد 153،210،188

المكتبة الرقمية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبويـــة

-أ-

استفت قلبك البر حسن الخلق و الاثم ما حاك في صدرك.....130

أسر إلي النبي صلى الله عليه و سلم أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة.....34

أما أنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر.....107

أنا عند ظن عبدي بي، وانا معه اذى ذكرني في نفسه.....107

أني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم.....8-111

-ب-

البر حسن الخلق و الاثم ما حاك في صدرك.....129

-ف-

فليبلغ منكم الشاهد الغائب.....27

-ق-

قرأ عليا رسول الله صلى الله عليه و سلم أكثر من سبعين سورة.....26-35

-ك-

كان النبي صلى الله عليه و سلم أجود الناس بالخير.....34

كان يعرض علي النبي صلى الله عليه و سلم القرآن كل عام مرة.....34

كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه.....7-111
كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله(ص) احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس.....20

-ل-

لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.....226
اللهم انا نسألك الهدى و العفاف و الغنى.....76
اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.....76

-م-

من عمل بما علما ورثه الله علم ما لم يعلم.....105
من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه.....226

-و-

و الله لولا الله ما اهتدينا.....76
و كان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن.....35

-ي-

يا عبادي ككلكم ضال إلا من هديته فاستهد وني أهدكم.....93

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

فهرس الأعلام

-أ-

- إبراهيم أنس: 78.
- أبي بن كعب: 25-27-35.
- إحسان قاسم الصالحي: 227.
- أحمد بن حنبل: 33-130.
- الأخنش بن شريق: 40.
- أحمد عبد المهيمن: 155.
- ابن إسحاق: 38-40.
- الألمعي زاهر: 172.
- امرؤ القيس: 24.
- أنس بن مالك: 30.
- أنور خالد الزعبي: 73.

-ب-

- البخاري: 20-26-30-31-34-35-38-76-105-107-111.
- برغسون: 112.
- أبو بكر الصديق: 28-29-30-31-32-36.

-ت-

- الترمذي: 129.
- التهاوني: 15.
- ابن تومرت: 149.
- ابن تيمية: 149-157.

- ج -

- جمال الدين الأفغاني: 176.

- جميل صليبا: 73.

- أبو جهل: 46.

- الجويني: 149.

- ح -

- ابن حجر: 20-26-29-31-32-33-34-35.

- حذيفة بن اليمان: 30.

- أبو الحسن الندوي: 107-200-239.

- أبو الحسن الأشعري: 125-130.

- حسن محمود الشافعي: 134-149.

- حفصة: 29-30-31-32.

- الحفني عبد المنعم: 129.

- الحكيم الترمذي: 240.

- أبو حامد الغزالي: 73-79-106-148-149-154-155-214-218.

- خ -

- أبو خزيمة الأنصاري: 29-31.

- ابن خلدون: 64-147-155.

- د -

- أبو الدرداء: 27.

- دسوقي طه: 147-214-241.

- الدمرداش عبد المجيد سرهان: 119.

- ر -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

- الرازي فخر الدين: 149-240.
- راسل تشارلز: 119.
- رحمة الله الهندي: 209.
- ابن رشد: 89-113-117-118-120-140-149-155-219-233.
- رشيد رضا: 187.

-ز-

- الزرقاني: 15-17-19-26-27-28-33.
- الزركشي: 232.
- الزمخشري: 52-62-63-65-66-68-75-83-131-133-142-153-157-193-205-241-248.
- أبو زهرة محمد: 28-32-83-84-86-92-93-217-238-232-231.

-س-

- سالم مولى أبي حذيفة: 27.
- سامي نصر لطف: 76-103.
- سعد الدين السيد صالح: 47-49.
- سعيد بن العاص: 30-31.
- سعيد حوى: 214.
- سعيد القحطاني: 106.
- سلام بن مشكم: 187.
- سيد رزق الحجر: 80-81.
- سيد قطب: 22-39-40-41-45-46-67-90-104-105-106-157-167-168-174-175-187-188-190-195-198-199-201-210-220-221-.
- السيوطي: 18-20-21-26-27-111.

- ـش-

- شاس بن قيس: 187.

-ط-

- طه عبد الرحمن: 106.

- طه عبد الرؤوف سعد: 20.

-ع-

- عائشة أم المؤمنين: 20-42.

- عائشة عبد الرحمان: 91-92.

- عبادة بن الصامت: 26.

- ابن عباس: 15-27-187.

- عبد الحليم محمود: 166-188-189.

- عبد الرحمان حبنكة الميداني: 80-91-221.

- عبد الرزاق نوفل: 139-157-158.

- عبد العظيم المعطني: 186-201.

- عبد الغني عبود: 142-143.

- عبد الله بن أبي سلول: 22-23.

- عبد الله بن الحارث: 30-31.

- عبد الله بن الزبير: 30-31.

- عبد اللع بن السائب: 27.

- عبد الله بن عمر: 27.

- عبد المحسن الحسيني: 24.

- عبد المجيد الزنداني: 50-52-55-139-178.

- عبد المجيد النجار: 112-118-119-125-137-223-234-235.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

- عبد الوهاب عزام: 18.
- عثمان بن أبي العاص : 33.
- عثمان بن عفان: 27-30-31-32-34-36.
- العقاد: 200-204-215.
- عمر بن الخطاب: 28-29-30-221.
- عنترة: 24.
- عياض بن حمار: 111-223.

-ف-

- فاطمة اسماعيل: 64.
- فاطمة عليها السلام: 34.

-ق-

- القاضي عبد الجبار: 231.
- ابن القيم: 207.

-ك-

- كامل عياد: 73.
- الكرمي زين الدين مرعي: 155.
- كريسي مورسيون: 120.
- الكسين كاريل: 49.
- كيث آل مور: 50.

-ل-

- لانج: 110.

-م-

- مالك بن نبي: 58.

- محمد بلتاجي: 43.
- محمد بو رواح: 206-207.
- محمد التومي: 82.
- محمد جابر الفياض: 240.
- محمد حسن آل ياسين: 110-112.
- محمد حسن هيثو: 56.
- محمد حسين فضل الله: 169-170-173-177-191-245.
- محمد ربيع جوهري: 128-131-132.
- محمد عبد الله دراز: 16-25-42-44.
- محمد الغزالي: 92.
- محمد كمال جعفر: 78-184.
- محمد يوسف سكر: 50.
- محمود صالح الفلكي: 120.
- محمود قاسم: 120-148-149-216.
- ابن مسعود: 26-27-35.
- مسلم: 26-27-75-105-107-111-129.
- مصطفى محمد الهواري: 20.
- معاذ بن جبل: 27.
- معاوية ابن أبي سفيان: 25.
- المغربي علي عبد الفتاح: 175.
- أبو موس الأشعري: 27.

-ن-

- نديم الجسر: 135.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

- النشار علي سامي: 175.
- نعمان بن أوفي: 187.
- أبو نواس: 187.
- النورسي: 227-239.
- النووي: 27.

-هـ-

- هرقل: 38.
- أبو هريرة: 27-34.

- ابن هشام: 38-41.
- هورتن كامرون: 130.

-و-

- وابصة بن معبد: 130.
- وحيد الدين خان: 51-52-53-119.
- ابن الوزير اليمني: 231-232.
- الوليد بن المغيرة: 45-46.
- ويل ديورانت: 201.
- ويل سوار: 119.

-ي-

- يحي هاشم حسن فرغل: 94-103-131
- يوسف القرضاوي: 63-71-72-77.

فهرس الموضوعات

المقدمة : 5-12
الفصل الاول : القرآن و المصدر 13-59
1- ما هو القرآن ؟ 15
1.1- تعريف القرآن الكريم 15
2.1- تسميات القرآن الكريم 15
3.1- نزول القرآن الكريم 17
4.1- كيفية نزول الوحي على رسول الله صلى عليه و سلم 19
5.1- نزول القرآن منجما 20
6.1-الحكم اللاهية في تنجيم الآيات القرآنية 21
7.1-لغة القرآن 23
8.1-جمع القرآن 24
1.8.1-الجمع بمعنى الحفظ في الصدور 24
2.8.1-الجمع بمعنى الحفظ في السطور 25
3.8.1-دور الصحابة في جمع القرآن 25
9.1-دور الصحابة في حفظ القرآن في السطور 27
1.9.1-جمع القرآن في عهد ابو بكر الصديق 28
2.9.1-منهج ابي بكر الصديق في جمع القرآن 29
3.9.1-جمع القرآن في عهد الخليفة عثمان (ض) 30
10.1-تقسيم القرآن الكريم و ترتيبه 32
2-تحديد مصدر القرآن الكريم 37
1.2 النظر في الجانب الشخصي 37
2.2-النظر في الجانب الموضوعي 45
1.2.2-الاعجاز البلاغي 45
2.2.2-الاعجاز العلمي 47
أ-الحقائق الانسانية 47
ب-الحقائق الكونية 51
ج-الحقائق التاريخية 54
3.2.2-الاعجاز التشريعي 56
4.2.2-عدم التناقض و الاختلاف 58
الفصل الثاني: منهج القرآن في الاستدلال 60-107
تمهيد 62
1-الدعامة الاولى : الجانب النقدي : 62
1.1-تحرير العقل من التقليد 62
2.1-تحرير العقل من الهوى 63
3.1-تحرير العقل من الظن 64
4.1-تحرير العقل من الجهل 66

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية المكتبة الرقمية

.5-تحرير النفس من الكبر 66
.6-تحرير الانسان من الغفلة 68
.7-تحرير الانسان من سجن الحس 70
.8-تحرير الانسان من الالف و العادة 71
-الدعامة الثانية :الجانب البناني : 71
1-الدعوة الى القراءة و التعلم 71
2-التجرد في البحث 72
3-الاعتماد على الحجة في قبول القضايا 73
4-الدعوة الى استعمال كل المدارك 74
5-الدعاء و الاضطرار 75
6-الدعوة الى التفكر و الاعتبار 76
1.6-صور الاستدلال في القرآن الكريم 79
.الاقيسة العقلية 79
القياس الاقتراني 79
القياس الاستثنائي 80
القياس الاضماري 81
قياس الخلف 81
قياس التمثيل 83
ا - المقابلة و المقارنة 84
ا. الاستدلال العلي 86
ما. الاستدلال بالترجيح 87
مسا. الاستدلال بالعناية و القصد 88
دسا. الاستدلال بالتحدي 89
بعا. الاستدلال بالقسم 90
نا. الاستدلال بالقصص 92
7 . مخاطبة الوجدان 94
1.7 . الدعوة الى الايمان عن طريق عنصر الرغبة 97
2.7 . الدعوة الى الايمان عن طريق اثارة الرهبة 102
8 . مسلك التقرب 104
صل الثالث : ادلة وجود الله و صفاته 108-161
لا : وجود الله 110
-دلالة الفطرة 110
-1 -شاهد الوحي 110
.2-الشاهد النفسي 112
.3-الشاهد التاريخي و الاجتماعي 112
-دلالة الآفاق 112
.1-دليل الخلق 113
.1.1-خلق الانسان 114
.2.1-خلق الحيوان 115

3.1.2-خلق النبات و انزال الماء 116
4.1.2-خلق الأجرام السماوية 116
2.2- دليل النظام 118
3.2-دليل العناية 120
1.3.2-العناية بتسخير الأفلاك 121
2.3.2-العناية بخلق الحيوان 121
3.3.2-العناية في خلق الرياح و البحار و الانهار 122
4.3.2-العناية بالإنسان روحيا 122
3-دلالة الأنفس 125
1.3-دليل التخليق 125
2.3-دليل العجز و الاضطرار 127
3.3-الدليل الأخلاقي 129
4-دلالة البداهة العقلية 130
1.4-دليل الحدوث 130
2.4-دليل الإمكان 131
5-دلالة القرآن 133
تمهيد : 136
1-دليل الصلاح الكوني 137
2-دليل الوحدة الكونية 140
1.2-الوحدة و بناء الكون 142
2.2-وحدة الحركة 144
3.2-وحدة التكامل 145
3-دلالة الوحي 146
4-حجية قياس الاولى 156
الفصل الرابع : منهج في نقد الاديان : 162-210
تمهيد 164
1-نقد القرآن للوثنية 166
1.1-عبادة الاصنام 166
2.1-نقد الثنوية 175
3.1-نقد الدهريين 176
4.1-نقد عبدة الجن و الملائكة 181
5.1-نقد عبدة النجوم و الكواكب 182
2-نقد القرآن لليهودية 183
1.2-ادعاء النبوة لله 187
2.2-اتخاذ العجل 190
3.2-اتخاذ الاصنام 191
4.2-اتهام الله بالبخل 192
5.2-اتهام الله بالفقر 193
6.2-ادعاء الخطوة عند الله 194

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية

7.2-تحريف كلمة الله 195
3-نقد القرآن للنصرانية 197
1.3-حقيقة المسيح في القرآن 197
1.1.3-ولادة المسيح 197
2.1.3-طبيعة المسيح 198
3.1.3-دعوة المسيح 199
4.1.3-رفعه الى السماء 200
2.3-نقد القرآن لعقائد النصارى 200
1.2.3-ابطال الولد لله تعالى 204
2.2.3-ابطال القول بالتثليث 209
الفصل الخامس: خصائص منهج القرآن 211-248
تمهيد 213
1-التكامل 213
1.1-التكامل بين العقل و النص 213
2.1-التكامل في مراعاة مقامات و احوال المخاطبين 216
3.1-التكامل في مخاطبة مدارك الانسان 219
4.1-التكامل الموضوعي و السلوكي 224
4.1-التكامل بين مصادر الادلة 226
2-اليسر و الوضوح 227
1.2-استعمال اسلوب ضرب الامثال 227
2.2-استعمال القصص 228
3.2-الاعتماد على امور بدهية 229
4.2-اعتماد ادلة القرآن على المحسوس 229
5.2-قوة التحدي 230
6.2-الاسلوب البياني الرفيع 231
3-الواقعية 233
1.3-واقعية المضمون 233
2.3-واقعية الادلة 234
3.3-واقعية الهدف 235
4-منهج تربوي 235
1.4-اعتماد اسلوب المحاورة 235
2.4-اعتماد اسلوب القصص 238
3.4-اعتماد اسلوب التكرار 238
4.4-اعتماد اسلوب المثل 239
5.4-منهج لا يقوم على الاكراه 240
5-منهج يورث اليقين 241
1.5-رفضه للظن 242
2.5-رفضه للاعتقاد و القول بغير علم 242
3.5-طلب الحجة و البرهان 243

6-منهج نقدي 245
الخاتمة 249
الفهارس العامة 252-281
فهرس المصادر و المراجع 253
فهرس الآيات القرآنية 263
فهرس الأحاديث النبوية 275
فهرس الموضوعات 277

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
المكتبة الرقمية